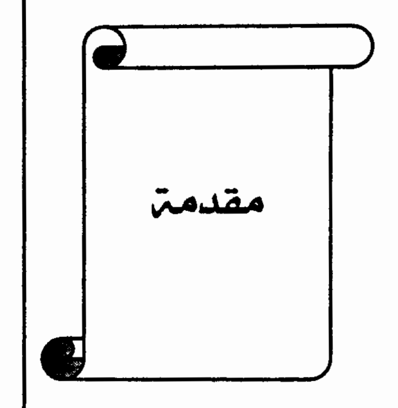
دكتور
الأمير محفوظ أبو عيشة

البطالة

من منظور إسلامي

مكتبة وهبة

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين، أوضح للناس معالم الدين، وشرع من الأحكام ما بها مخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعل في الدين حكمًا فصلًا وضُحت به مصالح الخلق، سبحانه خلق فسوى وقدر فهدى، ثم الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وقدوة السالكين، سيدنا محمد ﷺ من أكمل الله برسالته الدين وأتم به النعمة وختم به النبوة.

فالإسلام دين الله الخاتم الخالد وشريعته الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيها شرف المسلمين وكرامتهم إذا تبعوا نهجها وسلكوا سبيلها في مختلف شئونهم قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

ولقد جعل الإسلام بنظمه الاجتماعية والاقتصادية وأحكامه مايعالج مشكلات المسلمين مهما بلغت؛ فحقق التكافل والتعاون والتضامن مما يكفل من يعيش في كنفه من مسلمين وغير مسلمين، ومن فقراء وأغنياء، وضعفاء وأقوياء من كفاية ووفرة ورخاء، حيث عالج مشكلات المجتمعات البشرية في إطار ما أحل الله في ضوء هديه ﷻ حيث قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾

[الإسراء: ٩]

لعل الحديث الجاري على ألسنة الخاصة والعامة وعلى جميع المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، هو الحديث عن مشكلة البطالة، وآثارها السلبية ومعاناة الكثير من الأفراد في المجتمعات.

لقد فطن علماء الإسلام الأوائل لهذه المشكلة فدبروا أمرهم، وذهل كثير من المسلمين مؤخرًا عما فعله السابقون لعلاج هذه المشكلة، فكان البحث بمثابة الربط بين الماضي والحاضر في ضوء العلاج الإسلامي للبطالة، وبمثابة الرد على من يدعون عدم مواكبة الإسلام لما يستجد من قضايا ومشكلات، بيان لصلاحيته لكل زمان ومكان مهما اختلفت شئون العباد ومشكلاته البلاد، لعل أن يكون في هذا البحث منهجًا قويًا يتبعه العقلاء، ولبنة يبني عليه من يتمم الله على يديه الخير لهذه الأمة ، وتذكير وتذكرة لكل من يهتم بأمر المسلمين لعلاج مشكلاتهم فينظر في الأمر بجد وإخلاص ويفعل ما في وسعه لعلاج مشكلة البطالة.

ولقد حاول بعض العلماء المعاصرين وضع حلول للمشكلة تتصف في مجملها بأنها حلول غير جذرية في علاج المشكلة،دون تطرق للبحث عن الحلول التي وضعها الإسلام للبطالة، وبينها العلماء السابقون، فمؤلف الإمام الشيباني المسمى بالكسب، وما تبعه من مؤلفات أئمة الإسلام من محمد بن سماعة والغزالي، والعز بن عبد السلام، و الشاطبي، والتلمساني، من أول من نظر في علاج تلك المشكلة، فحصلت كل هذا بصورة تجمع أشتات المشكلة حتى جمعت مراميها، وحصلت معانيها، ثم أضفت ما يسر الله لمثلي في وضع حل للمشكلة، ومن الجدير بالذكر أنني اعتمدت على الأبحاث الصادرة عن أهل الاختصاص من علماء الاقتصاد والاجتماع، وبعض الأبحاث الصادرة عن منظمة العمل الدولية، وعلى تقريرات المؤتمرات المنعقدة حول هذه المشكلة، وذلك على معالجة إسلامية تناسب العصر؛ لأن الموضوع معاصر والكتابة فيه مستحدثة، فبينت فيه حكم الشرع في الشريعة الإسلامية السَّمِحة.

وقد تقدمت إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة بخطة بحث لنيل درجة التخصص الماجستير بعنوان: «منهج الدعوة الإسلامية في وضع التدابير الواقية لعلاج البطالة» وقد قوبل الموضوع بالقبول الحسن وأجيز، وأحببت تعميمًا لنفع المسلمين نشر هذا البحث تحت عنوان « البطالة من منظور إسلامي» لئلا يبقى حبيس الأدراج ، فيكون من العلم المكتوم ، قال رسول الله ﷺ « من كتم علمًا مما ينفع الله به

في أمر الناس في الدين، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار»[1]،فعملت على نشر هذا العلم النافع، لينتفع به شباب الأمة في وقت هم أحوج ما يكونون لمعرفة تصور الإسلام للبطالة، لخطورتها كأزمة أمة تثير آثارًا سيئة على الفرد والمجتمع، أو يزداد خطرها لأسباب اقتصادية، فظهر مسيس حاجة الإنسانية لعلاجها، أو لكونها من المشكلات واسعة الضرر والآثار، لذلك بات من الضرورة الشرعية الاجتهاد لإخراج وسائل علاج الإسلام للبطالة، لإحاطة الأمة بوسائل علاج الإسلام للبطالة، وإظهار كمال الإسلام في مناسبته لكل عصر.

منهج البحث:

كان منهجي في البحث المنهج التحليلي بالوقوف على خطورة المشكلة بالنظر في أسبابها وأنواعها وآثارها، بغية الوقوف على تشخيص الإسلام لمشكلة البطالة حتى يتضح الدواء المناسب، وأظهرت موقف القرآن والسنة المطهرة من هذه المشكلة، ومن خلال ذلك وقفت على تصور الإسلام لهذه المشكلة بغية النظر في وسائل علاجها من منظور إسلامي، فجمعت جل ما يتصل بهذا الموضوع من قريب وبعيد، خاصة إذا علم أن علاج الإسلام للبطالة شمل عدة جوانب متعلقة بالفرد المتعطل من عقيدته ومعاملاته وخلقه، فعالج نفسيته وهيأه بالتربية والتعليم والتدريب لمواجهة صعوبات الحياة، وشمل كذلك بيان واجب المجتمع تجاه تلك المشكلة بداية بالأسرة ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل، وظهر من هنا النظرة الشاملة لعلاج البطالة في المفهوم الإسلامي،إذ شمل العقيدة والشريعة والأخلاق، كما شمل واجب الفرد والمجتمع.

---

(١) قال الخطابي: الحديث في العلم الضروري، والحديث أخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن، باب من سئل عن علم فكتمه، ١/ ٩٦، رقم ٢٦١، واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه أبو داود كتاب العلم باب كراهية منع العلم، رقم ٣٦٥٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم أغفل في تناولي مشكلة البطالة بالدرس والبحث في علاجها ببيان موقف الخلفاء الراشدين، ففي قيامهم وفق سنة النبي ﷺ وما كان لهم من تشريعات ووسائل حكيمة لها أثرها في حل مشكلة البطالة، كما تنبهت لنظرة كبار علماء المسلمين في ضوء النظر في معالجات عملية البطالة، كما ذكرت الجانب العملي في علاج الإسلام لهذه المشكلة، وبينت منهج الإسلام في العلاج من معرفة لأسباب البطالة وأنواعها وآثارها على الفرد والمجتمع والاقتصاد، كما أوضحت خصائص المنهج الإسلامي من التدرج والتوسع في العلاج ومسئولية الحل، وجعلت كل ذلك في إطار من الموضوعية في البحث من خلال تصور الأشياء قبل الحكم عليها، فالحكم على الأشياء فرع عن تصورها.

ولم أتوان عن تقليب النظر فيما قدم العلماء والمفكرون المتخصصون في الاقتصاد والاجتماع للبطالة من حلول، فقمت بعرضها بأمانة وموضوعية.

وقد عرضت الأدلة، مدققا في اختيارها لمناسبة الدليل مع المدلول؛ ما يشهد على صدق الفكرة وصحتها وأحقيتها، مستعينًا بكتب التفسير وكتب شرح الأحاديث في كثير من المواضع، إذا اقتضى الأمر توضيحًا في الدليل، وعند ذكر حكم فقهي للاستشهاد به فقد استعنت بكتب الفقه، وفقه الحديث، والأصول بغية الاستيثاق من الحكم الفقهي.

وقد عالجت مسائل البحث بأسلوب جامع بين سهولة ألفاظه، ودقة عباراته وأفكاره بأوضح لفظ دال على المعنى؛ فاللفظ قالب للمعنى، فابتعدت عن الكلمات الجافة، والعبارات المجافية للمنطق، محاولا انتقاء ما كان أوضح عبارة وأجلى بيان للفكرة، وألصق بالغرض. مستعينا بعلامات الترقيم في وتوضيح المعنى، وفصَّلت الأفكار بوضع عناوين جانبية زيادة في البيان والتوضيح، وتسهيلًا في المعالجة.

وخرج الكتاب مكونا من مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، ثم فهرس عام لموضوعات البحث.

وفي المقدمة بينت الأسباب الدافعة لاختيار الموضوع، ومنهجي في البحث، وفي التمهيد عرفت بالمصطلحات الآتية: المنهج، الدعوة الإسلامية، البطالة ، التدابير.

وأما الفصول الخمسة فهي كالتالي:

الفصل الأول: البطالة في ميزان الإسلام.

الفصل الثاني: منهج الإسلام في علاج البطالة.

الفصل الثالث: وسائل علاج ومواجهة البطالة في ضوء الإسلام.

الفصل الرابع: الجانب العملي في علاج الإسلام للبطالة.

الفصل الخامس: خصائص المنهج الإسلامي.

والخاتمة اشتملت على أهم النتائج، وأهم التوصيات، ثم قائمة بالمراجع والمصادر.

ثم فهرس عام لموضوعات الكتاب.

وبعد فهذه أول مؤلفاتي أنشرها بغية نشر علم ينتفع به المسلمون في شرق الأرض وغربها، والله أسأل أن ييسر للأمة ما يرفع عنها إصر المشكلات وحل الأزمات، وأسأله أن يرزقنا علما نافعا ينفع الأمة في حاضرها ومستقبلها، وعملاً صالحًا يبيض وجوهنا يوم القيامة، وقلبًا خاشعًا لله من غير رياء ولا سمعة، إن ربي ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

القاهرة في جمادى الآخرة ١٤٣١ هـ

الموافق يونيه ٢٠١٠ م

الأمير محفوظ أبو عيشة

التمهيد

وفيه التعريف بالمصطلحات الآتية :

أولا : معنى المنهج :

المنهج: اسم مصدر من الفعل نهج، ينهج بمعنى المنهاج ويجمع على مناهج، وهو الطريق الواضح[1]، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

والمنهج في الاصطلاح الدعوى: «الطريق البين الذي يسلكه الداعية تجاه المدعو، على أساس علمي، لتحقيق الهدف من العمل الدعوى»[2] ، من خلال هذا التعريف يتبين أن الداعية ذو عمل منهجي منضبط بأسس علمية، بهدف إصلاح فاسد، أو حث على خير، أو حل لمشكلة من المشكلات.

وإذا كان الهدف من استخدام المنهج، البحث عن حل مشكلة من المشكلات فإن الأمر يستلزم التعرف على المشكلة توصيفًا وتعريفًا، ومدى خطورتها، ويستلزم أيضا ضرورة بيان حقائق الإسلام المأخوذة من الدين الإسلامي لعلاج المشكلة، كما يستلزم بيان الوسائل التي اتخذها الإسلام لتقديم منهجه في علاج هذه المشكلة الخطيرة.

ثانيا : معنى الدعوة:

يتضح معنى الدعوة الإسلامية من ناحيتين، الناحية الأولى: اللغة، الناحية الثانية: اصطلاح العلماء.

---

(١) الراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، ص٥٠٦، مختار الصحاح،دار الحديث ص٦١٨، المصباح المنير، دار الحديث،٣٧٢.

(٢) «منهج الدعوة إلى الله تعالى» حسين مجد خطاب ص ١٧،ط، مكتبة الأزهر الحديثة، طنطا. الثالثة ٢٠٠١

١ - **الدعوة الإسلامية في اللغة** : تعددت الاستعمالات اللغوية لكلمة دعوة، وهي مصدر دعا يدعو دعاء أو دعوة، فتأتي بمعنى النداء والدعاء، والسؤال، والاستغاثة، وطلب الشيء والحث على قصده، والتسمية، وادعاء النسبة، والابتهال.

أما الدعوة بمعنى النداء والدعاء فقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة:١٧١]. ويستعمل اللفظ بمعنى السؤال فتقول: دعوته إذا سألته قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الأعراف:١٣٤]. كما يستعمل اللفظ بمعنى التسمية، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣]. ويستعمل بمعنى الاستغاثة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]. تنبيهًا أنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا إلا إليه ولم تستغيثوا إلا به، ويستعمل اللفظ ويراد به الطلب والحث على قصد الشيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥]. وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]. وقال ﷻ: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤١]. كما يفيد لفظ الدعوة معنى الابتهال والرجاء يقال: دعا الله تعالى، أي رغب إليه، قال تعالى: ﴿وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[مريم:٤٨]. فلفظة الدعوة تستعمل إذن عدة استعمالات لعدة معان، فهي من الألفاظ المشتركة، ومعناها يتحدد من سياق الجملة التي يقع فيها لفظ الدعوة.

والاستعمال الأصلي للكلمة والذي ينظم هذه المعاني كلها هو مطلق الطلب والحث على قصد الشيء؛ فالطلب قد يكون مع الحث وقد لا يكون، والحث طلب بإلحاح، قال الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني: «الدعوة في اللغة مطلق الطلب يقال: دعا الشيء: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء حثَّ على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعا إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين والى المذهب: أي حثه على اعتقاده وساقه إليه»(١)، هذا هو المعنى اللغوي لكلمة الدعوة.

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، دكتور محمد أبو الفتح البيانوني ، ص١٦، ط مؤسسة الرسالة الثالثة، ٢٠٠١.

٢ - معنى الدعوة اصطلاحًا:

تعددت أقوال العلماء في تعريف الدعوة الإسلامية تبعًا لاختلافهم في تحديد معنى الدعوة من جهة، وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى، فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها تبليغ، وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم، وهناك من مزج في معنى الدعوة بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة إليه، يقول الدكتور رءوف شلبي: «مفهوم الدعوة الإسلامية عندما يطلق كاصطلاح يكون تصوره هو: الحركة الإسلامية في جانبيها: النظري، والتطبيقي من حيث إنها حركة بناء ودفاع: أما جانب البناء، فهو عرض وشرح وبيان من أجل إقامة المجتمع الإسلامي، أما جانب الدفاع فهو مجابهة الخصوم مطلقًا لتسلم الدعوة ودولتها»[١]، والدعوة الإسلامية في تصور آخر تمثل أمورًا ثلاثة، فيقول دكتور محمد يوسف حمودة: «والدعوة هي الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحض على الطاعة والتحذير من المعصية»، والدعوة أيضًا الدين فدعوة الإسلام والدعوة الإسلامية أو دعوة الرسل هي الدين: وهي العلم الذي يعد العلماء المتخصصين لتبليغ هذا الدين في الداخل والخارج، من أصول ووسائل وإعداد مناهج وغير ذلك ويكون مفهوم الدعوة هنا: «توجيه الطاقات وإعدادها لتبليغ الدعوة إلى الله ﷻ فتنصهر العلوم في بوتقة علم الدعوة حتى يتم الإعداد والتبليغ»[٢].

ويدور مفهوم الدعوة الإسلامية عند بعض العلماء بين الخصوص والعموم فيقول دكتور محمد طلعت أبو صير: (وتعرف الدعوة بأنها: «حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للفوز بسعادة العاجل والآجل» كما تعرف بأنها: «نقل الأمة من محيط إلى محيط بتبصيرها بأمور دينها ودنياها على قدر الطاقة الإنسانية»)[٣].

---

(١) «المجتمع العربي قبل الإسلام» دكتور رءوف شلبي ص ٢٩.

(٢) «الدعوة الإسلامية أصولها ووسائل تبليغها» دكتور محمد يوسف حمودة ص ٣٦.

(٣) «الدعوة الإسلامية ودعاتها» دكتور محمد طلعت أبو صير ص ٥.

وبعد فإن الدعوة الإسلامية إذن قد اختلف العلماء في تعريفها، والذي ينبغي توجيه النظر إليه في تعريف الدعوة اصطلاحًا بيان ما للدعوة من معنى مصدري، ومعنى اسمي حتى يتضح مفهوم الدعوة، فالمعنى المصدري يفهم منه معنى التبليغ ووسائله، يقول الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني: «أرى أن تعرف الدعوة الإسلامية اصطلاحًا بأنها تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[1].

والمعنى الاسمي للدعوة يفهم منه الإسلام والدين، يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: «نقصد بالدعوة، الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]. والمقصود بالدعوة إلى الله، الدعوة إلى دينه وهو الإسلام، فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها»[2]، والنبي ﷺ هو أول داع قال الله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤٦].

وهذا المعنى الاسمي هو الأنسب للمقام الذي نحن بصدده في التعريف، وبناءً عليه يصير معنى الدعوة الإسلامية في العنوان: «بيان حقائق الإسلام المأخوذة من الدين الإسلامي لعلاج البطالة، من حيث الوسائل والأساليب التي اتخذها لتقديم منهجه في علاج هذه المشكلة الخطيرة».

لقد جاء الإسلام ليخاطب الإنسان أيا كان لونه أو لغته أو عِرقه، يخاطب فيه العقل، والوعي، وما أكثر الآيات القرآنية التي تحث على التدبر والتفكر، فرسالة الإسلام عالمية للناس أجمعين، قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨]. فهذه العالمية في الدعوة الإسلامية لم تكن مزية مُدَّعاة للإسلام، بل هي حقيقة من حقائق الدعوة الإسلامية، إذ هي عود بالإنسان إلى فطرته التي لم تُشَبْ إذا ما انجرف وسط الكثير من الأقوال الاحتمالية التي إن أصابت في ناحية أخطأت في أخرى.

---

(١) «المدخل إلى علم الدعوة» دكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٧.

(٢) «أصول الدعوة» عبد الكريم زيدان ص ٥، الرسالة ٢٠٠١.

حاجة الإنسانية إلى الإسلام:

كان العالم – قبل مجيء الإسلام – في حاجة ملحة لرسالة جديدة بعد أن خفت صوت الرسل السابقين، وضاعت معالم الرسالات الإلهية التي أرسلها الله لعباده، لا فرق في ذلك بين بلاد العرب حيث البيت الحرام، وبلاد الروم المهد الثاني للمسيحية، والبلاد الهندية حيث البرهمية والبوذية، وبلاد فارس حيث الزرادشتية والمانوية، وغير هذه البلاد وتلك من أقطار العالم المختلفة.

وكانت ضرورة إرسال رسول لهداية الخلق إلى منهج ربهم حيث انحرفت البشرية عن التوحيد، والصراع السياسي المحتدم بين الفرس والروم، والتناحر القبلي في جزيرة العرب، والظلم السائد بين الناس فجاءت البعثة المحمدية بينة، وبرهانًا على إشراقية جديدة لشمس الهداية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥،٤٦]. فحمل النبي ﷺ ومعه أصحابه الكرام ﷺ أمانة الدعوة إلى الإسلام فجاب الآفاق وانتشرت شريعته السمحة.

والآن وبعد أن تقدمت البشرية في العلم الطبيعي فهل مازال الناس في حاجة إلى هداية الرسالة الخاتمة، وضرورة تبليغهم الدعوة الإسلامية؟ يقول الدكتور محمد عبد المولى جمعة: «إن الناس في حاجة إلى الدعوة الإسلامية لأنها تحمل الدين الذي تدين به لله رب العالمين وذلك باعتبارين:

الأول: أن البشرية بحاجة إلى الدين الإسلامي «عقيدة وشريعة وأخلاق» ولا يستغنى العالم عن الإسلام بحال من الأحوال، وبدونه يشقى العالم، لأن الإسلام يبني ولا يهدم، يجمع ولا يفرق، يحمل من علامات الخير ما يصله بأهل الأرض عن طريق المعايشة السليمة، والاقتناع الحر، ومن ثم كانت حاجة العالم الآن إلى الإسلام هي حاجته إلى كل علم صحيح وخطة صالحة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

والثاني: «أن البشرية في أمسّ الحاجة إلى الإسلام ككل لا يتجزأ في كل موضوعاته، وإلى كل جزء من أجزائه؛ لأنها كالأدوية التي تزيل عن العالم ما فيه من علل وأسقام تضر

البشرية، ولقد ظهر في العالم اليوم العديد من العلل والأمراض التي تكفل الإسلام لكل علة منها بوضع الدواء الشافي له، والعلاج الحاسم لأصل الداء»[(1)]، قال الله ﷻ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم:٥٢].

ولقد نصح الله ﷻ الإنسان منذ أهبطه إلى الأرض، وأنار له الطريق بهدايته سبحانه فقال مخاطبًا أبا البشرية، آدم عليه السلام وزوجه: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

إن من ينظر في أحوال الناس خاصة في هذا العصر يرى أن العالم قد حاد عن طريق الجادة، وتنكب السير مستضيئًا بالإيمان أو في رحابه، مما سبَّب له العديد من المشكلات التي يعانى منها، ومن هذه المشكلات البطالة بكل ما لها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع والاقتصاد، وإهدار القيمة في العنصر البشرى الذي كرمه الله ﷻ على جميع خلقه، وفى الحديث عن الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون فتن كقطع الليل المظلم» قلت: يا رسول الله ما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[الجن:١]. من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم**»[(2)].

---

(١) «الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة» دكتور محمد عبد المولى جمعة ص ٢١، ٢٢.

(٢) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، رقم ٢٩٠٦، وأحمد في مسنده والدارمي في سننه رقم ٣٣٣١، ٢/ ٥٢٧ واللفظ له، قال المحقق نقلاً عن ابن كثير في فضائل القرآن : قصارى هذا الحديث أن يكون من كلام الإمام علي، وقد وهَمَ بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح، على أنه روي له شاهد عن ابن مسعود ٢/ ٥٢٧.

والله يعلم ما يدفع عن خلقه العسر، وما يخفف عن عباده مشكلاتهم، وما يخرجهم من الظلمات إلى النور لأنه خالقهم، فهو أدرى بما يصلحهم، قال ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]. وقد توجهت إرادته سبحانه إلى التخفيف عن عباده قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]. من أجل ذلك فإن الناس في حاجة ماسة إلى من يعرفهم بالدعوة الإسلامية التي هي دين الله ورسالته الخاتمة الكاملة، ليسعدوا في العاجل والآجل.

ثالثا: معنى البطالة:

بداية أود أن ألقي الضوء على معنى البطالة في اللغة ثم أحاول أن أجلي معناها عند أهل الاختصاص جلاءً واضحًا بغية الاستضاءة بما يقولون:

البطالة في اللغة:

البطالة بكسر الباء وبفتحها وردت على ألسنة العرب بهما؛ فالبطالة بفتح الباء مصدر بطُل يبطُل بَطالة، بضم عين الكلمة في الماضي والمضارع وفتح فاء المصدر، أو هي مصدر بطَل يبطِل بِطالة، بكسر فاء المصدر مع فتح عين الماضي وكسرها في المضارع، تقول: بطل الأجير عن العمل فهو بطال بيّن البَطالة بفتح الباء، والبِطالة بالكسر قيل هو الأفصح، وربما قيل: «بُطالة» بالضم حملًا على نقيضها وهي ما يطلق عليه من العمالة»[1].

وقد يطلق على هذه الظاهرة العطالة بالعين بدلا من الباء والمعنى واحد بينهما، والعطالة قيل في معناها: «فقدان الزينة والشغل تقول عطلته من الحلي ومن العمل فتعطل، قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج:٤٥]. وعطل الرجل: بقي بلا عمل وهو قادر عليه، وتعطل: بقى بلا عمل»[2].

---

(١) «المصباح المنير» الفيومي ص ٣٦، «مختار الصحاح» أبو بكر الرازي ص ٥٦. والعُمالة هي أجرة العامل.

(٢) «المفردات في غريب القرآن» الراغب الأصفهاني ص ٣٣٨، المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية ص ٤٢٤.

مما سبق تبين أن البطالة لغة تعنى العطالة وفقدان العمل، وهى بفتح الباء وكسرها والكسر أفصح (*)، وأن اسم الفاعل من المادة مبطِل، واسم المفعول منها، مبطَل قال تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[غافر:٧٨].

المفهوم الوضعي للبطالة:

إن البطالة مشكلة قد انتشرت في مختلف المجتمعات على مستوى العالم بأسره، ومع جميع الأنظمة رأسمالية كانت أو شيوعية، وقد اختلف في تعريفها العلماء وهذا ما اعترف به المختصون منهم، قال أحد العلماء: «لا يوجد اتفاق بين الاقتصاديين بشأن تحديد ماهية البطالة ويرجع هذا الاختلاف إلى اختلاف الرأي حول تحديد مفهوم البطالة التي تستخدم لوصف ظواهر عديدة كما أنها تعنى أشياء مختلفة في بلاد مختلفة »(١)، وهناك تعريفات للبطالة عند أهل الاختصاص أود الإشارة إليها بغية الإفادة منها في رسم تصور عام للمشكلة بغية الوقوف على تصور حقيقي للشخص المتعطل.

فقيل البطالة هي عدم توافر فرص العمل للعمال القادرين على العمل والراغبين فيه والباحثين عنه، وقيل: إن البطالة في أوسع معانيها عبارة عن عدم استخدام عامل من عوامل الإنتاج، ولقد جرى العرف بين الاقتصاديين على استخدام مصطلح «بطالة» عند الحديث عن العمل(٢).

(*) نحن وفى إطار مواجهة البطالة نرفض أن تكون على وزن (فِعالة) فهي لا تستحق ما يستحقه مصدر الفعل زرع وصنع وتجر، رغم أن العرف اللغوي يميل إلى أن الفعل (بطل) مصدره بطالة بكسر الباء إلا أننا نميل إلى الرأي اللغوي القائل بالفتح، خروجاً من ذلك التوهم الذي قد ينشأ لدى البعض بظنه أن البطالة حرفة على وزن فعالة وذلك عرف لغة العرب مع كل فعل دال على حرفة أو عمل ومتى كانت البطالة عملاً أو حرفة لكي تأخذ صيغة فعالة الدالة على العمل.

(١) « كيف عالج الإسلام البطالة» زيد محمد الرماني ص ١٠.

(٢) المرجع السابق ص ١١.

وفى تعريف آخر: أن البطالة تتمثل في الفجوة بين النشاط الاقتصادي والعمالة، ففي الوقت الذي يزداد فيه عدد الباحثين عن العمل تتقلص وظائف بعض الأعمال في المؤسسات الصناعية ثم تعرف البطالة بأنها عدم توافر العمل لشخص راغب فيه مع قدرته عليه نظرًا لحالة سوق العمل [1].

من ناحية أخرى يذكر بعض الباحثين محددات ثلاثة لأسباب البطالة من خلال الأمور التالية: «تحديد ساعات العمل، ووضع مستوى الأجور، وحالة العامل الصحية».

فأما بالنسبة لتحديد ساعات العمل: فإن إغلاق مصنع ما لأبوابه ثلاثة أيام في الأسبوع أو إقلال ساعات العمل فيه إلى النصف من المقرر فإن التعطل هنا يسمى «بطالة» وذلك لأن المصنع خالف الوضع الطبيعي لساعات العمل المنصوص عليها.

أما بالنسبة لمستوى الأجور: فإن فئة العمال في صناعة معينة متساوية في الأجر نتيجة تساوى ساعات العمل وظروفه فإذا خفض مصنع ما في الأجر وأدى ذلك لامتناع بعض العمال عن العمل فإن ذلك يسمى «بطالة».

أما بالنسبة للحالة الصحية للعامل: فلا يمكن اعتبار العامل الذي أقعده المرض ضمن فئات المتعطلين وبالتالي فإن الشخص المتعطل هو: الشخص التام اللياقة الجسمية وليس به أي نوع من أنواع القصور الجسمي أو الصحي ورغم ذلك لم يمكنه الحصول على أي فرصة عمل » [2].

والواقع يشهد كذلك بأن العمل قد يتطلب خصائص معينة، قد تتوافر في شخص دون آخر فيطلق على الثاني متعطلًا لا محالة، غير أنه هو الذي تسبب في تعطله بعدم التحقق من متطلبات العمل من ناحية.

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر صالح ص ٢٢.

(٢) « الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة» محمد مصطفى عبد ربه ص ٢٥، ٢٦ .

ومن ناحية أخرى فإن ضعف العامل عن القيام بواجبات العمل قد يؤدي لتعطله، فالعمل قد يستلزم مواهب وقدرات معينة لم تتوافر في العمال، لذلك فإن اختلاف المواهب والقدرات وهى سنة الله في خلقه، قد يؤدى إلى تنوع الأعمال المتقنة من شخص إلى آخر، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

[الأحقاف:١٩].

وهذا الاختلاف لا يتعارض مع مبدأ المساواة الذي أقره الشرع الحنيف، لذلك فإن الإنسان المتعطل قد يكون سوء تصرفه، وقلة سعيه سببًا في بطالته عن العمل، وما على المتعطل إلا أن يناسب بين قدراته وبين العمل الذي يمارسه.

مما سبق تبين وبصورة واضحة، أن تعريف البطالة لم يكن محل اتفاق بين الاقتصاديين وعلماء الاجتماع، ولكن أقرب هذه التعريفات إلى الصواب من وجهة نظر الباحث هو قول القائل بأن البطالة هي:

عدم توافر فرص العمل للعمال القادرين على العمل، والراغبين فيه، والباحثين عنه، لأن هذا التعريف قد جمعت فيه القيود التي بها يستحق المتعطل إعانة المجتمع، بل ويستحق الزكاة أيضا حيث يكون العمل بالنسبة إليه سببًا من أسباب الحياة، وتخريج قيود هذا التعريف:

أما قيد «**عدم توافر فرص العمل**» خرج به المتعطل الذي توفرت لديه فرصة العمل المناسبة له ولكنه تركها بحثًا عن فرصة عمل أخرى ذات أجر أعلى.

وقيد «**القادرين على العمل**» خرج به غير القادرين سواء لعجز أو مرض فهؤلاء لابد أن تتوفر لهم كفايتهم على المجتمع المسلم كله من بيت مال المسلمين.

وقيد «**القادرين على العمل والباحثين عنه**» خرج به الذين يسألون الناس إلحافًا وهم يكسلون عن البحث الجاد الحقيقي عن العمل، كما خرج به الشاب القوى الذي لا مهنة له، وقنع بما هو فيه من بطالة وهمية تخيلها وفى الأساس كان هو السبب الرئيسي في بطالة نفسه مما يدفعه إلى سؤال الناس.

ويتبين كذلك مما سبق أن البطالة في مفهومها الوضعي منصبة على الإنسان فالقدرة على العمل مع فقدانه، والبحث عن العمل مع عدم إيجاده، والرغبة في العمل مع عدم الحصول عليه كل هذه أوصاف تعود إلى الإنسان المتعطل فكأن السبب الرئيسي في البطالة خارج عن الإنسان نفسه، والواقع يشهد بأن هناك مصانع تقلل من عمالتها لتقلل من نفقاتها بغية زيادة فائض الربح، وأن هناك أموالًا مدخرة غير مستثمرة في فتح مشروعات لتشغيل المتعطلين.

بيان ضرورة دراسة هذه المشكلة:

من الضروري دراسة هذه المشكلة، إذ باتت خطرًا يهدد العديد من شباب الأمة الإسلامية الذين هم عدة الأمة ووقودها الدافع لتقدمها إلى مزيد من الرقي، فإذا تعطل هؤلاء الشباب انحطت الأمة وتأخرت، غير أن القرآن الكريم يحث الإنسان على الارتقاء من خلال النظر والتفكر والعمل، فيقول الله سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[الذاريات:٢٠-٢٣].

هذه المشكلة قد رصدها علماء الإحصاء والاقتصاد، كما رصد علماء الاجتماع للبطالة آثارًا سلبية عديدة على الفرد المتعطل نفسه، وعلى المجتمع الذي يعيش فيه، وأمنه وسلامته، مما يدفع علماء الإسلام للبحث عن طرق ووسائل العلاج لهذه المشكلة، والدعاة إلى الله تعالى هم أول من يلقى عليه عبء البحث عن العلاج وذلك للمسئولية المنوطة بهم من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، قال الحق ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]. آثار البطالة السلبية من المنكرات التي يجب على الدعاة إلى الله – على بصيرة – أن يبينوها للناس، وينكروها حتى يتجنبها المجتمع.

إن الغاية لا تبرر الوسيلة؛ فكيف يعمل المتعطل عملًا من الأعمال التي تدر عليه الأموال الكثيرة؟ مع أن العمل لم يقره الشرع مثل الاختلاس، أو السرقة، أو الاحتكار الأمر الذي يجب بيانه وجوبًا شرعيًا على الدعاة إلى الله تعالى وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

إن الإسلام دين الله الخاتم الذي هيأ الله تعالى فيه من الأحكام التي تجعل الأمة في حالة إشباع دائم بما لديها من أحكام دين أكمله الله تعالى لها، وهذه الأحكام فيها العديد من وسائل علاجية لهذه المشكلة، التي باتت خطرًا يهدد العالم بأسره، لذلك كان من الضروري دراسة مشكلة البطالة من عدة زوايا - لتتضح صورتها - وتتمثل في: أسباب البطالة وأنواعها وآثارها حتى يوضع العلاج المناسب لحجم هذه المشكلة.

لقد ازدحمت أرفف المكتبات بوسائل علاج هذه المشكلة دون أن تتعرض إلى رأى الشرع في علاجها، ألم يأن لأهل العلم أن يستمعوا إلى كلمة الشرع في هذا المضمار، الذي لا يدعى أحد فيه الاجتهاد برأيه؟ فهي شريعة الله ﷻ التي هيأ الله لها من الخلود والبقاء ما دامت السموات والأرض، والتي لابد أن نستمع إليها بإنصات تام ونستوعب ما فيها من حلول للعديد من مشكلاتنا المعاصرة، يقول الحق جل وعلا: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية:١٨-٢٠].

لقد أصبح من المُلِحّ على الصعيد العلمي دراسة مشكلة البطالة ليعرف الناس كيفية التخلص منها من منظور ديني، إذ في معرفة ذلك تثبيت المؤمن على إيمانه، لأن من دعاة الغرب من ينادى بأن البطالة باتت على أبواب كل دولة من الدول، ولابد أن تدخل كل بيت مما يدعو إلى الإحباط والتشاؤم، ولكن هذه النظرة لا تتلاءم وإيمان المؤمن ففي عقيدة المؤمنين وقاية من مثل هذه الدعايات التي يجلب أصحابها بأصواتهم حتى يكسبوا جولة في طريق المصالح الخاصة والمنفعة الذاتية.

لذلك باتت دراسة هذه المشكلة من الضرورات التي يجب أن نميط عنها اللثام من حيث أسبابها وأنواعها وآثارها، ومن حيث موقف الإسلام منها، وكيف واجه هذه المشكلة؟ وكيف عالجها؟

رابعاً : التدبير

هذه الكلمة وردت في عنوان البحث وهى تحتاج إلى إزالة ما يشوبها من إبهام حتى يظهر معناها، فالتدابير جمع تدبير، وهو مصدر دبر يدبر، ومنه عبد مُدَبَّر.

قال الراغب الأصفهاني: والتدبير هو التفكير في دبر الأمور، قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[النازعات:٥]. وقيل: التدبير إجراء الأمور على علم العواقب، وهى لله حقيقة، وللعبد مجازًا قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣][1]. ولا يخفى على عاقل أن التدابير الواقية من البطالة قد يسرها الله ﷻ في الأرض من خلال تقدير الأقوات، وتسخير كونه وموارده للإنسان، لذلك كان التدبير لعلاج البطالة على الحقيقة مما تختص به العناية الربانية، والإنسان ليس له من ذلك إلا الانتفاع بها يسره الله له من أسباب الحياة والعيش.

يقول ابن عطاء الله السكندري: «إن التدبير للدنيا على قسمين: تدبير الدنيا للدنيا، تدبير الدنيا للآخرة، أما تدبير الدنيا للدنيا هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخارًا واستكثارًا، وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر والمكاسب والغراسة ليأكل منها حلالًا، ولينعم بها على ذوى الفاقة إفضالًا، وليصون بها وجهه عن الناس»[2].

إن التدابير الدعوية الواقية لعلاج البطالة هذه النظرة الإسلامية السامية لهذا الكائن البشرى إذ هو المخلوق المكرم، فلابد أن يعمل لأن العمل حق من حقوقه، وضرورة من ضروريات الحياة، وسنة من سنن الاجتماع بين الناس وفطرة الخلق، ومن التدابير أيضًا بعض الوسائل التي واجه بها القرآن الكريم مشكلة البطالة مواجهة حاسمة كانت الغلبة فيها لبذل الفرد الإنساني جهده تعبدًا لله رب العالمين.

****

---

(١) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص١٦٥، التعريفات للجرجاني ص٧٦.

(٢) «التنوير في إسقاط التدبير» ابن عطاء الله السكندري، ص٤٦.

الفصل الأول

البطالة في

ميزان الإسلام

- الراهن الحضاري ومشكلة البطالة.
- أسباب مشكلة البطالة في ضوء الكتاب والسنة.
- أنواع البطالة.
- آثار البطالة من منظور إسلامي.



المبحث الأول

الراهن الحضاري ومشكلة البطالة

التمهيد

إن مشكلة البطالة تحتاج قبل الخوض في علاجها محاولة تشخيص مكمن الداء فيها، من خلال نظرة في الواقع الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية والإسلامية – بفضل من الله ونعمة – مع بيان علاقة ذلك بالراهن الحضاري الذي يعيشه المجتمعات العالمية بمشكلة في ضوء مشكلة البطالة، وأثره في استفحال المشكلة على الصعيد الإسلامي والعالمي.

وسوف يتم تشخيص أسباب البطالة في ضوء من كتاب الله وسنة النبي ﷺ مع بيان أنواع البطالة، والنظر في آثارها بغية الوقوف على حقيقة المشكلة في التصور الإسلامي للبحث في الوسائل، والتدابير الإسلامية في علاجها ومواجهتها.

المطلب الأول: الراهن الحضاري:

إن الراهن الحضاري هو الحالة الراهنة التي يمر بها العالم، من نظام اقتصادي له أثر كبير على مشكلة البطالة، هذا النظام هو ما يسمى بالعولمة.

والعولمة في اللغة: «على وزن (فوعلة) وهو من الأوزان الدالة على القسر والإجبار وهى تعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، ووصف روجيه ودي جار العولمة بأنها قطبية في العلاقات الدولية وضد الهويات الثقافية والدينية لكل الحضارات الأخرى»[1]، وفى بيان مفهوم العولمة يقول صبري عادل إبراهيم: «وقد تعددت مفاهيم العلماء حولها، غير أن الأبرز فيها ثلاثة أمور: العولمة السياسية، والعولمة الاقتصادية، والعولمة الثقافية، فهي تعتمد على الأحادية في كل ذلك أي أرض بلا حدود، وسوق بلا حدود، وثقافة بلا حدود»[2]، ولا شك أن العولمة امتداد طبيعي للنظام الرأسمالي الذي نشأ في أوربا

---

(١) «القيم الدينية وثقافة العولمة» دكتور الصاوي الصّاوي أحمد ص ٦٦.

(٢) « العولمة الاقتصادية الفوائد والمحاذير» صبري عادل إبراهيم ص٦٨.

وذلك إثر ثورة عنيفة على الظلم في الحياة الاقتصادية، والحكم الاستبدادي في الحياة السياسية، وجمود الكنيسة وما إليها في الحياة الفكرية.

العولمة وعلاقتها بالرأسمالية:

إن العولمة امتداد طبيعي للرأسمالية، لأن للتجارة والصناعة دخلًا واضحًا في أصل نشأة كل منهما، ولأن الرأسمالية صورة صغرى من عولمة الاقتصاد والاستثمار، ولقد بين ذلك الدكتور جودة أحمد، فقال: «لقد كانت الرأسمالية في بداية عهدها تتسم بالطابع التجاري، وتعتمد على التجارة في تنشيط حركتها، ومن ثم أطلق عليها رجال الاقتصاد اسم «الرأسمالية التجارية» لأنها قامت على التجارة، فلما حدثت الثورة الصناعية في صدر القرن التاسع عشر الميلادي، باختراع الآلة الصناعية، وتحولت الرأسمالية إلى ما أطلق عليه «رأسمالية صناعية» اجتمعت لها كل أسباب القوة الذاتية حتى صارت ذات تأثير على المجتمع العالمي كله، ولئن كانت الرأسمالية قد نشأت في بداية عهدها في المجتمع الأوربي وخاصة إنجلترا، فإنها أخذت في التسلل إلى بقية المجتمعات ومنها المجتمعات الإسلامية، وساعد على ذلك الاستعمار الغربي لبلاد أفريقيا وآسيا» [1]، فعلاقة الرأسمالية بالعولمة علاقة الجد بالحفيد وما بينهما من وشائج القربى والدم؛ فإن صَلُح الأصل صَلُح الفرع.

مفاسد الرأسمالية:

ولقد ثبت ذلك الامتداد الطبيعي للرأسمالية وهذا النمو السريع على حساب البيئة والإنسان والأعراف والأخلاق تحت ستار الحرية، فهذا منطق العولمة اليوم التي تطوع كل شيء لمصلحة الأغنياء – وهم أفراد قليلون – حتى ولو كان ذلك على حساب بطالة آلاف الأيدي العاملة، ويعتبر من مفاسد رأسمالية الأمس وعولمة اليوم ما بينه أحد العلماء فقال: «كشفت التجربة الواقعية المآسي التي عادت على المجتمع البشرى بأضرار فادحة منها:

---

(١) «محاضرات في النظام المالي في الإسلام» دكتور جودة أحمد جودة، ص٣٩.

١- إهدار القيمة الحقيقية للإنسان:

فالنظام الرأسمالي أهدر هذه القيمة الحقيقية للإنسان، حيث يقوم على فكرة «الفردية» بمعنى تحقيق مصلحة الفرد الشخصية ومنفعته الذاتية، ذلك أن هذه الفكرة تصور الإنسان تصويرًا ماديا خالصًا، فتجعل قيمته في رأس ماله وغايته المنفعة الخاصة دون اعتبار للجانب الروحي الذي هو قيمة الإنسان الحقيقية، ومن ثم فإن الإنسان في هذا النظام واحد من اثنين: إما غنى طاغية يعيش حياته في سبيل تكثير ثروته واكتنازها، من الطبقة العليا، وإما فقير معدم مستعبد لأصحاب رؤوس الأموال، من الطبقة الدنيا، ولاشك أن هذا أدى لكثير من العلل الاجتماعية، الطبقية أظهر هذه العلل وأقلها.

٢- إهدار القيم الأخلاقية.

إن النظام الرأسمالي نظام علماني مادي، يقوم على الفردية والأنانية، ويطلق الحرية الاقتصادية للفرد دون قيد يحول بينه وبين مصلحته الذاتية، فترتب على ذلك إهدار القيم الأخلاقية التي تحكم العلاقات بين الأفراد والجماعات، فأقصيت الأخلاق من الحساب ولم يلحظ لها وجود في ذلك النظام، وهذا ما جعل كثير من مفكري الأمة اليوم الدعوة لاستعادة منظومة القيم الإنسانية الخُلُقِية.

٣- المفاسد الاقتصادية:

ظهرت العديد من المفاسد الاقتصادية من العولمة، منها ما يلي:

(أ) انتشار المعاملات الربوية، والتجارة في المحرمات الشرعية، وذلك بحجة حرية التجارة والحرية الاقتصادية.

(ب) عموم البطالة في الأفراد حيث استغنى صاحب رأس المال بالآلة الحديثة عن الأيدي العاملة لتقليل نفقاته.

(جـ) الاحتكارات[1]، وذلك تحت فكرة المنافسة بين الأفراد.

(د) إنتاج الكماليات والترويج لها وإهمال الضروريات [2]، إلى غير ذلك من المفاسد التي شهدها العالم بسبب الرأسمالية التي تطورت واستفحلت حتى صارت عولمة في الاقتصاد، وأدت إلى بطالة كثير من الشعوب عن ممارسة حقوقها المشروعة.

المطلب الثاني: (العولمة وعلاقتها بالبطالة).

إن العولمة نظام أفرزته الدول الكبرى الغنية، فهو مصمَّم في المقام الأول لتحقيق الرفاهية والمزيد من الثراء، أما الدول الفقيرة فهي بالنسبة لهم كالمادة الخام التي تستغل مواردها الطبيعية، وفى نفس الوقت تكون سوقًا تصرف فيه ما يفيض عن حاجتها، كما أنه يقول أهل الاختصاص: «إن ٢٠٪ من السكان العاملين سيكفون في القرن القادم للحفاظ على نشاط الاقتصاد الدولي، وبعبارة أخرى خمس قوة العمل سيكفى لإنتاج جميع السلع، ولكن ماذا عن الباقين ٨٠٪ من السكان العاطلين وإن كانوا يرغبون في العمل؟ فإنهم سيواجهون مشاكل عظيمة لا ريب» [3]، هذا بالنسبة للعاملين على مستوى العالم، وإن كانت نظرة مبالَغا فيها ولكنها مؤشر خطر.

إن نظام العولمة إذن ذو تأثير إيجابي، فزيادة عدد المتعطلين على مستوى العالم وذلك من خلال أحد طرق من ثلاثة هي الآتية: «تسريح العمال، والعمل المؤقت، وتخفيض الأجور»، وسوف أفصل القول في هذه الأمور الثلاثة بغية معرفة مدى علاقة العولمة بزيادة نسبة البطالة في العالم، ويتبين ذلك من الاستضاءة بما أوضحه أهل الاختصاص بنظرة واعية لهذه المشكلة، وتأكيد أن العولمة ذات أثر حقيقي وواقعي في زيادة نسبة مشكلة البطالة في العالم كله.

---

(١) الاحتكار هو شراء الشيء وحبسه- وخاصة في الأقوات- ليقل بين الناس فيغلو سعره، ويصيبهم بسبب ذلك الضرر، قال الجرجاني: الاحتكار حبس الطعام لوقت الغلاء، التعريفات ص ٢٦.

(٢) «محاضرات في النظام المالي في الإسلام» دكتور جودة أحمد جودة ص ٤٧ وبعدها بتصرف.

(٣) «الفكر الإسلامي ومستجدات العصر» محمود القليني ص ٧٧. «فخ العولمة»هانس بيتر مارتن وآخر ترجمة عدنان عباس ص ٣٩.

أولا: تسريح العمال

أما بالنسبة لتسريح العمال من أعمالهم بسبب قلة الإنتاج أو عدم الربح أو بسبب عدم حاجة العمل إليهم لكونهم عمالة زائدة على المنشأة الصناعية، فقال أحدهم: «إن العديد من الفروع الصناعية يعلن عن وجود تراجع في الإنتاج، وزيادة في العمالة تفوق قدرتها وفترة العمل قصيرة وضخامة حجم العمالة الزائدة، مما يؤدى إلى تهديد العاملين في الفروع الصناعية العديدة بالتسريح أو بالتقليل من قيمة مهاراتهم المهنية، إنهم ضحايا لانتشار الميكنة الصناعية» (١)، وقال آخر: «كانت أعداد العمال المسرحين في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الواقعة بين سنة ١٩٧٩ وسنة ١٩٩٥ بلغ ٤٣ مليون شخص» (٢).

وسواء أصابت هذه الإحصاءات العدد الحقيقي للعمال المسرحين من أعمالهم، أم لم تصب، فإنه يكفي أن تكون بمثابة إقرار بواقعية هذا الإشكال من تسريح للعمال من المصانع بسبب الجري وراء زيادة الربح؛ فالحقيقة المحزنة هي أن تقليص فرص العمل يخدم مصلحة قلة من أصحاب الأسهم في كبرى الشركات، قلة من قادة كبرى المؤسسات الاقتصادية.

إن الإسلام قد شرع عدم التعسف في استعمال الحق؛ حيث إن صاحب المصنع مع أن له الحق في تسريح من شاء من العمال، لكن هذا يعتبر من التعسف في استعمال هذا الحق ينهى عنه منطق الفطرة وحكمة العقل؛ لذلك قال الله ﷻ للأزواج إذا أرادوا طلاق أزواجهم: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ﴾ [البقرة:٢٣١] فالمرأة عون للرجل والمراد من التسريح: الطلاق، ويستدل بالآية الكريمة على أن التعسف في استعمال الحق يأباه الشرع الحنيف، وينهى عنه، كذلك ينبغي ألا يتعسف أصحاب المصانع في تسريح العمال لما يترتب على ذلك من أضرار فادحة نفسية واجتماعية للعمال، فضلا عن زيادة عدد المتعطلين في المجتمعات، فالعمل حق من حقوق الفرد على مجتمعه، وواجب عليه تجاهه وحياة للجميع.

---

(١) «من الحداثة إلى العولمة» تيمونز روبيرتس، إيمى هايث ص ١١٨.

(٢) «فخ العولمة» ص ٢٠٤.

ثانيا: العمل المؤقت

أما عقود العمل المؤقتة، فهذا سبيل للتقليل من مخاطر البطالة حتى لا تتعاظم على العلاج، وعلى سبيل المثال: «في فرنسا فإن المؤسسات تخفض عدد عامليها على نحو مستمر، ومعدل البطالة بها زاد على ١٢٪ وإلى جانب هذا هناك ما يقرب من ٤٥٪ من مجموع العاملين يتعين عليهم التعايش مع عقود عمل مؤقتة، أو بعقود عمل لا تحميهم من التسريح المفاجئ، فإن ٧٠٪ من كل فرص العمل الجديدة كانت في عام سنة ١٩٩٤ مؤقتة لا غير، ويسرى ذلك كله في معظم دول أوربا»[١]، وليس الشرق العربي بمنأى عن مثل هذه المؤثرات التي زادت من عدد المتعطلين ببلاد الإسلام.

إن العمل حق من حقوق الإنسان الاقتصادية التي تكفله الدولة للشخص[٢]، من خلال الدين الإسلامي والقانون الدولي والإقليمي، لعمل حق العامل ينبغي أن يستقر فيه ويشعر بالاستقرار، ويطمئن حتى يتقن عمله؛ وينجز فيه فيزداد الإنتاج، أما إذا كان عكس ذلك فإن العامل سوف يتأثر إنتاجه سلبًا فضلًا عما يصيبه من علل اجتماعية ونفسية أخرى.

ثالثا: خفض الأجور

يقول أحد المحللين الاقتصاديين: «في بلدان منظمة «التنمية والتعاون الاقتصادي»[٣]، تقلص عدد فرص العمل ذات الأجر المرتفع على نحو أسرع، وفى عام ١٩٩٦ م زاد عدد الباحثين عن العمل على ٤٠ مليون مواطن في بلدان هذه المنظمة ولكن من غير جدوى، ثم ينخفض المستوى المعيشي على نحو سريع في الأمم الرائدة في الاقتصاد العالمي»[٤]، وذلك بسبب العولمة الاقتصادية وأممية رأس المال.

---

(١) «فخ العولمة» ص ٢١٥، «العولمة الاقتصادية الفوائد والمحاذير» صبري عادل إبراهيم ص ٦٨.

(٢) «حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام» أسامة الألفي ص ٤٢.

(٣) منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي: تجمع بين ٢٣ دولة صناعية غنية وخمسة بلدان أخرى فقيرة.

(٤) «فخ العولمة»، ص ١٨٠

ويضرب مثال لذلك بصناعة جديدة مثل: صناعة برامج الكمبيوتر انخفضت أجور بعض العاملين فيها، وذلك أن: «العاملين في صناعة برامج الكمبيوتر في الولايات المتحدة الأمريكية هم أول من يعرف ذلك حينما بدأوا منذ عقد من السنين استخدام خبراء جدد من الهند بأدنى الأجور، فالكثير من الشركات نقلت أجزاء من تصنيع نظم المعلومات إلى الهند مباشرة وفى سنوات قليلة صارت مدينة «بنجالورا الهندية» المدينة الإلكترونية المتطورة، وبلغ عدد العاملين في صناعة إنتاج برامج الكمبيوتر في شبه القارة الهندية اليوم ١٢٠ ألفا، والدافع للتوسع باتجاه الهند سببان: الأول: كون العاملين تخرجوا من جامعات جيدة، الثاني: أنهم مع ذلك أرخص أجرًا من زملائهم الشماليين» [١]، وعلى أية حال خفض أجور العمال أثر من آثار آثار هذا الأسلوب الواضح في الاقتصاد العالمي بعد منتصف القرن العشرين المسمى بالعولمة،وبعد فهذه الأمور الثلاثة السابقة «تسريح العمال، وعقود العمل المؤقتة، وانخفاض الأجور» تعتبر من الآثار الاقتصادية السلبية للعولمة كنظام اقتصادي عالمي قائم على أممية رأس المال [٢]، وقد دفع إلى زيادة أعداد المتعطلين، فبات من المُلِحِّ البحث عن المخرج من وطأة هذه المشكلة، لكن قبل ذلك أود أن نتعرف على حاملات بذور العولمة من دولة لأخرى، ومن إقليم لآخر، لأنها الأداة الكبرى لنشر ثقافة العولمة على الصعيد العالمي.

رابعًا: حاملات بذور العولمة:

إن الشركات متعددة الجنسيات، تعد بمثابة حاملات بذور العولمة إلى أي وطن تحط فيه، فتلك الشركات ليس لها وطن تكن له بالولاء، وليس لها قيم تنتمي لها، وليس لها مبادئ تحافظ عليها فدينها المال، وعبادتها الربح المادي، وهى تسخر كل ما حولها لتحقيق أعلى نسبة من الربح.

---

(١) "فخ العولمة" ص ١٧٦ وما بعدها.

(٢) المراد من أممية رأسمال: أي قائم على شراكة عالمية بين أفراد مختلفي الجنسيات بآلاف الملايين من العملات العالمية، وتظهر أممية رأس المال من خلال الشركات عابرة القارات.

يقول الأستاذ محمود القلليني: «لأن العولمة تعنى عالمية التسوق إنتاجًا واستهلاكًا على حد سواء، فإنها تتعارض مع مفهوم الاقتصاد الوطني ولا يعنيها في شيء مصلحة اقتصاد البلد الذي تعمل فيه، وهذه الشركات العملاقة تعمل وفق مبدأ المنافسة فتسعى للحصول على إنتاج جيد بجودة عالية، وسعر أقل، ويد عاملة أرخص، واستثمارات أقل تكلفة»[١].

ولقد أدى اندماج الشركات الكبرى إلى تسريح العمال، وأنكر العقلاء ذلك حيث قال أحد الأساتذة في جامعات أوربا: «حينما تندمج الشركات الكبرى مع كبرى مؤسسات العالم، مع أن أداءها على أفضل نحو وتلغيان خمسة عشر ألف فرصة عمل، فإن هذا الاندماج لا يمكن أن يكون أمرًا واجبًا تمليه عليهم الإرادة الإلهية ممثلة «بالسوق الحرة» بل هو حصيلة تهافت قلة على جني الأرباح»[٢].

كلمة لابد منها:

إن الراهن الحضاري يشهد بهذا التدهور في أحوال العاطلين، لصعوبة الحصول على فرصة العمل المناسبة، وزيادة أعداد العاطلين، وانخفاض الأجور ولذلك كله أسباب يختزلها الاقتصاديون في كلمة واحدة فقط هي «العولمة»[٣]، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]. لقد تطلع بعض الغربيين إلى نظام أكثر إنسانية ورحمة من النظام الرأسمالي فيقول: «بعدما حولت الرأسمالية وجه الأرض تحويلًا متسارعًا في السنوات الثلاثمائة الأخيرة، من غير المحتمل أن تستمر على ذلك، وعلينا أن نفكر بشأن النظام الاجتماعي الذي يجب أن يحل محله»[٤].

---

(١) «الفكر الإسلامي ومستجدات العصر» محمود القلليني ص ٨٤ وبعدها.

(٢) وكان القائل هو: دكتور كريستوف شون برن، درس في جامعة فريبرج السويسرية، وهو مطران مدينة فيينا .«فخ العولمة» ص ٢١٧، «العولمة الاقتصادية الفوائد والمحاذير» ص٣٧.

(٣) «فخ العولمة» ص٤٢.

(٤) «من الحداثة إلى العولمة» ص ١٧٦.

وبناء على ذلك فإن النظام الاجتماعي الذي يصلح ولا يفسد، يعمر ولا يدمر ويعين ذوى البطالة بخلق فرص العمل لهم، ويعينهم على تحقيق الكفاية لهم ولمن يعولون هذا النظام هو الإسلام، دين الله الخاتم، الذي ارتضاه لعباده الصالحين؛ فالله الذي خلق الإنسان وسخر له الكون كله وأمره بأن يسير في الأرض سير اعتبار واكتساب لابتغاء الرزق والأجر، فقال الله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥].

والإسلام هو هذا النظام العام والشامل الذي نظر إلى الإنسان جسمًا وروحًا، هيأ الله ﷻ، فيه كفاءة في الحلول والتوسع في كل ما يفيد العباد والبلاد، من خلال اجتهاد المجتهدين، ولقد ترك الرسول ﷺ، وخلفاؤه الراشدون ﷺ، وعلماء الإسلام العديد من الوسائل والطرق التي فيها علاج للبطالة بكل ما نتج عنها من آثار، وما تسبب لها من أسباب، وسوف يقف الباحث على طرق من تلك الوسائل والتدابير لنتعرف على مدى الكمال في الدين الإسلامي، إذ عالج المشكلة من جوانبها، وبكل وسيلة ممكنة.

****

المبحث الثاني

أسباب مشكلة البطالة في ضوء الكتاب والسنة

إن من الضرورة بمكان معرفة أسباب مشكلة البطالة، بغية إظهار المشكلة على حقيقتها، وترجع ضرورة ذلك، من وجهة نظري لأمور:

الأمر الأول: أمر الله ﷻ الأمة بأخذ حذرها من كل ما يوهنها أو يضعفها، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾ [النساء:٧١]. إذ يأمرنا الله ﷻ، بأخذ حذرنا، ولن يتم أخذ الحذر من أي مشكلة إلا بمعرفة حقيقتها لتلافي أسبابها والوقاية منها.

الأمر الثاني: أمر الله ﷻ الأمة بالتبين قبل الحكم على الأشياء، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات:٦].ومعرفة أسباب مشكلة البطالة تحقيق لهذا التبين بمتابعة حصر أسباب المشكلة تحقيقًا للمنهجية الإسلامية في معالجة المشكلات.

الأمر الثالث: أمر الله ﷻ في اتباع الأسباب عند معالجة أمور الحياة بصفة عامة، قال الله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف:٨٥]. وحتى لا تذهب جهود العلماء سدى فينبغي أن يتعرضوا لدراسة أسباب المشكلة؛ فمعرفتها من المنهجية السليمة في علاج أية مشكلة، من أجل ذلك لابد من معرفة أسباب مشكلة البطالة وقوفًا على المنهج المناسب عند علاج تلك المشكلة.

وأسباب البطالة من الخطورة بمكان إذ تعددت وتنوعت؛ فرأيت أن أضعها في مطلبين: المطلب الأول الأسباب الاقتصادية للبطالة، المطلب الثاني الأسباب الأخلاقية للبطالة.

المطلب الأول: الأسباب الاقتصادية للبطالة.

مما لا شك فيه أن الإسلام جاء بنظام اقتصادي عظيم، يصلح شؤون العباد في كل زمان ومكان، شهد الله له بالكمال يقول الله سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]. يقول دكتور عبد الكريم زيدان: «وهذا

النظام الاقتصادي في الإسلام قائم على أساس من العقيدة مع مراعاة الفطرة ومعاني الأخلاق، والتأكيد على سد حاجات الإنسان الضرورية للحياة، لكن الناس ذهلوا عن ذلك فأصيبوا بالمشكلات»[1]، فمن أسباب البطالة اقتصاديًا.

١-سوء التخطيط.

إن سوء التخطيط[2]، أحد أسباب البطالة اقتصاديا ويظهر سوء التخطيط في مظاهر عدة منها:

(أ) غياب تحقيق التوازن بين الطاقة البشرية وحجم العمل المطلوب؛ فالبطالة وهى عدم توافر فرص العمل للعمال القادرين على العمل، والراغبين فيه، والباحثين عنه؛ فبينما توافرت الطاقة البشرية الراغبة في العمل، تناقصت الأعمال وهذا بسبب عدم التخطيط الذي يوازن بين الطاقة البشرية وحجم العمل.

(ب) غياب إعداد الكوادر العلمية التي تخطط.

(جـ) غياب إعداد الكوادر العمالية المتخصصة في كل مجال من المجالات الحرفية التي تحتاج إلى مهارة عالية وذلك بسبب نقص كفاءة مراكز التدريب والتعليم الفني الصناعي.

(د) عدم استثمار النعم والخيرات الإلهية في الكون استثمارًا عمليًا؛ فالله تعالى قدر للبشرية كلها أقواتها في الأرض، قال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر:٢٠]. فالإنسان الذي عطل قواه عن استخراج الخيرات الإلهية، مع كفالة الله سبيل العيشة الكريمة في الحياة لجميع خلقه؛ لكن سوء التخطيط تسبب في ظهور البطالة.

---

(١)« أصول الدعوة » دكتور عبد الكريم زيدان ص٢٤٢.

(٢) التخطيط : هو وضع خطة مدروسة للنواحي الاقتصادية والتعليمية والإنتاجية وغيرها للدولة، المعجم الوجيز ص ٢٠٣.

(هـ) الاشتغال بما ليس هامًا ولا مهمًا من الأعمال والمكاسب بغية سرعة ربح مادي منها، في حين هجران المكاسب والأعمال الأساسية من صناعية، وزراعية، وتجارية، وبحثية بلا اهتمام أو إنفاق.

(و) خفض الأجور عن مستوى الأسعار، فانخفاض الأجور بدرجة لا تكفى إشباع الحاجات الضرورية للحياة؛ فالعامل عندما يعمل ساعات عمل معينة يتقاضى عليها الأجر المنخفض لسد حاجاته وحاجات من يعول فهذا دافع كاف يدفع العامل لترك العمل ليبحث عن عمل بأجر أعلى، والسبب في عدم كفاية أجور العاملين لسد حاجاتهم، انعدام التوازن بين الأجور والأسعار.

(ز) إن سوء التخطيط أدى إلى ظهور ما يسمى ببطالة المتعلمين، تنبه أحد العلماء لهذا السبب حيث تخرج الكليات والمعاهد كل عام أعدادا هائلة من الخريجين، فقال: «وقد حصلوا على مؤهلات بأنواعها المختلفة يعجز سوق العمل عن استيعاب معظمهم»[1]، والمتعطل المتعلم أشد خطورة من الأمي المتعطل لأن تطلعات المتعلم العاطل أكبر وأكثر من تطلعات الأميّ العاطل، وفى كل خطورة على المجتمع.

٢- الثورة الصناعية والتكنولوجية:

إن الثورة الصناعية التي شهدها العالم منذ بداية الثورة الصناعية قبل حلول القرن العشرين ليست كلها إيجابيات، بل لها من السلبيات التي تعود على الإنسان، حيث استبدلت الأيدي العاملة الماهرة بالميكنة الصناعية مما أدى إلى بطالة الكثير من العاملين، فعلاقة التطور الصناعي بالبطالة واضحة، إذ كلما كانت الصناعة متطورة كلما تقلصت قوة العمالة، وقد اعترف أهل الاختصاص بتلك المعادلة فقال: «قد اقترن التطور التكنولوجي للصناعة بتقليص العمالة، في علاقة تناسب عكسية، فكلما ازداد التطور العلمي التكنولوجي تقلصت حاجة هذه الصناعة للاعتماد على العمالة»[2]، ولذا فإن التقدم التكنولوجي ليس كله إيجابيات، بل له من الآثار السلبية السيئة العائدة على الإنسان.

---

(١) «البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٢١.

(٢) « الجات ومصر والبلدان العربية » دكتور أسامة المجدوب ص٣٢١.

لقد قال أحد المؤرخين الغربيين: «اليوم تحل التكنولوجيا الرأسمالية التي تمخضت عنها الثورة الصناعية محل الزراعة، ويتحول عمال الزراعة إلى عمالة فائضة، مما يؤدى إلى زيادة البطالة في العالم» [1]؛ فالصناعة المتقدمة تقلل من الأيدي العاملة فإذا دخلتها التكنولوجيا الحديثة تقلصت أكثر أعداد العمالة بها، لذلك يصح اعتبار التكنولوجيا الحديثة، أحد أسباب البطالة إذ قد تدخلت هذه التكنولوجيا في معظم حياتنا اليومية.

إن أهل الذكر المتخصصين في قطاع الكمبيوتر يرون: «أن العمل البشري في هذا القطاع ظاهرة مؤقتة، حتى إن كان زهيد الأجر، وإن الاقتصاد القائم على المزيد من التكنولوجيا المتقدمة يتسبب – عن طريق إعادة الهيكلة – في تقليص فرص العمل، بل وتسريح للأيدي العاملة مما يؤدى إلى تفاقم مشكلة البطالة» [2]، فهذا يبين أثر من آثار التقدم على العنصر البشري.

ومع تمام الاعتراف بأن الإسلام كدين الله ﷻ الخاتم للبشرية لا يتعارض مع التكنولوجيا لذاتها، بل يعارض آثارها السلبية المترتبة عليها؛ فإن الإسلام الحنيف لا يقف حجر عثرة في طريق التقدم الصناعي والتطور التكنولوجي، ولكن لما كان ذلك لخدمة الإنسان، وكان الإنسان هو سيد هذا الكون فلابد أن تطوع هذه التكنولوجيا لعمل الإنسان لا لتوقفه عن العمل وبطالته، لذلك تعتبر التكنولوجيا الحديثة أحد أسباب البطالة، وليست كل التكنولوجيا بالطبع فهناك ما يساعد منها على جودة الإنتاج وزيادته، مثل تكنولوجيا الأسمدة الزراعية التي تزيد من الإنتاج الزراعي فهذه ليست من أسباب البطالة بالطبع.

٣- إنشاء المعاملات المحرمة:

إن المعاملات التي حرمها الإسلام لحكمة إلهية عليا، لأن الله ﷻ يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. خلق الإنسان ويعلم ما يصلح شئون حياته فحرّم كل ما يثقل عليه من الأعباء في حياته؛ فمن هذه المعاملات التي تسببت في البطالة ما يلي:

---

(١) المؤرخ هوستافر يانوس، انظر دكتور محمود أبو العلا، جغرافية العالم الإسلامي ص٤٦٠ ، ط مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٩١.

(٢) «فخ العولمة» هانس بيتر ص ١٧٩ وبعدها.

الـربا:

لقد حرَّم الله ﷻ الربا على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥]؛ لأنه: «يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب المال إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل المال الزائد نقدًا أو نسيئه «تأخيرًا» خفَّ عليه اكتساب وجه المعيشة؛ فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات» (١)، والمتأمل في البطالة الاختيارية (٢)، وبالأخص بطالة صاحب رأس المال، الذي يقرض المضطر المحتاج بأخذ الفائدة في مقابل الأجل يجد أن صورتها منطبقة على المتعطل الخامل الذي لا يكتسب وأقرض ماله بالفائدة الربوية.

وهو عاص في دين الله، إذ اقترف ما حرم الله، وهو عاص أيضًا لعدم عمله واكتسابه بالمعاملة التي أحلها الله لعباده بالتجارة والبيع والشراء والمضاربة؛ فالبطالة بذلك تعم المجتمع لاشك هذا الشخص المرابي له سبب فيها؛ فالربا يعطل الطاقات المنتجة ويرغب في الكسل وإهمال العمل، والحياة ترقى إذا بذل الجميع طاقاتهم الفكرية والبدنية والمالية في التنمية والإعمار، والمرابي الذي ينمى ماله بالربا يألف الكسل ويمقت السعي والعمل، ثم إن تعطيل الربا الطاقات المنتجة لا يتوقف على تعطيل طاقة المرابي وحده بل إن كثيرًا من طاقات العمل ورجال الأعمال قد تتوقف وتتعطل لأن الربا يوقع العمال في مشكلات اقتصادية صعبة، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «لقد قرر الاقتصاديون أن الفائدة لا تؤدى إلى التوظيف الكامل للأموال لأنه سيوجد من يتخذون الفائدة كسبًا لذاتها من غير نظر إلى ما يشتمل عليه من إنتاج، ويحبسون أموالهم لهذا الغرض» (٣).

---

(١) «التفسير الكبير» الإمام فخر الدين الرازي ٣/ ٦٤٧.

(٢) البطالة الاختيارية: أحد أنواع البطالة التي تتبين في تقسيم مشكلة البطالة لأنواعها.

(٣) «تحريم الربا تنظيم اقتصادي» محمد أبو زهرة ص ٦٩، «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعي ص ٢٩٧.

إن المال وسيلة إلى زيادة فرص العمل الفعلية باستغلاله في بناء المشاريع الإنتاجية والمصانع العديدة، وبذلك يكون وسيلة إصلاح للمجتمع؛ فإذا أقرض المال بفائدة لفرد واحد كان نفعه خاصًا بالمرابي ولا يكون متداولًا بين الناس فيؤدى ذلك إلى بطالة أفراد المجتمع.

الاحتكار:

ومن الأسباب الاقتصادية للبطالة الاحتكار وتظهر علاقته بالبطالة في امتناع المحتكر من طرح السلع في الأسواق مما يؤدى إلى قلة البضائع المعروضة، فيؤدى لقلة العمالة، والغرض من الاحتكار ارتفاع سعر البضائع والسلع لما تقل في الأسواق ويحتاج الناس إليها فيستغل المحتكر حاجة الناس ويرفع سعرها، قال رسول الله ﷺ: «**لا يحتكر إلا خاطئ**»[(١)]، هذا الحديث واضح في تخطئة المحتكر، وقد اعتبر العلماء أن الحكمة المناسبة لتحريم الاحتكار «رفع الضرر عن عامة الناس»[(٢)]، ولابد أن تحمى الدولة السوق من جشع المحتكرين حتى لا يتضرر صغار التجار بكساد تجارتهم بسبب احتكار كبار التجار، وقد تنبه أحد العلماء لذلك من الفقه العمري فبين: «أن الأثمان تتبع العرض والطلب في القانون التجاري فكلما قلَّ المعروض من سلعة كثر طلب هذه السلعة، وارتفع ثمنها، والعكس بالعكس؛ فالمحتكر يتخفى ويتدرج حتى يجمع من السوق صنفًا معينا ثم يختزنه حتى يبدو أمام أهل السوق أنه قل وندر، فإذا كثر عليه الطلب باعه وبالغ في سعره وغالى فيه كما شاء»[(٣)].

والإسلام إذ حرم الاحتكار في الأقوات فقد استحب جلب الأرزاق، والتفت الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لذلك المعنى فقال:«لا حكرة في سوقنا، لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا، ولكن أيما جالب جلب على كبده في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله »[(٤)]،

---

(١) أخرجه مسلم كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، ١١ / ٤٣.

(٢) «سبل السلام شرح بلوغ المرام» الصنعانى٣/ ٣٣.

(٣) «نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب» محمد محمد المدني ص ١٥٦.

(٤) «الموطأ » الإمام مالك ٢ / ٦٩، والأذهاب جمع ذهب.

ولقد قال أهل الذكر والاختصاص في بيان علاقة الاحتكار بالبطالة: «إن الاحتكار يقلل من المنافسة في السوق ويؤدى إلى كساد بعض التجارات مما يتسبب بالتالي إلى خلق بطالة في المجتمع »[1]، فالاحتكار معاملة حذر منها الإسلام لما يترتب عليه من سيىء الآثار.

٤- اتجاه الاستثمار نحو الأنشطة قليلة العمالة:

ومن أسباب البطالة المتعلقة باستثمار الأموال: «ما تشهده الآونة الأخيرة من اتجاه نحو الأنشطة قليلة العمالة والخدمية كإنشاء قرى ومنشآت سياحية، واستغلال الشواطئ، ويعيب هذا الاتجاه محدودية فرص العمل التي توفرها هذه الأنشطة بالمقارنة بالاستثمار في مجال الأنشطة الصناعية أو الزراعية أو الإنتاج السلعي، ومن ثمَّ يكون إيجاد نوع من التوازن بين المجالات الاستثمارية المختلفة أمرًا هامًّا فيما يتعلق بالمحافظة على مقدرة الاقتصاد القومي لأي دولة علي استيعاب عمالة جديدة»[2]، ولا عيب هذه الأنشطة الاستثمارية إلا في كونها تنظر لمصلحتها الخاصة دون الالتفات إلى مشكلة السواد الأعظم من شباب الأمة المتعطلين عن العمل.

٥- الإسراف وسوء استخدام الموارد:

ومن أسباب البطالة الإسراف في الإنفاق، وهو الخروج عن حد الاعتدال بالزيادة في كل التصرفات الإنسانية، وهو يؤدى لإهدار الوقت والجهد والموارد وقصورها – مع وفرتها – عن تلبية الحاجات الإنسانية، وتوفير السلع والخدمات اللازمة لإشباعها، الأمر الذي يجعل الإسراف أحد الأسباب الرئيسية لما يعانيه العالم من مشاكل اقتصادية تتمثل في عدم كفاية الموارد لتحقيق حاجات البشر، وهو ما يؤكده الواقع من إصابة البعض بأمراض التخمة والسمنة بينما يعانى أعداد متزايدة من البشر من الجوع، وفي حين يعيش البعض حياة الترف والسرف يتعطل آخرون عن العمل»[3]، لذلك نهى الله عن الإسراف فقال ﷻ:

---

(١) «الاحتكار سهم في قلب المسيرة الاقتصادية» هشام جاد ص١٧.

(٢) «الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب» دكتور محمد رفعت قاسم ص ٢١٣.

(٣)الموسوعة الإسلامية العامة المجلس الأعلى، ص ١٣٣.

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء:٥]. حرصًا على موارد الأفراد المالية؛ فالإسراف محرم على الفرد فيما يتملكه ملكية خاصة، بل نهى عن الإسراف في الأمور العادية، فقال سبحانه: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١].

والإسراف منهي عنه سواء في الملكية الخاصة أو العامة، والإسراف في الملكية العامة أشد حرمة لتعدي الضرر فيها إلى بقية أفراد المجتمع، ولاجتماع الإسراف مع الظلم للغير، وسوف نعرف كيف تصرف الخلفاء الراشدون في الأموال العامة، مع بيان دور ذلك في علاج البطالة.

إن ما يترتب على الإسراف مرض اقتصادي خطير يؤثر على المجتمع من خلال ظهور أعداد كثيرة من المتعطلين، فقد أمر الإسلام بحماية الثروة من الضياع، وحماية النشاط الاقتصادي من الركود أو ما يؤدى إليه، قال الدكتور عبد القادر سيد: «إن الإسراف يحول دون توافر أهم أسباب التنمية الاقتصادية، من تكوين رؤوس الأموال فهو يبددها؛ إذ يضعها في غير موضعها الصحيح، وبذلك تواجه الأمة مشكلة البطالة مما ينجم عنه عادة الخلل والاضطرابات في الحياة الاجتماعية»[1].

المطلب الثاني (الأسباب الأخلاقية للبطالة):

لقد فطر الله الإنسان على حب المال، ولم يقف الإسلام في طريق هذه الفطرة، ولكنه ضبطها بالعديد من التشريعات التي وَقَت المسلم من غُلَواء المال[2]، قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر:٢٠]. وقال ذو الجلال والإكرام: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات:٦-٨]. ومع عدم وقوف الإسلام ضد هذه الفطرة الإنسانية إلا أن البعض غالى في جمع المال، حتى ولو كان على حساب الآخرين، ومما أدى إلى شيوع البطالة ما يلي:

---

(٢) الأستاذ الدكتور عبد القادر سيد عبد الرءوف، أضواء على النظم الإسلامية، ص ٢٦١.

(٣) غلواء المال: حبه الشديد وشهوته، من الغلو وهو حدة الشيء، المعجم الوجيز مادة غلو.

(١) كنز المال وحبسه عن التداول:

من الأخلاق التي تسببت في انتشار البطالة في المجتمعات طمع أصحاب الأموال وحبهم المفرط لأنفسهم، فجمعوا الأموال وكنزوها، مع أن كنز الأموال وادخارها مع الحاجة إليها ذنب كبير، وقد توعد الله الكانزين بشديد العذاب فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤]. ومما لاشك فيه أن كنز المال عند وجود حالة الاحتياج في المجتمع مذموم عقلًا وشرعًا «وقد اختلف علماء الصحابة في المراد بهذا الكنز المذموم، فقال الأكثرون: هو المال الذي لم تؤد زكاته، وهذا قول عمر، وابنه عبد الله بن عمر، وجابر، وابن عباس ﷺ، أما القول الثاني: فهو أن المال الكثير إذا جمع فهو الكنز المذموم سواء أديت زكاته أو لم تؤد» [١]، والراجح هو قول الأكثرين ومعلوم أن الإنفاق الواجب هو الزكاة المفروضة، وقيل في المال حق سوى الزكاة.

ووجه كون الكنز أحد أسباب البطالة الأخلاقية أن الكانز للمال – وهو من وَكل الله إليه هذا المال – يتصرف فيه كيف شاء؛ فيبخل به ولا يستثمره، بل ولا يحسن التصرف فيه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]. فإذا نمّى الكانز ماله في فتح المشاريع التي تحتاج لكثافة الأيدي العاملة سرعان ما تقل أعداد المتعطلين، ولكن الكانز لا يفعل ذلك لأن حبه للمال ومنعه له، وعدم شعوره بأزمة الأمة قد تملك منه، فلم ير إلا حاجته، ومصلحته الخاصة وصدق في هذا المستكثر قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج:١٩-٢١].

وحبس المال عن التداول لغير حاجة يشل الاقتصاد، ويلحق أفدح الأضرار به، فيسبب للناس ضيقا في العيش، ويؤدى للبطالة وقلة السلع ولذلك يجب استثمار المال ليكون

---

(١) «التفسير الكبير» (٧/ ٦٤٤).

متداولًا بين الناس في المجتمع ليزدهر النشاط الاقتصادي ويعم الرخاء والخير، ويبين العلماء أن: «كنز الأموال يمنع التبادل الاقتصادي، حيث إنه ضرورة لابد منها لحاجة المجتمع من أجل استخدامها في الإنتاج بأنواعه المختلفة، وأيضا في استثمار الموارد الاقتصادية المختلفة لزيادة الدخل الوطني وتنمية الثروة القومية بما يعود على البطالة بالانسحاب التدريجي لشبحها من بين جنبات المجتمع»(1)، فاكتناز المال وعدم استثماره يؤدي بلا أدنى شك إلى «سيادة الكساد، ونقص معدل دوران النقود وهذا بالتبع يؤدى إلى البطالة، أما الاستثمار للأموال فيقضى على البطالة ويثمر الرواج الاقتصادي ويزيد من فرص العمل»(2)، والكانز للأموال جاهل أو متجاهل لوظيفة المال في الإسلام، لذلك امتنع عن معاونة المتعطل من الشباب حتى ولو بمجرد إقراضه المال ليفتح مجالًا للكسب الحلال ليفيد نفسه ومن يعول هذا هو البعد الاقتصادي للكنز.

وهناك ناحية أخرى أخلاقية، فقد ذم القرآن الكريم قارون؛ إذ كنز المال ومنعه الناس أهل الحاجة والإعسار، فقال الله ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٦، ٧٧]. فإن اكتناز المال يؤدى – كما بيّن علماء الإسلام – للعديد من الأخلاق الذميمة من البغي على الناس والبطر والكبر فضلًا عن الضرر المحقق من ومما يندرج تحت الأثرة، البخل والشح، فإن صاحب المال إذا بخل به فلم يذلـله في مرضاة الله والتعاون مع المتعطلين تسبب في تعقيد المشكلة أكثر، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء:٣٧].

---

(١) «أضواء على النظم الإسلامية» الأستاذ الدكتور عبد القادر سيد عبد الرءوف ص٢٥٢.

(٢) «النظم والثقافة الإسلامية» الأستاذ الدكتور مصطفى صميدة ص١٦٥.

(٢) الكسل والقعود:

الكسل صفة أخلاقية ذمها الشرع الحنيف في الكتاب والسنة النبوية المباركة، وإذا كانت البطالة واقعة باختيار الإنسان فإنها تكون ذات تأثير على تحضر المجتمع وتقدمه، حيث تنتكس الأمة التي اختار أفرادها البطالة على العمل والسعي، والكسل عن القيام بمهام الحياة وواجباتها، وإشباع ضرورياتها ردة حضارية كبرى فإذا وقعت فيه أمتنا فإنها تحتاج إلى أن تجيد فن الحياة وأن تعلم وظيفة المرء فيها، قال الشيخ محمد الغزالي: «إن التأخر والجمود لا يجد أوعية له أفضل من تلك الأجساد المعطلة، والمواهب المطموسة، فإن توفر ذلك في أمة من الأمم فإنها تكون أمة محتاجة إلى أن تجيد فن الحياة»[1]، واعتبار الشيخ الحياة فن من حكمة نظرته وثاقب فهمه.

إن الإنسان المتعطل إذا كان لديه المال الذي ينفق به على نفسه، وقد رفض العمل بعد أن توفر له فإنه في حكم الشرع آثم وينبغي أن ينظر في العمل المناسب الذي يقدمه، ويمارسه طلبًا للرزق الحلال فقد قال الله ﷻ ما يدل على النهي عن طلب الرزق من مجال حرام بقطع السبيل أو تطفيف الميزان، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف:٨٦]. فالكسل أحد الأسباب الأخلاقية للبطالة كداء اجتماعي خطير؛ فقد يكسل المتعطل عن العمل الشاق، ويختار الدعة والراحة مع الفقر، على التعب والنصب مع الغنى عن الناس، لذلك يعتبر الكسل أحد أسباب البطالة فإذا لم تتوافر الأعمال في قرية المتعطل فليسافر إلى أخرى ولا يتكاسل، فإن اختار البطالة في قريته على الغربة في السفر فإنه يكون آثمًا لأنه عطل نفسه عن ابتغاء الرزق بكسبه وعمله قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥]. وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء:١٠٠]. فلم يمش الفرد في مناكب الأرض طلبًا للرزق كما أمره الله سبحانه.

---

(١) الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطلة، نهضة مصر، ص ٦.

لقد وصف الله هذا الإنسان الذي تعطل بإرادته واختياره فقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:٧٦]. فالإنسان الكَلّ هو هذا الإنسان المتعطل عن العمل بسبب تكاسله حتى صار كَلًّا على الناس، أي عبئًا ثقيلًا عليهم وهى صفة ذم للكسالى بينتها الآية الكريمة التي وصفت صنفًا من المتعطلين الذين يتقاعسون عن العمل ولا يجيدون فن الحياة، لأنهم حرموا ثروة النشاط والحركة.

كما بينت الآية الكريمة العلاقة بين الكسل والبطالة فالكل لا يقدر على عمل شيء فصار متعطلًا، ولقد عبَّر عن ذلك أحد علماء القرن الخامس الهجري وهو الإمام الماوردي رحمه الله، فقال: «إن تقصير المرء عن العمل وطلب كفايته إن كان لكسل فقد حرم ثروة النشاط ومرح الاغتباط فلن يعدم أن يكون كلًّا قصيًّا أو ضائعًا شقيًّا»[1]، وبذلك يتضح أثر الكسل في تفاقم المشكلة.

(٣) التواكل:

والتواكل صورة من صور الكسل والقعود عن طلب الكسب الحلال، ولكنه يلبس ثوب الدين وهو أحد أسباب البطالة، والدين الإسلامي لم يأمر به وكثيرًا ما يقترن السؤال مع التواكل على الخلق حيث يستمرئ الفرد المتواكل سؤال الناس ما يجمع به قوته وهذا عاص حيث نهى النبي ﷺ من أتاه يسأله مع قُوَّته على العمل ودله على الكسب، الذي يحمى به وجهه من ذل المسألة[2]؛ فإذا كانت بطالة المرء بدعوى التواكل فذلك عجز قد أعذر به نفسه نفسه عن مواجهة الحياة بالكد والسعي والكفاح، وشتان بين التوكل على الله تعالى مع الأخذ بأسباب الحياة ، والتواكل على العباد مع ترك أسبابها.

---

(١) «أدب الدنيا والدين» الإمام الماوردي ص ٢٦١.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة ٢/ ١٢٣ رقم ١٦٤١.

ويجب التفرقة في هذا المجال بين التواكل كأحد أسباب البطالة وبين التوكل على الله ﷻ؛ فإن التوكل على الله أمر من أوامر الله لعباده المؤمنين قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]. وكذلك أمر ﷻ عباده بالعمل فلا منافرة بين الأمرين، فقد يفهم البعض عن جهل، أو عمد أن التوكل قعود عن العمل وترك الأخذ بالأسباب وبالتالي يقول: إن الإسلام يغرى بالبطالة، ويوقع في شركها، ولكن حقيقة التفرقة بينهما عبر عنها الإمام القشيري رحمه الله، أحد علماء القرن الخامس الهجري فأوضح أن حقيقة التوكل أنها صفة من الصفات الإيمانية، فقال: «واعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد من أن التقدير من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره وأن اتفق شيء فبتيسيره»[1].

وبعد فإن التواكل هو اعتماد على الغير دون سعى أو عمل ولقد نهى الإسلام عنه، وسوف تثار هذه الإشكالية عند التدابير الواقية لعلاج البطالة ليتعرف المسلم على منزلة العمل والأخذ بالأسباب في الإسلام.

(٤) احتقار بعض المهن الحرفية:

إن بعض الشباب يحتقر العمل اليدوي بحجة أنه يحمل مؤهلًا جامعيًا فيستنكف أن يزاول المهن الحرفية التي شرفها الإسلام، ويرضى لنفسه البطالة ومرارتها، على أن يمتهن مهنة يقتات منها ضرورات الحياة.

والاحتقار للمهن الحرفية أحد الأسباب الأخلاقية للبطالة لأن الإسلام لم يفاضل بين الناس بما يعملونه من مهن، وإنما فضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح، والعمل لا يحتقر لذاته ولا لطبيعته؛ إنما يحتقر إذا خالفت أصوله الشرع الحنيف، أو اقترف منهيًا عنه كالبغاء، وتجارة المخدرات، وبيع ما حرم الله كالخمر والخنزير.

---

(١) «الرسالة القشيرية في علم التصوف» الإمام القشيرى ص١٢٩.

إن الإسكافي الذي يخصف النعال، خير في ميزان الشرع الحنيف من المحتكر الغنى الذي يحتكر أقوات الناس؛ ليرتفع السعر فيبيع بالغالي فيكثر ماله، فالأول عمله في إصلاح نعال الخلق بكسب حلال في العاجل، وكرامة في الآجل إن شاء الله، أما الثاني فعمله في أقوات الخلق بكسب حرام في العاجل ومهانة في الآجل، فالأول أكرم عند الله تعالى لطيب مطعمه، وحل مكسبه، ونبل غايته.

ومن علماء الإسلام من امتهن تلك المهن وسوف نعرف منزلة العمل في الإسلام من خلال علاج الإسلام للبطالة كي يرفع هذا الوصف غير الحضاري، الذي يُزدرى به الإنسان لمهنة يمتهنها؛ فكم عالم من علماء الإسلام قد اتخذ حرفة في يده، فرحم الله الخصَّاف، وابن حجر، وابن حامد الورَّاق [1]، بل رحم الله أصحاب النبي ﷺ فكان منهم التاجر، والزارع، والصانع حتى نعرف ضرورة الحرف المهنية في المجتمع الإسلامي التي ضيقها كثير من شباب الأمة [2]، من أجل أعمال الترفيه والألعاب التكنولوجية الحديثة في الكمبيوتر والمحمول، وبعد فهذه أسباب البطالة الاقتصادية والأخلاقية بها تظهر هذه المشكلة وخطورتها على البلاد والعباد.

---

(١) ابن حامد الوراق (٤٠٣هـ- ١٠١٢ م) هو الحسن بن حامد بن علي بن حامد الوراق، عرف بالوراق لأنه كان ينسخ الكتب ويتكسب بهذه الحرفة، وكان شيخًا ورعًا عفيفًا مقدمًا عند السلطان والعامة، وكان مدرس الحنابلة وفقيههم ومفتيهم في عصره شيخ المذهب الحنبلي، الموسوعة العربية العالمية.

(٢) «ماذا حدث للمصريين؟»دكتور جلال أمين ص ٥١، ولقد رصد في الكتاب بدء انحسار ظاهرة احتكار الشباب للعمل اليدوي، وذلك مع ارتفاع أجور الحرفيين، ولكن مازال الكثير ينظر للعمل اليدوي نظرة تخالف صحيح العقل، ومعالجة العرف الفاسد لهؤلاء يكون بتصحيح النظر في الدين فنراه أشاد بالعمل والاكتساب.

المبحث الثالث

أنواع البطالة

المطلب الأول: أساس التصنيف:

إن مشكلة البطالة معقدة والسبب في ذلك كثرة أنواعها واختلاف صورها، يقول أهل التخصص: «بينما يستخدم بعض الباحثين لفظة البطالة على بعض أنواعها، يأبى آخرون ذلك، والحد الذي يفصل في ذلك يختلف باختلاف التعريفات القومية لكن الدأب المألوف بين الباحثين هو قصر البطالة على التعطل اللاختيارى «الإجباري» العائد إلى نقص العمل»[1].

إن للبطالة أنواعًا متعددة قد تختلف أسماؤها، مع اتحاد معناها، والسبب في ذلك تعدد أنظار الدارسين لهذه المشكلة، وتعدد مناهجهم في معالجتها، فقد ذكر أحد الباحثين ملاحظتين حول تصنيف البطالة، فقال: «إن تصنيف البطالة إلى أنواع يساعد في البحث ويلاحظ فيه – غالبًا – قيام تصنيف البطالة إلى أنواع على أساس: «١- أسبابها، ٢- مدتها، ٣- طبيعتها وتكوينها » ويلاحظ فيه أيضا أن أنواع البطالة متداخلة مع بعضها البعض بسبب اختلاف الزاوية التي ينظر منها» [2]، وإن لي ملاحظتان جديرتان بالتأمل لمعرفة طبيعة هذه المشكلة عند تصنيف مشكلة البطالة إلى أنواع.

فالملاحظة الأولى: اعتبار تصنيف مشكلة البطالة يقوم على أساس من أسباب البطالة وغالب أسبابها يعود إلى أسباب اقتصاديه وسوء التخطيط، لذلك تبدو مشكلة البطالة لأول وهلة مشكلة اقتصادية حيث تعطل الإنسان – وهو أحد عناصر الإنتاج الرئيسية – عن العمل مع رغبته فيه وقدرته عليه، ولكن لها أسباب أخرى أخلاقية.

---

(١) «العمال والتنمية الاقتصادية»، إعداد مكتب العمل الدولي، ترجمة جمال البنا، الدار القومية للطباعة، ص ٢٣.

(٢) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٢٧.

أما الملاحظة الثانية قيام التصنيف للبطالة على أساس مدة البطالة الزمنية، فأرى أن الغرض من ذلك بيان الآثار المترتبة على بطالة الفرد إن طالت مدتها أو قصرت، وسوف نتعرف على ذلك في المبحث القادم إن شاء الله تعالى، أو أن الغرض من هذا الأساس الزمني يفيد في معرفة من يستحق تعويضًا عن البطالة «تأمين البطالة» [1]، فإن هذا التعويض وإن كانت فائدته واضحة لكن الأجدى معرفة كيف نتوسع في مجالات العمل لخلق المزيد من فرص العمل للشباب المتعطلين؟! فإدارات التشغيل في الحكومات أقيمت لغرض التشغيل لا للتأمين ضد البطالة، فلابد أن يكون التأمين ضد البطالة خلال فترة تعليم حرفة يحترفها المتعطل، تقول دكتورة سامية خضر: «في تعريف البطالة كان القيد الزمني هو انعدام العمل خلال الأسبوع المرجعي» [2]، وهذا القيد لا يصلح لتصنيف البطالة؛ لأن هناك من يعملون ولكنهم في حكم المتعطلين كأصحاب البطالة المستترة.

وبناءً على هذا الأساس، فإن أسباب البطالة ومدتها غير دقيقين لتصنيف البطالة إلى أنواع على أساس منها، وبقى تصنيف البطالة إلى أنواع على أساس من طبيعتها وتكوينها، لذلك من المفيد أن نستمع إلى أهل الاختصاص لنرى كيف رأوا تكوين البطالة وطبيعتها؟ فالله تعالى يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]. وسوف أتناول فيما يلي تعريف كل نوع من أنواع البطالة وفقا لطبيعتها كما بين أهل الاختصاص، مع بيان أوجه علاج كل نوع منها وذلك في المطالب التالية.

ليس من نافلة القول أن يسأل علماء الدعوة الإسلامية أهل الذكر في أمر متخصص كمشكلة البطالة، بل يرى الباحث ضرورة ذلك لوضع تصور صحيح للمشكلة بغية وضع العلاج المتوازن مع حجم المشكلة، وقد بين أهل الاختصاص أن: «البطالة تتخذ عدة أشكال أهمها ثلاثة أشكال هي:

---

(١) «قانون التأمين الاجتماعي المصري» الصادر بالقانون رقم ٧٩ سنة ١٩٧٥المادة رقم ٩٣، ونصها (يستحق المتعطل تعويض البطالة ابتداء من اليوم الثامن لتاريخ انتهاء عقد العمل) أي بداية البطالة.

(٢) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر ص ٢٢.

١ - البطالة الاضطرارية: وتتمثل بالشكل الواضح لفائض العرض في سوق العمل مقارنًا بالطلب عليه أي زيادة المعروض من العمال مع قلة الطلب عليهم.

٢- البطالة المستترة.

٣- البطالة الاختيارية [1]، وسوف يكون التصنيف لمشكلة البطالة وفق ذلك التقسيم الذي اتفق عليه كثير من علماء الاقتصاد والاجتماع.

المطلب الثاني: البطالة الاضطرارية:

وتتضح البطالة الاضطرارية فيما يلي:

١ - تعدد أسماء البطالة الاضطرارية:

إن البطالة الاضطرارية قد تسمى بالإجبارية والظاهرة والمعنى بينهما واحد لذلك قيل في تعريف البطالة الإجبارية أنها: «الحالة التي يكون فيها عدد الراغبين في العمل في ظل مستويات الأجور النقدية السائدة أكبر من عدد العمال المطلوبين في العمل» [2]، والبطالة الظاهرة «السافرة» هي التي يسجلها التعداد العام، سميت إجبارية لأن الفرد يجبر على البطالة بلا إرادة له ولا اختيار، وسميت ظاهرة لأنها ظاهرة العدد والآثار، وهى معاناة وقع فيها عدد كبير من بلدان العالم أجمع وهى أخطر أنواع البطالة لأنها ذات آثار سلبية على الفرد والمجتمع والاقتصاد والأمن والسلام الاجتماعي.

(٢) طبيعة البطالة الاضطرارية:

طبيعة هذه البطالة ظاهرة في عددها وآثارها، وكونها إجبارية الأمر الذي جعل البعض يصفها بأنها تماثل الكوارث الطبيعية التي لا مفر منها، ولكن الإجبار هنا من صنع أيدينا نحن وأمر توهمناه؛ لذلك لا نرى أن تسمى هذه البطالة بالإجبارية لأن الإجبار هنا وهم صنعه الإنسان بيديه، فالله ﷻ قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ

---

(١) «البطالة في مصر» دكتورة سلوى سليمان ص٢ وبعدها بتصرف.

(٢) «البطالة في مصر» دكتورة عالية عبد المنعم ص ١٢٠.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠]. وإن كان الوصف بالإجبارية يقابله وصف آخر «بطالة اختيارية» سوف تأتي في التصنيف فالإنسان المتعطل بناءًا على ذلك مضطر؛ لأنه راغب في العمل وقادر عليه ولم يجده.

والإنسان المتعطل بناءً على اعتباره بطالة ظاهرة «هو شخص ينتمي إلى القوة البشرية، وراغب في العمل ومستعد له لكنه لم يمارس أي نشاط عملي على الأقل خلال الأسبوع المرجعي» [1]، والأسبوع المرجعي الفترة والمدة التي إذا تعطل الفرد فيها عن العمل، فاتفقت كلمة المتخصصين عليها.

إن الحكومات لما كانت ملتزمة بتوفير فرص العمل لأبنائها وشبابها الخريجين خفف ذلك من حدة البطالة الظاهرة قديمًا، كما أدى عجزها عن تنفيذ هذا الالتزام إلى تزايد مشكلة البطالة، «فعندما عجزت الحكومات عن استيعاب كل العمالة ظهرت البطالة السافرة» [2].

إن كلمة بطالة إذا أرسلت وأطلقت – من غير قيد – تبادر للذهن هذا الشباب المتعطل عن العمل، الذي لم يجد ما يسد به حاجاته الأساسية من الأعمال مع رغبته في العمل وقدرته عليه، فهؤلاء هم بطالة اضطرارية؛ فقد يصح أن تسمى أيضا بطالة المضطر أو البطالة الإجبارية، حيث لا حيلة للفرد في إيجاد العمل مع رغبته، فاضطر إلى البطالة ومن هنا يتحتم البحث عن علاج لها.

إن البطالة الظاهرة يظهر عددها إذا سجل المتعطلون أنفسهم في مكاتب العمل، أو الإدارات القائمة على ذلك، لذلك أصبحت هذه البطالة مسجلة ومعروفة العدد، ومدى تحقق تطابقها مع الواقع يتوقف على مدى تسجيل المتعطلين، يقول الدكتور عاطف عبد الفتاح: «في الدول المتقدمة التي تكفل للمتعطل المسجل إعانة بطالة فإن أرقام البطالة الظاهرة والمسجلة تكون متقاربة وتؤخذ أرقام البطالة المسجلة كمقياس للبطالة في القطر، ولكن في الدول النامية حيث لا توجد إعانات بطالة، مع ضعف كفاءة مكاتب العمل وغياب

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر ص ٢٢.

(٢) «المرجع السابق» ص٢٤، «البطالة في مصر» دكتور محمد البنا ص ٤٥٠.

دورها في الريف والقرى الصغيرة، فإن المتعطلين لا يشعرون بأهمية التسجيل، وأرقام البطالة المسجلة تقل كثيرًا عن حقيقة البطالة، على هذا الأساس ينظر إلى أرقام البطالة المسجلة كمجرد مؤشر للتغيرات «أي زيادة أو نقص في البطالة»[1].

(٢)ضرورة علاج هذه البطالة:

إن الإسلام الحنيف ينظر إلى هذه البطالة الاضطرارية نظرة موضوعية؛ إذ يجعل العمل حقًا من حقوق الكائن البشرى، وبناءً على ذلك فالبحث عن طرق وسائل علاج بطالة الفرد القادر على العمل وراغب فيه ولم يجده، أمر ضروري في الإسلام.

وضرورة العلاج لهذه البطالة مسئولية كل فرد يعيش في مجتمع المسلمين بداية من الفرد المتعطل نفسه وحتى ولاة الأمور، مرورًا بالعلماء وأهل الاقتصاد والاجتماع، لأن الكسب في الإسلام ضرورة حياة، وسنة من سنن الله في الاجتماع البشري، ومطلب مُلِحٌّ في فطرة الإنسان، من أجل هذا كان الكسب حقًا من حقوق الإنسان، فإنّ «لكل فرد الحق في العمل والراحة وقد كفل الإسلام لجميع أفراد الناس الحق في أن يسعوا في تحصيل الرزق، مادام هذا التحصيل بالوسائل المشروعة التي لا تنافى قواعد الأخلاق، والمُثُل العليا التي أرستها شريعة الإسلام: وقد أعطى الإسلام لكل فرد الحق في الراحة بعد عمله، ولا يجوز لأي سلطة أن تمنعه من حقه في هذين الأمرين»[2]، وإغفال ذلك الجانب من الخطورة بمكان وتنصل من المسئولية، لذلك أرى عدم جدوى قول من قال: «يمكن اعتبار حق العمل ضمن العقبات التي تحول دون حرية آليات السوق»[3]، فإن في هذا القول فيه إغفال عن هذا الحق الإنساني في العمل المناسب له، الذي كفله الشرع الحنيف للإنسان ولذلك قال الحق سبحانه: ﴿ فَإِذَا

---

(١) «البطالة في العالم العربي» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٣٠.

(٢) «الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام» دكتور محمد رأفت عثمان ص ٥٥، «حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام» أسامة الألفي ص٩٧، «حقوق الإنسان في الإسلام» دكتور على عبد الواحد وافى ص ١٥.

(٣) «البطالة في مصر» دكتورة سعاد كامل رزق ص ٢٩٦.

﴿قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠] . إشارة قرآنية إلى أن الأرض فيها ما يكفي الإنسان من عمل يقتات منه رزقه، ويبتغي فيه الأجر مع وجود العديد من الآيات القرآنية التي حثت المسلم على العمل وأمرته بالسعي والسير في الأرض ليبتغي من فضل الله تعالى، ومن كل ذلك تدرك ضرورة علاج هذه البطالة الاضطرارية.

المطلب الثالث: البطالة المستترة (المقنعة)

(١) وصف طبيعة البطالة المستترة:

يطلق على أحد أنواع البطالة مصطلح البطالة المستترة ؛لأنها بطبيعتها غير ظاهرة، قال أحد المتخصصين: «البطالة المستترة تحدث عندما يكون عدد الأيدي العاملة أو حجم العمل -كعنصر إنتاج متغير - في ازدياد مستمر، بينما عناصر الإنتاج الأخرى كرأس المال أو الأرض ثابتة، وبالتالي يتفاعل عنصر العمل المتزايد، مع كميات أقل من العناصر الثابتة، ونتيجة لانخفاض نصيبه من العناصر الثابتة يتناقص الناتج الحدي حتى يصبح صفرًا، وربما سالبًا، ويحدث هذا أحيانًا في القطاع العام خاصة عِندما تلتزم الحكومات بتوظيف الخريجين في مكان ما بدرجة كبيرة حتى يفيض العدد المعيّن عن حاجة العمل وينخفض الناتج الحدي جدًّا فتحدث بطالة مستترة» [1]، وهذا التوصيف للبطالة المستترة من الأهمية بمكان لمعرفة علاجها.

وتسمى «مستترة» لأن الشخص يحصل على أجر ويعمل ظاهريًا، ولكنه لا ينتج شيئًا حقيقيًا في واقع الأمر، وتسمى «مقنعة» في مقابل البطالة السافرة، والفرق بينهما واضح ويصعب التعرف على هذا النوع من البطالة المقنعة كما يصعب قياسها.

ومن ناحية أخرى يشير أحد علماء الاجتماع إلى أن: «البطالة المستترة تعني ارتفاع معدلات العمالة مع عدم وجود ارتفاع مماثل في معدلات الإنتاج، وهو ما يكون في قطاع الخدمات أو القطاع الزراعي» [2]، وأشار البعض إلى وصف هذه البطالة بالمعنوية فاعتبر أنها:

---

(١) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٢٩.

(٢) «الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب» دكتور محمد رفعت قاسم ص ٢١١.

«تتمثل في أن يعمل العامل ولا يعمل في نفس الوقت، ويؤدى ذلك إلى تأخير الدورة الإنتاجية أو إلى ضعف الخدمة المقدمة أو هي أن يعمل الشخص العمل دون مستوى مؤهلاته»[1].

ولا يخفى أن الإنسان إن أحبَّ العمل الذي يزاوله ينتج فيه ويطوره، بينما إذا كره العامل العمل الذي يزاوله أدى إلى إضعاف عملية الإنتاج، وهذا النوع من البطالة «بطالة مستترة» قد يكون بسبب راجع لخاصة الفرد المتعطل نفسه، ومدى رضاه بما هو فيه، مع بذل الجهد في تعديل أوضاعه وظروفه، والسعي في سبيل تحقيق الذات فيما ينفع الفرد والمجتمع وفى كل ذلك علاج له.

ولما كان من الصعب معرفة أعداد البطالة المستترة؛ فلا توجد إحصاءات تبين حجم البطالة المستترة اللهم إلا اجتهادات لبعض الدارسين؛ ففي إحدى الدراسات: «قد قدرت نسبة البطالة المستترة في الريف المصري بما يتراوح بين «٢٠٪، ٣٠٪» من العمالة الزراعية، وفى دراسة أخرى قدرت البطالة المستترة في الزراعة بنحو ٣٨٪ من إجمالي القوة العاملة في الزراعة سنة ١٩٧٠ م»[2].

والبطالة المستترة مشكلة تقع فيها العديد من دول العالم، وقد ذكرت إحصاءات تقريبية لها في مختلف بلدان العالم ترجع إلى أن الشخص يرغب في أن يعمل ساعات عمل أكثر رغبة منه في زيادة الدخل، حيث يكون قادرًا على العمل لذلك قيل: «لحصر البطالة الجزئية يكون من الضروري معرفة كم ساعة تؤدى بالفعل؟»[3]، على أية حال فتعريف البطالة المستترة مازال غير محدد وفيه تداخل كبير بين عدة أشكال للبطالة، مثل البطالة المعنوية، والمضمَرة، والكامنة وهذا خارج عن الإطار البحث الموضوعي عن علاج لمشكلة البطالة، يسعى البحث إلى بيان معالمه لأمر متخصص.

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر ص ٢٤.

(٢) «البطالة في مصر» سميحة السيد فوزي ص ١٠٥٣.

(٣) «العمالة والتنمية الاقتصادية» ترجمة: جمال البنا ص ٣٧.

٢- دور الحكومات في علاج البطالة المقنعة:

إن علاج هذه البطالة المقنعة يرجع إلى إشراف الحكومات، ورقابتها الخاصة على العاملين بها، ذلك لأن مسئولية الرقابة واجبة على الحكومات فقد قام النبي ﷺ بهذا الدور فراقب العمال، والأسواق، ويتحقق ذلك من خلال ولاية الحسبة في الإسلام أو ما يسمى بالأجهزة الرقابية في الدولة [1]

إن المجتمع الإسلامي يحتاج إلى الاستفادة بقوة الأيدي العاملة الفعلية «الواقعية» ليكثر الإنتاج ويعم الخير، لا التظاهر بالعمل، مع ترك التفاعل الإيجابي فيه، فالله تعالى يقول: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٨]. فكم عتب القرآن الكريم على هؤلاء المتظاهرين بالعمل وهم في الواقع خاملين ثم يدعون بقية أفراد الأمة العاملين إلى ترك العمل؟! يقولون لإخوانهم هلم إلينا؛ فالمتعطل حينئذ ضال مضل، فهو داع إلى البطالة؛ فيجب على الحكومات أن تقتلع أمثال هؤلاء الأشخاص حتى لا يستفحل ضررهم، كما يجب عليها أن تتوسع في الأنشطة العملية الجادة وتكف عن التوظيف المكتبي الذي بات أمثل صورة للبطالة المقنعة.

(٣) دور الفرد في علاج البطالة المستترة

إن الإسلام ينظر لهذه البطالة المستترة على أنها معصية، ووجه المعصية فيها أن المتعطل يتقاضى الأجر دون أن يقدم العمل المطلوب منه، وأنه لم ينجز عمله، بل يؤجل ويماطل، وهذا باطل وحرام نهانا عنه ديننا الحنيف؛ فهو من المنكر الذي أمرنا الشرع أن ننهى عنه، ولذلك قال رسول الله ﷺ:«**إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**» [2]، وهذا منكر يجب الإنكار عليه، فالعامل الذي يماطل في إتمام العمل ظالم، وقال الله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران:١٠٤].

---

(١) «الحسبة ودور الفرد فيها في ظل التطبيقات القانونية المعاصرة» دكتور عبد الله مبروك النجار هدية مجلة الأزهر عدد شهر ذي الحجة سنة ١٤١٥ هـ.

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير،١/ ٧٥ من حديث عائشة في شعب الإيمان للبيهقي.

لقد أوضح الشرع الحنيف ما للعامل في الإسلام من حقوق وما عليه من واجبات، وأوجب على العامل أن ينجز كل ما يجب عليه حتى يطالب بكل ما يجب له «ومن واجبات العمال: الأمانة، الإتقان، الوفاء بالعقود، الحساب والجزاء، والحفاظ على أسرار العمل وأدواته وآلاته»[1].

وفى الأخلاق الإسلامية ما يحمي المسلم من الوقوع في مثل البطالة المستترة من الأخلاق الذميمة التي نهى الإسلام المسلمين عنها لكونها تساعد في انتشار البطالة مثل الكسل والعجز والتواكل وغيرها، كما في الإسلام حث على أخلاق تعين على مواجهة الحياة وما فيها من صعوبات، مثل الصبر والتوكل وإتقان العمل.

المطلب الرابع: (البطالة الاختيارية)

(١) طبيعة هذه البطالة:

البطالة الاختيارية للفرد وتكون عندما يختار الشخص الفراغ والقعود بدلًا من العمل والاكتساب، وتلك البطالة ذات سبب واضح في تأخر الأمم؛ فكلَّما كثُر عدد القاعدين باختيارهم في المجتمع كلَّما تراجعت الأمة وتدهورت، قال أهل الاختصاص: «تظهر هذه البطالة فيما إذا حقق الفرد مستوى من الدخل البسيط الذي يكفى لإشباع حاجاته البسيطة، بحيث يصبح العزوف عن العمل أفضل لديه من بذل المزيد من الجهد، كما تظهر فيما لو وجد الفرد أبواب العمل مفتوحة ميسرة لكن لا يعمل تكاسلا ورضا بالقعود مع قدرته على العمل، لذلك صحّ أن يطلق على هذه البطالة اسم بطالة الكسول»[2]، ومن الواضح من تلك البطالة أن السبب الرئيسي فيها هو الفرد نفسه الذي رضي لنفسه البطالة على العمل والاكتساب، مع أن العمل قد يكون واجبًا عليه وجوبًا عينيًّا.

---

(١) «الإسلام والاقتصاد» دكتور عبد الهادي على النجار ص ٣٨، «العمل والإنتاج من المنظور الإسلامي» منصور الرفاعي عبيد ص ٤٢.

(٢) «البطالة في مصر» دكتورة سلوى سليمان، ص٣.

ومن المعلوم لدى علماء الاقتصاد أن البطالة الاختيارية لا تدخل تحت الإحصاء، فلا نعرف عدد القاعدين عن العمل باختيارهم، بيد أننا ندرك أثر ذلك في كل أرض سوداء تصلح للزراعة ولم تزرع، وفى كل مال مكنوز غير متداول بين الناس في استثمارات اقتصادية، وفى كل مورد من موارد الكون يحتاج إلى الأيدي العاملة التي تستغل هذه الموارد حتى تخرج ما ينفع الناس، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[الرعد:١٧].

(٢) أوجه علاج هذه البطالة:

ومن السهل علاج هذه البطالة الاختيارية من خلال الفهم الحقيقي لموقف الإسلام من الحياة الدنيا، ومنزلة الإنسان فيها، ذلك للأسباب التالية:

أولاً: إن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن القرآن يحثنا على ألا ينسى الإنسان نصيبه من الدنيا يقول ربنا ﷻ: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢]، ولا غرابة في ذلك لأن الإنسان قد استخلفه الله في الأرض ليعمرها بالسعي لا بالقعود.

ثانيًا: لقد نهى الشرع الحنيف عن القعود والكسل، بل وجعل جزاء كل إنسان في مقابل ما قدم من عمل، فقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧،٨]. وقال سبحانه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٨٦]. وقد نفى القرآن الكريم تلك المساواة المظنونة بين القاعدين عن الجهاد في سبيل الله، غير أولى الضرر، وبين المجاهدين في سبيله سبحانه فقال الله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٩٥]. ومن هنا يعلم من اختار لنفسه البطالة أنه آثم من الوجهة الدينية.

ثالثًا: الإسلام يبيح لولى الأمر أن يعاقب الكسالى ومن اختار القعود بما يراه من أنواع العقاب إذا امتنعوا عن العمل بعد – إن توافر لهم وأحجموا عنه – فقد جاء شباب إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه الحاجة والفاقة والفقر، ويطلبون منه أن يعطيهم شيئا من المال، لكنه ﷺ ما كان يعطيهم شيئا من المال، بل لم يجبهم إلى طلبهم وكان يرشدهم إلى الطريق الصحيح في حل مشكلاتهم، حيث دعاهم إلى العمل جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى**»[1] ؛ فالمتعطل بإرادته عاص في الإسلام حيث لم يستثمر قواه في الحياة لإشباع حاجاته الأساسية التي هي فطرة الإنسان التي خلقه الله عليها.

رابعًا: إن الإسلام فيه من التدابير الواقية من جميع أنواع البطالة ما إذا عرفها المسلمون خرجوا مما هم فيه من بطالة دون أن يشعروا، وفي هذا المعنى قال أحد دعاة الإسلام النابهين الشيخ محمد الغزالي في من اختار البطالة على العمل، متسائلًا: «ما سر هذا الفتور الشائع في الأفراد والجماعات؟! ولماذا يستقبل الناس الحياة وبهم صدود عن مواجهتها؟! بينما نرى الأجناس الأخرى تنطلق مع مطالع الشروق، وكأنها على أبواب رحلة ممتعة، إن هذه الجفوة بيننا وبين الحياة قد وقعت بنا في أوائل الطريق على حين مضى الآخرون خفافا يكدحون حتى وصلوا إلى حظوظ من الرقى والإبداع تستثير الذهن: وإن التأخر والجمود لا يجد أوعية أفضل من تلك الطاقات المعطلة، والمواهب المطموسة فإن أمتنا تحتاج إلى أن تجيد فن الحياة؛ فهذا – والله – هو العجز الذي استعاذ منه رسولنا الأكرم ﷺ، إن المصلحين في بلادنا يقفون وجهًا لوجه أمام الطاقة الإنسانية التي لم تتفجر بعد، أما الجماهير الكثيفة التي لم تحسن الاستفادة مما بين يديها، وما خلفها من طاقات مادية وطبيعية فهؤلاء تحسبهم أيقاظًا وهم رقود»[2].

---

(١) رواه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة؟ ٢/ ١٢١، رقم ١٦٣٤، وسنن أبي داود من مظان الحديث الحسن، الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، ابن تيمية، تحقيق صلاح علام ص ٣٠.
والغني: صاحب المال الكثير، والمرَّة: القوة، والسَّويُّ: سليم الأعضاء.

(٢) «الإسلام والطاقات المعطلة» الشيخ محمد الغزالي ص ٦٧.

إن هذا الكلام قد مضى عليه قرابة الخمسين عامًا؛ إذ كانت المشكلة في بداية ظهورها؛ فكيف حال الأمة الآن،وبعد مرور هذه السنوات؟! إن الحال أصعب وأحوج إلى مضاعفة الجهد، والبحث عن مجالات العمل وإجادة فن الحياة بصدق وإخلاص، وإن مراد الشيخ محمد الغزالي من إجادة فن الحياة: أي اعتبار بذل الجهد في الاكتساب من الأمور التي تحتاج إلى إتقان وتجويد، واعتبار الحياة في مكاسبها مجال تأنق وإبداع حتى يسهل صعبها.

****

المبحث الرابع

آثار البطالة من منظور إسلامي

مدخل:

من الضروري أن يتعرف الباحث على آراء الدارسين لهذه المشكلة، فقد أشار بعض الباحثين إلى أثر للبطالة فقال ناقلًا عن أحد الغربيين: «إن ظروف البطالة تؤثر تأثيرًا حسنًا في تماسك الأسرة ووحدتها، ويفسر ذلك بقوله: إنه عندما يقلُّ المال لدى الأسرة، فلا تجد ما تنفقه على جوانب الترفيه، وبالتالي لا تخرج الأسرة من المنزل، ويقيم الوالدان داخل المنزل لفترات طويلة، يطبقان الوسائل الإشرافية، وطرق التحكم والضبط، بجانب زيادة توثيق العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، وبذلك تبدو آثار ضبط الجماعة الأولية أكثر فاعلية في نفوس الصغار داخل الأسرة »[(1)].

إن من نظر إلى هذا الأثر المدعى، الذي ذكره الباحث للبطالة نقلًا عن أحد علماء الاجتماع الغربيين، قد يصدق في مجتمع دون آخر، فقد يصلح هذا في المجتمع الغربي، الذي نادرًا ما تلتئم أفراد الأسرة فيه، في نسيج واحد وقد لا يصلح، أما في المجتمع المسلم فإن مجرى الانضباط داخل الأسرة قد رسمه الشرع الحنيف، من خلال أحكام الأسرة دون أن يرتبط ببطالة رب الأسرة أو عمله.

ذلك لأن التحكم والضبط الأسرى واجب على الرجل الذي حمله الله تعالى مسئولية القوامة سواء كان عاملًا أو متعطلًا، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء:٣٤]. وفى الحديث النبوي الشريف أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته»**[(2)]، ففي الإسلام يسأل

(١) «الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة» دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأحكام ٤/ ٢٣٣.

الرجل عن الإنفاق على أسرته، ويسأل عن انضباطها، فإن كان متعطلًا؛ فبالمسئولية تشتد وتتفاقم حيث تقوى الأعباء وتزداد، حيث البحث عن العمل المناسب مع الحفاظ على الانضباط في أسرته؛ فليس من الحق أن للبطالة أثرًا ايجابيًّا على الأسرة وإن ثبت في بعض الأسر، فهذا خروج عن القاعدة، وخروج عن الفطرة، بل شذوذ والشاذ لا حكم له بل يطوى ولا يحكى ويحفظ ولا يقاس عليه.

آثار البطالة:

إن البطالة داء وخيم، ومرض فتاك يدع الأمة تتقلب على نارها، ويعرضها لأزمات اقتصادية، واجتماعية، وأخلاقية، ويدع الفرد المتعطل كلًّا على الناس، مما يعرضه لأزمات نفسية، واضطرابات سلوكية غير محمودة العاقبة؛ إذ يبحث الفرد عن قوته من طريق طبيعي هو العمل والاكتساب فلا يجد العمل فتضطره الحاجة إلى طريق الجريمة، وقد يتجه إلى سؤال الناس، وقد يؤدى به الحال إلى حقد على المجتمع وما فيه من أغنياء وعاملين، وفى هذا من الفساد ما فيه.

ولقد أثبتت العديد من الدراسات الاجتماعية أن البطالة لها آثارها على كافة المستويات، فلها آثارها من ناحية على الفرد المتعطل، وعلى المجتمع من ناحية أخرى، بل وعلى الاقتصاد من ناحية ثالثة [1]، وإذا تعددت الجهات التي تتأثر بالبطالة كمشكلة فمن المعقول أن نقسم الآثار إلى الأقسام الآتية:

١-آثار البطالة على الفرد المتعطل.

٢-آثار البطالة على المجتمع.

٣-آثار البطالة على الاقتصاد.

---

(٢) «الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة» دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٣.

وسوف يتضح ما لهذه الآثار من مضار سلبية، تستوجب ضرورة البحث عن وسائل للخروج من هذه الأزمة، حتى لا تضرب بجذورها في أعماق المجتمع فيعظم خطرها وتستعصي على العلاج في حين أن الله ﷻ قد كفل لعباده المؤمنين الحياة الكريمة المطمئنة إذا أخذوا بأسباب ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]. وقال الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٩٧].

المطلب الأول: (آثار البطالة على الفرد المتعطل)

إن للبطالة آثارًا سلبية على الفرد المتعطل تتضح من خلال النقاط التالية:

(١) موقف الإسلام من سلامة الإنسان:

لقد اهتم الإسلام بتحقيق سلامة الإنسان «جسمًا وروحًا» فأما سلامة الجسم الإنساني، فقد حققها الإسلام فيه قبيل عهده بالحياة، عند الخلق، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]. ولأجل الإبقاء على صحة الإنسان حرَّم الله ﷻ على الإنسان كل ما يؤذى جسمه من محرمات، في المطعم والمشرب، كما حرم الاعتداء على البدن الإنساني، أو في أي صورة من صور الاعتداء على البدن.

وأما تحقيق الإسلام سلامة الروح فيظهر ذلك من خلال اهتمام الإسلام بالجانب الوجداني والنفسي للإنسان، خاصة إذا أصابته أزمة من الأزمات، فقد أشار القرآن إلى أهمية صلة العبد بالله من خلال خشيته وتقواه فقال ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥٢]. وقال سبحانه إشارة لأهمية الصبر: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٠]. وقال سبحانه إشارة إلى تربية النفس وتزكيتها فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[الشمس:٧-١٠].

من هنا كان اهتمام الإسلام بسلامة الإنسان آية من آيات كماله، وإذا كان الإسلام قد اعتنى بالإنسان من أجل بقائه صحيحًا سليمًا، فقد اعتنى به إذا وقع في علة أو مشكلة، مثل

البطالة حيث أخبر أن الإنسان لابد أن يؤمن بالله تعالى ويشكره لما أنعم عليه من نعمه الظاهرة والباطنة، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:٢٠]. فلا يكفر المسلم بنعم الله عليه فالكفر بنعم الله عاقبته أليمة ووخيمة قال سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. إن اهتمام الإسلام بسلامة الإنسان أمر نابع من تكريم الله له، فاهتم الإسلام بتحقيق الخير في الدنيا للإنسان ليعبد ربه حتى يأتيه اليقين.

(٢) تشخيص حالة المتعطل:

لقد ضرب الله ﷻ مثلًا في القرآن، يعبر أصدق تعبير عن الآثار السلبية للبطالة على الفرد المتعطل، فقال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[النحل:٧٦]. فإن المتدبر في هذه الآية الكريمة يرى فيها تشخيصًا لحالة المتعطل النفسية ويرى آثار البطالة على المتعطل، ومدى علاقته بالمجتمع حوله، كما يرى مظاهر المتعطل السلوكية:

فالمتعطل تشير الآية إلى أنه أولًا: «أبكم» أي لا ينجذب مع الناس في الحديث بل ينعزل عنهم، وهذا أصدق تعبير عن حالة الاغتراب عن المجتمع، كما أطلق عليه علماء النفس والاجتماع.

والمتعطل ثانيًا: «لا يقدر على شيء» أي من الأشياء التي يرغب فيها، بل يظل يتمنى الأماني دون أن يقدم عملا لتحقيق أمانيه، حتى ولو كانت قليلة ومتواضعة، إما لكسله النفسي أو الحركي، والله تعالى يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء:١٢٣].

والمتعطل ثالثًا: «كَلٌّ على مولاه» بمعنى أنه ثقيل على أهله وعشيرته وهذا ما يشعر به المتعطل، والمتعطل أيضا «أينما يوجهه لآيات بخير» أي لدى المتعطل حالة من تبلُّد القوى،

وجمود الحركة وتزداد هذه الحالة كلما إذا طالت فترة البطالة، بحيث يألف القعود وتتجمد قواه ومداركه.

وبعد إن هذه الصفات التي ذكرتها الآية الكريمة تعبر عن آثار البطالة على الفرد المتعطل باختياره، وعن مدى علاقته بالمجتمع من حوله؛ فالفرد إذا عطَّل إرادته تعطلت حركته ونشاطه.

(٣) شخصية المتعطل:

لقد أجرى بعض الباحثين دراسة على عينة من المتعطلين تكاد تطابق هذه الأوصاف السابقة، الواردة بآية سورة النحل «وضرب الله مثلًا رجلين ٠٠٠»، فكان من نتائج هذه الدراسة ما يلي: إن البطالة تؤثر على الفرد المتعطل ذاته فقد تبين أن نسبة ٦٨٪ من المتعطلين تشعر بأنها في وضع ضعيف داخل الأسرة إما بسبب شعورهم بأنهم عالة على الغير، وإما بسبب نظرة الشفقة عليهم، ومن الطبيعي أن يؤدى ذلك إلى اهتزاز شخصية المتعطل وعدم شعوره بالمكانة والفخر أو تحقيق الذات، كما تبين أن نسبة ٩٤٪ من المتعطلين يعقدون صداقات، ولكن مع المتعطلين مثلهم [1]، أي لا يحاورون إلا أنفسهم بعضهم بعضًا.

إن الانسجام النفسي بين المتعطلين بعضهم بعضًا، فلا يكون المتعطل صديقا لمن يعمل، حيث ينعزل عن مجتمعه العام، بينما ينسجم مع جماعة المتعطلين، يقول أحد الباحثين في بيان تلك الظاهرة على المتعطلين: «من الحقائق العلمية أن البطالة تزيد من التفكك الاجتماعي فمن ناحية يميل العمال المتعطلون إلى الانعزال والانفصال عن جماعتهم الاجتماعية، ويميلون إلى مجموعات المتعطلين الذين يعانون من نفس الظروف» [2]، وقديمًا قيل: إن الطيور على أشكالها تقع.

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر صالح ص ٩٣.

(٢) نحن والمستقبل، دكتور مصطفى سويف ص٢٠٠ وما بعدها، "الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة" دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٢.

(٤) المظاهر الانفعالية للمتعطل:

كلما زادت فترة البطالة كلما زادت المظاهر الانفعالية لدى المتعطل حيث تزداد لديه مظاهر بينتها إحدى الدراسات الاجتماعية فيما يلي: فقدان الشجاعة والقدرة على مواجهة الحياة، والشعور باليأس، والإحباط، والشعور بالقلق، والاضطرابات العصبية، والنفسية مثل: حالات الأرق الدائم، الانهيار العصبي، وقد تصل إلى محاولة الانتحار [١]، وهذه المظاهر تدعو المجتمع ككل لأهمية سعيه في علاج هذه المشكلة.

(٥) حالة الاغتراب الاجتماعي لدى المتعطل:

هذه الفكرة استخدمها علماء النفس الاجتماعي للإشارة إلى اغتراب الفرد المتعطل عن المجتمع وطبقًا لهذا الاستخدام يمكن تفسير أحداث الشغب والعصيان والتمرد على أنها انعكاس لحالة الاغتراب عن المجتمع، وإن هذه الحالة هي إحدى الحالات النفسية التي يمر بها المتعطل، التي تظهر علاقة المتعطل بمجتمعه.

إن للبطالة آثارًا سلبية مست المجتمع والحياة العامة التي يعيشها الناس بعدما مست الفرد المتعطل ذاته لذلك قال المختصون: «حينما تنتشر البطالة تصبح مصدرًا لأخطار أمنية»[٢]، لذلك فإنه من الضروري لكل داعية، إدراك هذه الآثار الخطيرة للبطالة على المرء المتعطل، ليتمكن من تشخيص الداء تشخيصًا سليمًا، حتى يقدم الدواء الشرعي المناسب؛ فالداعية كالطبيب يشخص الداء ويضع الدواء.

المطلب الثاني: (آثار البطالة على المجتمع)

إن للبطالة آثار على المجتمع تتمثل فيما يلي:

(١) انتشار الجريمة:

أثبتت الدراسة السابقة على عينة من المتعطلين عدة نتائج تجعل الأنظار تلتفت إلى خطورة علاقة المتعطل بالمجتمع: «فقد أكدت إجابات ٧٢٪ من المتعطلين، أن الفراغ الفكري

---

(١) «الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة» دكتور محمد مصطفى عبد ربه ص ٢.

(٢) دكتورة سامية خضر، البطالة بين الشباب حديثي التخرج ص ١١٠، «البطالة في العالم العربي» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٤١.

نتيجة البطالة قد يؤدى إلى الانحراف والجريمة، كما بينت نسبة ٦٣٪ منهم أن الفراغ الاجتماعي قد يدفع إلى الجريمة، وأن شعور المتعطل بأن المجتمع قد لفظه، ورفض أن يعتبره عنصرًا فعالًا عن طريق العمل، قد يستثير فيه الإحساس بأنه منبوذ، وعالة على المجتمع، كما أشارت نسبة ٢٢٪ منهم بأن البطالة تؤدى إلى البحث عن عمل غير شريف»[١].

إن المتعطل عن العمل – بطبيعة وضعه – يعانى من الفراغ، فلا يجد ما يملأ به هذا الفراغ من عمل مثمر وشغل بناء، فقد يدفعه ذلك إلى البحث عما يشغله فلا يجد إلا أصدقاء السوء الذين يجروه إلى الانحراف أو الإدمان، كما أن المتعطل قد لا يجد ما يسد به حاجاته الأساسية فتضطره الحاجة إلى السرقة، أو الاعتداء على حقوق الآخرين، ولقد أثبتت الإحصاءات أن: «جرائم السرقة قد سجلت أعلى معدل لها بين المتعطلين مما يؤكد أن اليد التي لا تعمل فهي تخرب»[٢]، وأوضح الدكتور عاطف عبد الفتاح أنه قد لا تتمشى البطالة مع الانحراف طردًا وعكسًا؛ فليس كل متعطل منحرف، ولا كل منحرف متعطل، فقال: «قد تكون بطالة الفرد دافعًا إلى الجريمة، لذلك فإن ظاهرة البطالة مشكلة فردية ومشكلة اجتماعية في نفس الوقت سواء من ناحية أسبابها أو آثارها، وبالرغم من أنه قد يكتشف ترابط معين بين البطالة والجريمة إلا أنه لا يمكن القول بأن البطالة هي السبب المباشر للجريمة وإلا صار كل متعطل مجرمًا، ولكن البطالة قد تساعد بالاشتراك مع عوامل أخرى على ارتكاب الجريمة.

وقد أشارت بعض الدراسات الاجتماعية التطبيقية إلى أن البطالة تحتوى على بذور الجريمة لأنها تتضمن العناصر الانحرافية في طبيعتها وهى:

١- عدم استقرار العلاقات الاجتماعية للمتعطل.

٢- انحلال أساليب الرقابة وموانع الجريمة الذاتية داخل نفسية المتعطل.

٣- تركيز عوامل الضياع، وعدم الاستقرار ومن ثم طغيان شعور المتعطل باليأس والإحباط.

---

(١) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر صالح ص ٩٦.

(٢) «البطالة بين الشباب حديثي التخرج» دكتورة سامية خضر صالح ص ١١١.

٤- ابتعاد المتعطل عن المجتمع، وقيمه السائدة نتيجة شعوره بالوحدة أو العزلة أو النبذ، وهى كلها عوامل تؤدى تحت ظروف معينة إلى ارتكاب الجريمة»[١]، فهذه العناصر الانحرافية تتوافر في المتعطل حتى يشعر بأن من حقه الاعتداء على المجتمع لكي يثبت ذاته، وإذا عمل الفرد من البداية لَمَا وصل لهذه الحالة النفسية المعادية للمجتمع.

٢-انتشار الجهل والأمية:

ومن الآثار السلبية للبطالة على المجتمع، انتشار الجهل والأمية وترك التعليم لأن بطالة الشاب الذي تخرج من الجامعة أو المعهد وقد قطع عمرًا طويلًا في التعليم ثم يصير متعطلًا عالة على أسرته، جعلت عوام الناس لا يكترثون بتعليم أبنائهم لما تعارفوا عليه من أن المؤهل هو الورقة المقدمة عند التوظيف؛ فلما وقف التوظيف لجميع الخريجين لم يكن هناك فائدة لإكمال التعليم في زعمهم فانتشر الجهل والأمية لضعف النظرة إلى التعليم.

إن شيوع ظاهرة بطالة المتعلمين جعلت هؤلاء الشباب طاقات معطلة، وبالتالي فقد «أودع في النفوس الإحساس بعدم وجود جدوى من عملية التعليم خاصة ونظرة المجتمع للتعليم على أنه وسيلة للحصول على شهادة يحصل بها صاحبها على فرصة عمل يتقاضى عليه راتبًا كل شهر»[٢]، وسوف نبين علاج بطالة المتعلمين.

٣- عرقلة التنمية:

من آثار البطالة السلبية أيضا على المجتمع، عرقلة جهود التنمية مع الإخلال بعدالة التوزيع؛ «فالتضخم الوظيفي يحتاج إلى ميزانية الدولة للوفاء بمرتبات الموظفين الذين هم في الواقع في حالة بطالة مستترة يتقاضون عليها راتبًا شهريًا، ومن شأن هذا أن يوجد لدى المتعطلين نوعًا من الحقد الاجتماعي»[٣].

---

(١) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٣٧.

(٢) «البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٤٢.

(٣) «البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٤٥.

إن البطالة تؤدى إلى العديد من الأمراض الاجتماعية الخطيرة، وهى على سبيل الإيجاز مفردات دالة على عمق المشكلة، هذه المفردات قد أثبتها الواقع المعاش كما أثبتتها الدراسات الإحصائية السابقة وهذه المفردات المنبهة إلى آثار البطالة على المجتمع هي: «الانحراف، الإدمان، الجريمة، الجهل والفراغ الثقافي، الحقد الاجتماعي والاغتراب الاجتماعي وغير ذلك».

إن الله ﷻ سوف يسأل كل صاحب كلمة، أو قلم، أو عمل، لم يقدِّم به الحل لخروج المتعطلين من أزمتهم؛ فهذه مسئولية عامة يجب أن تتوافر كل الجهود لتحملها تعاونًا منهم على هذه المشكلة لتشغيل المتعطلين، قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢]. في بيان أهمية أن يجتمع الناس جميعًا على أمر جامع، يشغل الرأي العام في مجتمع المسلمين على أن تتحد الغايات والأهداف، قال ربنا جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور:٦٢]. قال الإمام القرطبي: «المراد بالأمر الجامع ما للإمام من حاجة إلى جمع الناس فيه لإذاعة مصلحة فإذا كان أمر يشملهم جميعهم للتشاور في ذلك»[1].

وفي بيان أن للأمة عملًا يشملها كلها بخلاف عمل كل فرد من الأفراد في مصلحة تخصه، وأن عمل الأمة الجامع تخبر عنه يوم القيامة سواء أكان العمل خيرًا أو شرًّا، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]. فلابد أن تجتمع كلمة الأمة، ويتحد صفها وتهدف للتوسع في الأعمال لتشغيل المتعطلين.

٤- ارتفاع التفاوت بين طبقات المجتمع:

ولقد بين القرآن الكريم أثر تلك الفجوة بين الطبقات وليست الطبقات هنا «أغنياء وفقراء» كما هو معروف منذ العهد السابق، ولكن الطبقات إزاء هذه المشكلة هي طبقة أصحاب الأعمال والعمال وأصحاب المهن من جهة، وطبقة المتعطلين اضطرارًا من جهة أخرى، قال الله ﷻ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ١٢/ ٥٩٥ المجلد السادس.

﴿عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج:٤٥]. فهذه الآية بينت الأثر السيئ للبطالة على المجتمع، حيث إن تعطيل البئر، وهو ما يحتاج إليه كل إنسان في المجتمع لحاجاته الضرورية الأساسية «عادة وعبادة» فإن المطعم والمشرب والصلاة سواء أكان الإنسان غنيًّا أو فقيرًا، كبيرًا كان أو صغيرًا، ذكرًا كان أو أنثى، عالما كان أو جاهلًا، وفي الوقت الذي تعطل فيه البئر عن إخراج سبب الحياة من المياه بسبب تعطيل أيدي الناس عن العمل في إخراج الماء، فالماء موجود ولكن لا توجد الأيدي التي تخرجه، وبينما تعطل البئر فقد شيد القصر المزخرف الذي لا يوجد به ساكن يسكنه.

وفي التفسير: «كم من قصر مشيد معطل من ساكنيه، مثل البئر المعطلة عن أيد تخرج منه الماء، فمعنى التعطيل في القصر؛ هو أنه معطل من أهله أو من آلاته ومنافعه أو نحو ذلك»[1]، وبذلك تظهر الآثار السلبية للبطالة على المجتمع.

المطلب الثالث: (آثار البطالة على الاقتصاد)

إن آثار البطالة على الاقتصاد تأخذ صورًا عديدة، منها ضعف الاقتصاد والذي يظهر بجلاء على الإنسان كأحد عناصر الإنتاج،فتعطل الإنسان يصيب الإنتاج الاقتصادي في أهم دعائمه ومنها قلة الاستهلاك؛ فالمتعطل إذا كان فقيرًا قلَّ استهلاكه، والاستهلاك أحد الحلقات الاقتصادية، والبطالة إذا انتشرت في مجتمع من المجتمعات فإنه يصبح مجتمعًا فقيرًا لقلة العمل فيه، بينما ينتعش الاقتصاد إذا كثرت فيه الأعمال والاستثمارات.

وآثار البطالة على الاقتصاد تظهر في أحد الأمور الآتية:

١- إهمال العنصر البشرى «تعليمًا وتدريبًا» أدى لضياع قيمته من خلال البطالة وهو أهم عنصر في الإنتاج.
٢- قلة رأس المال المتداول.
٣- انتشار الفقر بين المتعطلين.
٤- قلة الاستهلاك.

---

(١) «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» الشوكاني ٣/ ٦٢٥.

وأما تفصيل القول في علاقة البطالة بتلك الأمور الأربعة ففيما يلي:

١- ضياع قيمة العنصر البشري:

إن الإنسان هو العنصر الفعَّال في عناصر الإنتاج الثلاث «الأرض – المال – الإنسَان» وأضاف بعضهم الوقت إليها، وتظهر أهمية العنصر البشرى من خلال أنه العنصر الفعَّال وباقي العناصر منفعلة وقابلة، فضلا على أن الإنسان من أجله أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه لهدايته؛ فإذا تعطل في الأمة فقد فقدت أهم ما لديها من عنصر بشرى.

والبطالة تَشُلُّ حركة هذا العنصر الهام للإنتاج، وقد يكون للشخص نفسه دخل في بطالته إذا لم يتدرب على المهنة، تعليمًا وتدريبًا فالاقتصاد بطبيعته يعتمد على الإنسان المعد إعدادًا علميًّا وفنيًّا ومهنيًّا، حتى يتحقق دوره في بناء المجتمع فإذا لم يتم هذا الإعداد والتدريب للإنسان فإن فرصة الحصول على العمل تقل بنسبة كبيرة.

ولقد راعى الإسلام الحنيف قيمة الفرد الإنساني من خلال كون التعليم والتدريب للإنسان متناسبين مع بيئة الفرد، ولقد أكثر علماء التربية قديمًا في علاقة التعليم بالبطالة من خلال تخريج متعلمين لا يجيدون أعمالا تناسب الواقع الذي يعيشون فيه، فلما كانت رعاية التعليم وملاءمته مع الواقع الذي يعيش فيه الفرد مما يساعد في علاج البطالة، وجدنا من أول ما روعي في القرآن الكريم، مناسبة تعاليمه وأحكامه للواقع الذي يعيش فيه الأفراد، فينزل في المدينة أول ما ينزل سورة المطففين، حيث يتعلم أهل المدينة حدود الكيل والميزان، لأن غالب كسبهم كان التجارة في الأسواق بيعًا وشراءً.

كما بين القرآن الكريم أهمية التدريب للفرد في تيسير الحصول على العمل المناسب له، وذلك لأن التدريب يساعد على نجاح الفرد في عمله ويضمن له استمراريته فيه ودلَّ الفرد على إتقان عمله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. ولم يكن نص الآية «من حَسُن عمله» إنما عبر بصيغة «أفعل» للمبالغة في إتقانه العمل وذلك أثر من آثار دقة التدريب الذي اجتازه الفرد.

ولقد أثبت القرآن ذلك في نبي الله داود عليه السلام قد علمه الله عز وجل صناعة الدروع، وألان الحديد في يده، فكان يصنع منه الدروع السابغات التي ألحت حاجة أهل زمانه إلى صناعته فأقبل الناس على شرائها، وإذا داود عليه السلام يطور في مهنته[1]؛ فبعد أن كانت الدروع تصنع صفحة واحدة، جامدة تعيق حركة الجند، صنعها داود عليه السلام، حلقات متداخلة، أيسر في الحركة، وأكثر مرونة، قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

فإن أمر الله – جلّت قدرته – نبيه داود عليه السلام، بعمل الدروع السابغات، والتقدير في السرد- وهو صناعة الدروع في حلقات متداخلة - يدل دلالة واضحة على ضرورة تدريب الفرد على كسب يتقنه، وتدريبه على حرفة يحترفها؛ إذ في ذلك تقدم الأمم ورقيها، ولا يكون ذلك إلا بكثرة الأيدي المدربة التي تعلمت كيف تتقن ما في يديها؟! ونبي الله داود عليه السلام، مع أنه خليفة في الأرض، ونبي كريم لم يمنعه ذلك من تعلم حرفة، تدرب عليها حتى أتقنها، وكان يكتسب بها قوته، ولذلك لم يمر هذا النموذج القرآني على نبي الله الخاتم ﷺ حتى أخذ العبرة منه لأمته، وسجلها في ذاكرة أمته عسى أن تعي هذا النموذج، فقال ﷺ: **«ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده»**[2].

وفى هذا النموذج القرآني دلالة واضحة على ضرورة التدريب القائم على أسس علمية سليمة، حيث العلم النظري لا تظهر ثمرته إلا بتنفيذه وتطبيقه لأن الاستفادة لا تكون إلا من خلال كثرة تدريب الفرد الإنساني على العمل الذي سوف يمارسه، فإن العمل في المجال الصناعي لا يقوم إلا على الكوادر العلمية، والعمالة المدربة، والموارد الطبيعية، وهذا ما توفر في النموذج الذي دلنا عليه كتاب ربنا في شخص نبي الله داود عليه السلام.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم»: لابن كثير ٢ / ٥٣٧، « قصص الأنبياء» ابن كثير ص ٤١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل بيده ٢/ ٦.

ولقد أشارت الدراسات إلى الأثر السلبي للبطالة؛ فبيَّنت أن المتعطلين يتحولون إلى طاقات غير فعالة «في حالة البطالة السافرة» وبالتالي يعدون عبئًا إضافيًا على الاقتصاد؛ إذ يتحمل النفقات الاستهلاكية لهؤلاء المتعطلين دون أن يقدموا العمل، والإنتاج المرجو من الإنسان الطبيعي، والمشكلة تكمن في زيادة الاستهلاك في مقابل الإنتاج.

إن قلة الكفاءات الفنية المدربة التي يحتاجها الاقتصاد في المشروعات نتيجة عدم الاهتمام بالتعليم الفني والمهني، مع حاجة الاقتصاد الماسة لهذه الكفاءات المدربة فتلجأ للحصول عليها من الخارج ويتحقق هنا ضرر مزدوج، يتمثل من ناحية عدم وجود الكفاءات المدربة ذات الأجر المناسب، ومن ناحية أخرى ضرورة توفير الأجور العالية للعمالة المستوردة من الخارج.

أهمية التدريب قبل العمل:

إن التدريب على العمل الذي يكلف به الإنسان قبل أن يمارسه سنة من سنن الله تعالى في إرسال رسله الكرام. فهذا آدم عليه السلام، دربه الله عز وجل، في الجنة على أمر التكليف وافعل ولا تفعل، حيث أمره أن يأكل من الجنة هو وزوجه، ولكن لا يقرب شجرة معينة، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:٣٥]. وهذا يدل دلالة واضحة على أن التدريب قبل الممارسة سنة من سنن الله في خلقه، يصلح بها شئون العباد، فيصيبهم التوفيق، ويستفيد منها المتعطل في اختيار كسبه المناسب الذي تدرب عليه وأتقنه.

٢- قلة رأس المال المتداول:

إن من آثار البطالة على الاقتصاد قلة رأس المال المتداول ويظهر ذلك بما سبق بيانه في أسباب البطالة من إسراف في النفقات في أمور الرفاهية، وأيضا البخل والأثرة حيث يمنع صاحب المال ماله من أن يستثمر في مشروعات تفتح فرص عمل للمتعطلين، وكلا من السببين يمنعان الأموال من التداول في الاقتصاد والإنتاج والاستثمار مما يؤدى بالاقتصاد إلى حالة من الركود أو الكساد، وهو ما يعانى منه دول العالم ثم يؤثر بالسلب على عملية التشغيل فتنحصر في حدود ضيقة.

قال أحد الباحثين: «إن العجيب أن الأموال كثيرة ولكنها في خزائن الكانزين والناس بحاجة إلى السلع، ولكنهم لا يشترونها لعدم وجود المال «الوسيط» بين أيديهم، والعمال بحاجة إلى العمل، ولكن المصانع تمتنع عن تشغيلهم لحاجتها إلى مال الأجور من جانب، وإلى صعوبة تصريف وتسويق بضاعهتا من جانب آخر»[1]، فالإسلام ينظر إلى المال على أنه ملك لله - سبحانه - وحده والناس مستخلفون فيه، وليس ملكًا خاصًا ينفقه دون الآخرين، يقول الله ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]. ويقول الله ﷻ: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وأما قلة المال المتداول فيعد أحد الآثار السلبية للبطالة على الاقتصاد، حيث يقل المال الذي هو أحد عناصر الإنتاج، لذلك كانت نظرة الإسلام إلى المال نظرة واقعية.

٢- انتشار الفقر بين المتعطلين:

إن انتشار الفقر بين المتعطلين أحد آثار البطالة الاقتصادية، فالعلاقة بين الفقر والبطالة علاقة مباشرة؛ فالإنسان يعمل ويكتسب من أجل الحصول على المال الذي يوفر به حاجات الحياة «مطعم، مشرب، ملبس، مأوى» فإن تعطل عن العمل وتوقف فمن أين يحصل على المال الذي هو وسيط نقدي للحصول على الضروريات المعيشية؟؟ فالعلاقة بين البطالة والفقر من أوضح ما تكون، وإن كان إمكانية الحصول على المال من طريق آخر غير العمل، كالميراث والهبات والأوقاف لكن هذه أمور تعتبر طارئة، ويبقى العمل هو السبب الإنساني الأساسي في اكتساب المال.

إذن المتعطل فقير، وكلما كثر المتعطلون في المجتمع كلما كثر الفقر مما يؤدى إلى انحر فات عديدة بسبب الفقر والجوع وشدة الحاجة مثل: السرقة، والاعتداء على مال الغير بجميع صوره، وسؤال الناس.

---

(١) «بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة» دكتور ماجد أبو رخية ص٦٢٢.

ولقد أجريت دراسة اجتماعية على عينة من الأسر قد وقع عائلها في البطالة، فتبين أن هذه الأسر: «إذا تعطل عائلها عن العمل تهبط إلى طبقة دنيا، كما تبين أن هذه الأسر – في حالات كثيرة – كانت تضطر إلى مغادرة مناطق سكنها الأصلي إلى الأحياء قليلة النفقة والفقيرة، كما تضطر إلى إخراج أبنائها من مراحل التعليم المختلفة لعجزها عن الإنفاق عليهم، كما تضطر إلى إلحاق أبنائهم ببعض المهن الحرفية البسيطة»[1]، يزداد خطر الفقر إذا كان المتعطل «عائلًا» فإنه يقلل من قيمة المسكن حتى يتخفف من بعض الأعباء، وقد يؤدى به الحال إلى الانحراف من أجل الحصول على قوت عياله، والله ﷻ لفت الأنظار لذلك فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨]. لنعرف ضرورة عون الفرد المتعطل خاصة إذا كان عائلًا لأسرة.

وأما إن كان المتعطل «غير عائل» فإنه يشعر بكونه عبئًا على من ينفق عليه حتى ولو كان والدًا للمتعطل فإنه يصير «كَلًّا على مولاه» فلابد وأن تسعى جميع الجهود، لرفع إصر البطالة التي تخلق حالة من الفقر؛ فالبطالة ترتبط عادة بانخفاض حاد وغير متوقع في دخل الفرد، مما يجعل الفرد فقيرًا سواءً أكان فقيرًا مطلقًا، بمعنى عدم قدرته على الحصول على ضروريات الحياة، أو فقرًا نسبيًّا، أي بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه» [2]، إن فقر المتعطل كثيرًا ما يؤدى إلى تقليل الاستهلاك، والانحراف وكفى ذلك لنتعرف على آثار البطالة السيئة على اقتصاد الأمم.

٤- قلة الاستهلاك:

عرفنا أن المتعطل عادة ما يكون فقيرًا؛ لأنه لا يعمل ويكتسب فبالعمل ينال الفرد الأجر، الذي ينفقه على نفسه ومن يعول، والمتعطلون لا يجدون ما ينفقونه إلا على أهم ضروريات الحياة.

---

(١) الآثار الناتجة عن بطالة رب الأسرة، دكتور محمد مصطفى عبد ربه، ص٥.

(٢) «البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة» دكتور عاطف عبد الفتاح ص ٤٠.

والسلع والبضائع إذا ارتفعت أثمانها فإن المتعطلين يكفون عن الإقبال على شرائها إما لعدم حيازتهم لثمنها، وإما لأنها ترهق ميزانيتهم، فيمتنعون عن الشراء، والامتناع عن شراء البضائع يؤدى إلى حالة من الكساد في الأسواق ويؤدى هذا دائمًا إلى أن تقلل المصانع من حجم إنتاجها، بل قد تتوقف عن الإنتاج بالمرة، والسبب في ذلك هو «قلة الاستهلاك»، يقول دكتور محمد عبد الله مغازي: «إن العملية الاقتصادية تعتمد في الأساس على عملية الإنتاج والاستهلاك وكلا الأمرين يعتمد أحدهما على الآخر فالإنتاج يعتمد على وجود الاستهلاك، وقد يتأخر الاقتصاد متأثرًا بذلك بسبب تأثر الإنتاج بقلة الاستهلاك»[1].

إنني أوضحت في هذا التصور الحقيقي لمشكلة البطالة بناء على أقوال أهل الاختصاص، وتوصلت لتعريف البطالة والمتعطل، كما أوضحت أساس تقسيمها عند أهل الاختصاص، وآثارها على الفرد والمجتمع والاقتصاد من وجهة نظر الباحث وهى أكثر من ذلك، وفى ما ورد ذكره تتضح به إشكالية البطالة.

****

---

(١) «دور الوقف والزكاة في مواجهة البطالة» دكتور محمد عبد الله مغازي ص٥٥.

الفصل الثاني

منهج الإسلام

في علاج البطالة

- موقف القرآن الكريم من البطالة.
- موقف الرسول ﷺ من البطالة.
- موقف الخلفاء من البطالة.
- موقف العلماء من البطالة.



المبحث الأول

موقف القرآن الكريم من البطالة

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: تقرير الحقائق: حيث أقر الإسلام مبدأين لهما أثر مبين كأساس لتصور الإسلام لهذه المشكلة هما:

المبدأ الأول: الاستخلاف البشري أساس العمران:

خلق الله تعالى آدم ﷺ، وأهبطه إلى الأرض من أجل عبادة الله وعمارة الأرض؛ حيث كان أول بشر استُخْلِف في أرض الله، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]. ثم تناسل آدم ﷺ فكانت ذريته من بعده كذلك، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣٩]. فكانت إرادة الله ومشيئته تعالى، العليا تتجه إلى أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، وكشف ما في الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات[1].

فينبغي للإنسان أن يوقن بأنه مستخلف في أرض الله – تعالى – اختبارًا له ليحسن العمل والسعي، فالله سبحانه يقول: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٤]. فاستخلاف الإنسان حافز قوي، ودافع لمن تعطل عن العمل لبذل مزيد من البحث عن العمل من أجل عمارة أرض الله تعالى، وإصلاحها يقول علامة الإسلام الإمام ابن خلدون: «إن أيدي الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف»[2]، وتتضح علاقة الاستخلاف بعلاج البطالة فيما يلي:

---

(١) «في ظلال القرآن» سيد قطب ١/ ٥٦.

(٢) «المقدمة» ابن خلدون ص ٤٢١.

(أ) أسس الاستخلاف وأثرها في العلاج :

يقوم استخلاف الإنسان في أرض الله ﷻ على أسس تعينه على مواجهة البطالة، وهى كالتالي:

الأساس الأول: تكريم الله للإنسان.

الأساس الثاني: تسخير الله الكون للإنسان.

الأساس الثالث: أمر الله للإنسان بعمارة الأرض.

وهذه الأسس الإجمالية أفصل القول في بيان وجه إفادتها لمواجهة البطالة:

الأساس الأول: تكريم الله للإنسان:

إن تكريم الله ﷻ للإنسان له دخل كبير في علاج بطالة الفرد، ويتحقق الفرد من سيادته في هذا الكون لما يجد ذلك مسطورًا في كتاب الله، إذ يقول: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠]. ورد في التفسير أنه: «لقد كرم الله بنى آدم بالاستعدادات، التي أودعها فطرتهم، التي تؤهلهم للاستخلاف في الأرض، ومن هذا التكريم أن يكون الإنسان قيمًا على نفسه، محتملًا تبعة عمله»[1]، وأن يصير مسئولًا عن نفسه ومن يعول فيتحمل جزاء ما قدم وسعى، والفرد الذي تعطل عن الكسب يسأل عن ذلك لو كان له دخل في بطالة نفسه أو غيره، قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم:٣٩-٤١].

إن ذهول البعض عما خلق من أجله من عمارة للكون، وركونهم إلى الكسل والقعود لأكبر دليل على تغافلهم عن تكريم الله للإنسان كما جاء بالقرآن في سورة الإسراء وقد تنبه الدكتور محمد عبد الله مغازي إلى أن المتعطل: «إذا علم أن مناط تكريم الله له، هو إنسانيته فيه وبشريته، إذ هو الذي استخلفه الله في الأرض لعمارتها، ومن ثم فإن البطالة لهذا الإنسان

(١) «في ظلال القرآن» سيد قطب ٤/ ٢٢٤١.

محظورة شرعًا لتعارضها مع الإنسانية التي هي مناط التكريم»[1]، ويمكن بيان أثر تكريم الإنسان في مواجهة البطالة من حيث التذكير وبيان المسئولية، وبيان حق الشخص في العمل كحق مدني من خلال:

١ – تذكير الفرد بمنزلته التي أنزله الله فيها، كحافز على العمل، أو البحث عنه بجد.

٢– التذكير بأن الكسب والعمل حق الفرد، ويجب أن يتوفر له بموجب كرامته الإنسانية.

٣ – مسئولية الفرد المكرم عمن يعول، فالمتعطل العائل يجب عليه الكسب بقدر ما لابد منه، ولا يكون كلًّا على أحد.

٤ – مسئولية الفرد المكرَّم عن بطالته؛ إذ هي تنافى الكرامة الإنسانية والله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد:١١].

٥ – مسئولية المجتمع عن أصحاب البطالة، وهم المكرمون عند الله، الذين ابتلاهم بنقصان العمل ويظهر دور المجتمع في معاونتهم، بالإنفاق، وتيسير العمل، وتوسيع آفاقه من خلال تشغيل الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال لهؤلاء الشباب الذين يقدرون على الكسب والعمل ويطلبونه، قال الله ﷻ: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف:٣٢]. فتقسيم الأرزاق بيد الله سبحانه، قوله: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ﴾ وتقسيم المعايش يستلزم تنوع الأعمال والمكاسب التي تحقق المعايش، يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: «إن الحكمة القرآنية في علاج البطالة اقتضت التعبير بلفظ «بعض» عن العامل وصاحب العمل، فقال: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ ولم يقل «ليتخذ الغنى الفقير، أو القوى الضعيف، أو المكتسب المتعطل»، للإشعار بأن هذا الغنى يحتاج إلى الفقير، وأن

---

(١) «دور الوقف والزكاة في مواجهة البطالة» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٦٨.

الصانع يحتاج إلى الزارع، وكل صاحب وظيفة أو حرفة محتاج إلى خبرة غيره»[1]، كما يفيد هذا الأسلوب السابق الإبقاء على كرامة الفرد، حتى ولو كان في حاجة إلى عون الآخرين، حيث إن كرامة الفرد ألزم، وأدوم إذ هي ثابتة له أبدًا أما الحاجة فغير لازمة، فهذه مسئولية المجتمع، وهى سنة من سنن الله في الاجتماع.

٦ – ضرورة سعى الدولة في تشغيل المتعطلين، حيث إن العمل حق كل فرد قادر عليه، كما سبق بيان ذلك.

الأساس الثاني: تسخير الله الكون للإنسان:

لقد ذلل الله ﷻ الكون كله لهذا المخلوق المكرم، تحقيقًا لاستخلافه في الأرض، وهذا التذليل والتسخير لمقدرات الكون، بل وجميع المخلوقات من نعم الله على الإنسان، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]. وكم في كون الله من أشياء مسخرة للإنسان وهو منصرف عنها، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤]. فتذكير الإنسان بنعم الله المتمثلة في تسخير الكون له، مما يثير حفيظة المرء إلى إثارة ما تحت يده من موارد وثروات، بل يقدم أيضا العمل، الذي به يتحدث بنعمة الله عليه في تسخيره الكون له شكرًا لله على أنعمه.

وتذليل الله ما في الأرض للإنسان، يقتضى انتفاع الفرد بما خلقه الله، واستثماره لما في الأرض من خيرات وثروات، لذا سمى القرآن الكريم الكسب لتحصيل المعايش «ابتغاءً من فضل الله» حيث قال ﷻ: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]. وهذا أمر قرآني يجب على الإنسان أن يأتمر به.

---

(١) «معاملات البنوك وأحكامها الشرعية» دكتور محمد سيد طنطاوي ص٤٦. «إحياء علوم الدين» الإمام الغزالي ٣/ ٣٠٩.

ولقد وصف الله الحياة على الأرض بأنها متاع ومستقر فقال مخاطبًا آدم، أبى البشرية عليه السلام: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]. ليعلم الإنسان أن استقراره عليها ومتاعه فيها إلى حين.

وإذا تأمل الإنسان عمومًا، والمتعطل خصوصا الآيات القرآنية التي تناولت حقيقة التسخير فإنه سيجد أنها قد خاطبت أفراد الجنس البشرى، وذلك من خلال الخطاب الذي يعم كل العقلاء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]. وقال جل جلاله: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:١١]. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[النحل:١٢]. فإن هذا الضمير في «لكم» في كل من هذه المواضع، لكل من يعقل الخطاب، والمتعطلون من هؤلاء العقلاء الذين خوطبوا بذلك.

والخطاب في هذه الآيات فيه من التحفيز ما يكفى المتعطل جبرًا، أو اختيارًا على استعادة قواه وإرادته المتوجهة إلى بذل الجهد وإفراغ القوى في إنجاز ما ينفع به نفسه وأهله وأمته والناس أجمعين، فهذه وظيفة الإنسان في الحياة ليعيش من إثارة للأرض التي سخرها الله لنا، أو ضرْبٍ في الأرض التي سلك لنا فيها سبلًا.

وقد أوضح الإمام الشاطبي ضرورة الكسب من ناحية الشرع فقال: «فإذا قيل للإنسان لم تكتسب لمعاشك بالزراعة أو التجارة أو غيرها؟ قيل: لأن الشارع ندبني إلى تلك الأعمال، فأنا أعمل على مقتضى ما أمرت به، كما أمرني أن أصلي، وأصوم، وأزكي، وأحج إلى غير ذلك من الأعمال التي كلفني بها» [1]؛ وبعد فهذا هو الأساس الثاني للاستخلاف، من تسخير الله

---

(١) « الموافقات في أصول الشريعة» أبو إسحاق الشاطبي ١/ ١٧٤،وقد أفاد هذا المعنى أيضًا القاضي عبد الجبار شرح الأصول الخمسة ص٣٦٣ وبعدها.

الكون للإنسان، وماله من دور كبير يدفع المتعطل إلى الكسب والعمل، وهو وسيلة من وسائل القرآن في علاج البطالة، مما ينبغي تذكير المتعطلين بها، حتى يشكروا نعمة الله عليهم بمزيد من العمل وبذل الجهود في تعمير الكون الذي سخره الله لهم.

الأساس الثالث: أمر الله للإنسان بعمارة الأرض:

إن الله ﷻ أمر بني آدم بعمارة الأرض، واكتشاف أسرار كون الله، وإخراج ما في الأرض من خيرات وثروات، فقال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود:٦١]. ومعنى «واستعمركم فيها» أي: وطلب منكم عمارتها، وإصلاح ما فسد فيها، ومن البديهي أن عمارة الأرض لا تكون إلا عن طريق الكسب والسعي في الأرض لتعبيد ما فيها من سبل للضاربين، وحفر باطنها لاستخراج ثرواتها ومواردها التي ينتفع بها الإنسان، قال أحد العلماء: «إن السعي الإنساني لعمارة الأرض وسيلة لضمان المعيشة الرغيدة واستقرار الحياة، ولولا سعى الإنسان لما أمكن له أن يبقى حيًّا على وجه الأرض»[1]، فقد ذكر الله تعالى ذلك لآدم عليه السلام وذريته من بعده، قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]. فوصف الحياة الإنسانية في الأرض بالاستقرار والمتاع، ولكن إلى زمن معين، أي: لانتهاء أجل الفرد، فينبغي على الفرد الإنساني أن يتخذ كل الوسائل والأساليب المشروعة، لإنجاز هذا الاستقرار، وبقدر ما يأخذ الإنسان بأسباب الاستقرار بقدر ما تتحقق عمارة أرض الله التي استخلف الله فيها الإنسان.

إن سعي المسلم لإشباع حاجاته الضرورية وحاجات الناس من حوله ليستكفى حاجاته بعمله وكسبه، لا يكون في ذلك سعيًا لنفع فردي، حيث إنه يعمل على إنتاج ما يحتاج إليه مجتمعه، ووطنه، بل والبشرية كلها، إذا أتقن حرفته وتاجر فيها وبذلك يتم تحقيق عمارة

---

(١) «العمل والإنتاج في المنظور الإسلامي» منصور الرفاعي عبيد ص٣٦ وبعدها. «أصول الاقتصاد الإسلامي» دكتور أمين مصطفى عبد الله ص ١٠٨.

الأرض كما أراد الله، وهذا الجهد الفردي يعود نفعه على الآخرين ولا شك أنه أمثل صورة من صور عمارة الأرض، فلا مناص من حركة الإنسان المتعطل ليتحقق هذا التكليف الإلهي، الذي كلف الإنسان به حينما جعله خليفة في الأرض وطلب منه عمارتها، وهذا يدل على أن استخلاف الإنسان في الإسلام يعالج مشكلة البطالة بمنطق فطرى سديد، لأن الفرد المتعطل إذا أقدم على عمارة الأرض بموجب ذلك الوعد الرباني ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود:٦١]. يكون بذلك نافعًا لنفسه وغيره، لذا وصف الله هذه العمارة بمباشرة عمل الأيدي حيث قال ﷻ: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:٣٥]. ومن اليقين أن الله هو الذي امتن علينا بإنبات النبات والزرع، ولكنه سبحانه ذكر عمل البشر بأيديهم من بذر، وسقي، وحرث، وتنقية وغيره، حتى يستقر هذا المعنى التعميري في الأذهان، وإذا تأمل المرء المتعطل هذا الضمير، الذي خاطبه الله به في خاصة نفسه هو وكل من يعقل، لتحفز للكسب واجتهد في اقتناص العمل المناسب له.

وبعد فقد تبين ما للاستخلاف البشري في الأرض من دخل كبير في مواجهة مشكلة البطالة، إذ بالاستخلاف يتحفز الفرد لممارسة الأعمال، والبحث عنها، بل ومعاونة من لم يجد العمل.

ب - مجالات الاستخلاف:

إن استخلاف الإنسان في هذه الأرض كان لحكمة عليا، هي عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه العبادة لله رب العالمين من لوازمها الكسب والعمل، من أجل تحقيق شرائطها كستر العورة للمصلى بثوب يشتريه الإنسان من مال اقتناه الفرد أجر ما قدم من عمل، لذا قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]. ومن هنا فقد تعددت مجالات الاستخلاف وهى فيما يلي:

١ -الأرض ومواردها وثرواتها:

فالأرض محط خلافة الإنسان قال تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴾[الرحمن:١٠]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ [النازعات:٣٠-٣٣]. فالأرض هي المكان الذي يقدم الفرد لنفسه فيه ما يصلح حاله من رزق يبتغيه، ومال يقتنيه لحاجته، من أجل ذلك جعل الله ﷻ أقوات العباد مركوزة في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت:١٠]. وما على المرء إلا طلب القوت بكسبه وكد يده.

وقد ظهر استخلاف الإنسان في الأرض في مجالات العمل والكسب الطبيعي الذي شرعه الله ﷻ لعباده المؤمنين، من خلال ما يلي من مكاسب:

١- الزراعة.

٢- الصناعة وثرواتها المخبوءة في باطن الأرض.

٣- التجارة.

٤ - المهن الحرفية.

تعتبر هذه المكاسب هي أصول الأشغال والأعمال والمكاسب ويتفرع عنها مئات بل آلاف الأعمال الأخرى الجزئية.

والله ﷻ يقول: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ [الحجر:١٩، ٢٠]. وقد بين الإمام الماوردي وجوه المكاسب، فقال: «إن الله جلت قدرته جعل سد حاجات العباد من وجهين مادة وكسب: فأما المادة فهي حادثةٌ عن اقتناء أصول نامية وهى شيئان: نبت نام وحيوان متناسل، وأما الكسب فيكون بالأفعال الموصلة للمادة وذلك من وجهين: أحدهما تقلب في تجارة، والثاني تصرف في صناعة فصارت وجوه المكاسب أربعة: نماء زراعة، ونتاج حيوان، وربح تجارة، وكسب صناعة»[1].

---

(١) «أدب الدنيا والدين» الماوردي ص ٢٥٤، « المقدمة» ابن خلدون ص ٤٢٤.

٢-**الأموال (نقدا وعينا)**:

واستخلف الله الإنسان أيضًا في هذا المال الذي جبل على حبه حبًّا جمًّا، والبخل به عن أن يصل إلى غيره إلا بمعالجة صعبة، قال الله ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]. وقال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[الإسراء:١٠٠].

وفي واقع الأمر فإن المال الذي يجمعه الإنسان، عارية فقط والمالك الحقيقي له هو الله سبحانه وفي بيان هذه الحقيقة قال الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]وقال ﷻ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[النور:٣٣]. فيجب على الإنسان أن يتقى الحرام في جمع الأموال واقتنائها، وفى إنفاقها وإخراجها من حوزته، وتبدو مظاهر الاستخلاف في الأموال من خلال ما يلي:

- استثمار الأموال في مجال أنشطة العمل المختلفة لتشغيل المتعطلين.

- إعطاء الزكاة للفرد القادر على الكسب، ولكن لا يجد آلة العمل فيشتريها، وفي هذا كفاية العمر له ولمن يعول.

إن نظرة الإسلام لاستخلاف الإنسان في الأرض تواجه مشكلة البطالة مواجهة حاسمة، فيعتبر فتح مجالات العمل لعمارة الأرض وإثارة ما فيها من موارد ضرورة لعلاج هذه المشكلة، كما أن الإسلام بتلك النظرة يجعل المتعطل يقف على حقيقة رسالته في الحياة فيستعيد ثقته، فيبدأ التفكير في بذل الجهد، وبذلك يكون فردًا في المجتمع إيجابي التأثير والتأثر، فينفع نفسه وأهله ومجتمعه.

المبدأ الثاني: ضرورة العمل في القرآن الكريم:

لقد أفاض القرآن الكريم في حديثه عن العمل والاكتساب وهو أحد الوسائل الأصلية في علاج البطالة، حيث يحث القرآن على العمل لكسب الضرورات، ويهيئ الوقت المناسب للاكتساب، كما ييسر سبل ابتغاء الرزق من خلال تعدد أوجه الكسب ويتضح ذلك فيما يلي:

١ - القرآن يحث على الكسب والعمل:

إن الإنسان إذا خاطبنا فيه الفطرة نجد أن فطرته تقوم على ضرورة الاكتساب في الحياة، ولا حرج على المرء أن يعمل أو يبحث عن العمل إذا سمع الله ﷻ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ:١١]. أي وجعلنا وقت النهار لتعملوا فيه، وتكتسبوا أرزاقكم، فالقرآن يبين وقت الاكتساب الطبيعي للإنسان؛ إذ النهار وقت النشاط وقابلية بذل الجهد، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠]. ولما كان الإنسان مكرّمًا من الله ﷻ وممكن له في الأرض فقد هيأ الله له سبل ابتغاء الأرزاق ويسرها له في مختلف أنواع المكاسب، من زراعة وصناعة وتجارة، يقول الله حاضًّا على الزراعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣،٦٤]. ويقول تعالى آمرًا نبيه داود عليه السلام أن يصنع الدروع من حديد سابغات: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ:١٠،١١]. ويقول أيضًا معبرًا عن هؤلاء الذين يسافرون لجلب السلع ليتاجروا فيها: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[المزمل:٢٠]. فالقرآن الكريم بذلك يحث الإنسان على ما يبذل فيه جهده مهما ضاقت عليه الحياة؛ فإن بذل الجهد في البحث عن العمل المناسب وسيلة لخروج المتعطل من أزمته»[1].

وفى جمع القرآن بين الجهاد في سبيل الله، وبين التجارة والربح عن طريق الضرْب في الأرض، وابتغاء الرزق، ما يدل على ضرورة العمل والاكتساب، وأهميته للأمة كالجهاد في سبيل الله تعالى[2]، وفيه دلالة على أن العمل يحتاج للمشقة وبذل الجهد كالجهاد تمامًا؛ فإذا تأمل الإنسان عمومًا والمتعطل خصوصًا هذه المنزلة الرفيعة للعمل في الإسلام أقبل على العمل وزاول المهن، واحترفها ابتغاءً للرزق من فضل الله تعالى.

---

(١) «عظمة الإسلام» محمد عطية الأبراشي ٢/ ٣٢٢.

(٢) «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعي ص٢١١.

٢ - القرآن الكريم والملائمة بين العبادة والكسب:

إن القرآن الكريم من خلال آياته البينات التي تعرضت لأحكام بعض العبادات أشارت إلى ابتغاء فضل الله بطلب الاكتساب أو الضرب في الأرض مما يبرهن على أن الإسلام الحنيف وازن بين مطالب الدين ومطالب الدنيا في وسطية لا يوجد لها نظير في أي دين آخر، وفي سياق آيات أحكام الحج فقال الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة:١٩٨]. وهذا دليل على أن القرآن الكريم عظم من شأن الاكتساب، والسعي في طلب الزرق، يقول الإمام القرطبي: «وفى الآية دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركًا ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه»(١)، فأي إفادة للإنسان المتعطل أكثر من تلك الملائمة بين العبادة والعمل في سهولة ويسر؟.

وإذا كان الجمع بين التجارة والحج يجوز للحاج أثناء حجه، فإن التجارة تجوز - من باب أولى - غير الحاج في الموسم، فلا منافرة بين الاكتساب والتعبد في الإسلام، بل إن العمل في الإسلام يرقى إلى درجة تكفير الذنوب به، وابتغاء الأجر من الله، من خلال السعي على الأهل والولد؛ ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا حاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف» (٢)، فهذا الحديث يحث على العمل من خلال عبادة الصدقة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي تحقيق دكتور محمد إبراهيم الحفناوي ٢/ ٧٧١، المجلد الأول.

(٢) أخرجه الإمام البخاري كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، ١/ ٢٥١.

٣- أدلة وجوب العمل والاكتساب بين النقل والعقل:

لقد أمر القرآن الكريم بالانتشار في الأرض، فقال ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]. فالآية تدل على حكم العمل والاكتساب، قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني: «والمذهب عند جمهور الفقهاء ﷺ أن الكسب بقدر ما لابد منه فريضة، فمقدار ما يقيم به كل أحد صلبه، يفترض على كل أحد اكتسابه عينًا؛ لأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرائض إلا به، وما يتوصل به إلى إقامة الفرائض يكون فرضًا»[١]، فمن تعطل عن العمل، فأصابه الفقر والجوع هو ومن يعول، فعليه البحث الجاد عن العمل الذي يكتسب به ما يقيم صلبه ويعين أهله وولده، قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧]. فلابد من الإنفاق على الأولاد من المكسوب، ولا يتصور ذلك إلا بعد الكسب ومالا يتوصل إلى أداء الفرائض إلا به يكون فرضًا.

وبعد ظهور حكم العمل والاكتساب فما على المتعطل إلا أن يبحث عن عمل يناسبه، ويسأل أهل الحل والعقد، ويبذل الجهد في ذلك؛ فهذا واجب من الواجبات، وعلى الدولة في الإسلام أن تيسر العمل لأهل القدرة عليه والرغبة فيه إجراءً لحق هذه الفريضة في المجتمع الإسلامي، وعلاجًا لهذه المشكلة، وقطعًا لدابر البطالة من بين الشباب الذين هم عدة الأمم، ووقودها الذي يتحقق بسواعدهم تقدم البلاد وازدهارها.

وقد بين الإمام الشيباني أن: «المعقول يشهد بأن الاكتساب فرض واجب بقدر ما لابد منه، فإن في الكسب نظام العالم، والله تعالى حكم ببقاء العالم إلى حين فنائها وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، وفى تركه «أي التعطل عن العمل» تخريب نظامه وذلك ممنوع منه»[٢].

---

(١) «الكسب» محمد بن الحسن تحقيق دكتور سهيل زكار ص ٥١ – ٦٤.

(٢) «الكسب» محمد بن الحسن ص٥٤، «الاختيار لتعليل المختار» أبو الفضل الموصلي ٤/ ٢٨.

والدليل على أن تخريب نظام العالم ممنوع منه، النهى عن الإفساد في الأرض والنهى عن قتل النفس، والنهى عما يؤدى إلى التهلكة، ولا شك في أن البطالة خطر يهدد المجتمعات، وقد تؤدى إلى فساد في الأرض عن طريق آثارها السلبية، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:٨٥].

لذا كان العمل والاكتساب هو العلاج القرآني الذي دلنا الله ﷻ عليه والوسيلة الأصلية العملية لعلاج البطالة في أي عصر ومَصْر، وكان الأمر الذي أمر الله ﷻ نبيه الخاتم ﷺ في القرآن قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧، ٨]. وفى التفسير: «إذا علمت أن مع العسر يسرًا، فاعلم أن مع التعب في العمل النافع راحة، فإذا فرغت من عمل من أعمالك النافعة لك ولأمتك، «فانصب» أي: فخذ في عمل آخر واتعب فيه فإنك تجد لذة الراحة عقب النصب بما تجنيه من ثمرة العمل»[1]، فإذا عرف المتعطل منزلة العمل، وحكمه، وضرورة مباشرته، فإنه يقبل عليه، ويزاول المهنة التي تناسبه، وإلا فإنه يسعى في تعليم حرفة يذهب بها عن نفسه إصر البطالة[2]، حيث إنه أيقن جدوى ما يسعى إليه، وضرورة ما يباشر من عمل.

المطلب الثاني: (محو السلبيات):

ويتضح ذلك الموقف القرآني من البطالة من خلال محو السلبيات فيما يلي:

أولًا: التهديد والتنديد بالقاعدين في القرآن، ففي غزوة تبوك وهى إحدى الغزوات التي ذكر الله طرفًا منها في سورة التوبة، في هذه الغزوة تعلل بعض من يظهر الإسلام بعلل واهية حتى لا يخرجوا مع رسول الله ﷺ، في وقت العسرة؛ فما كان إلا أن فضح الله خبث

---

(١) «تفسير جزء عم» الإمام محمد عبده ص٨٩، «في ظلال القرآن» سيد قطب ٦/ ٣٩٣٠.

(٢) الإصر: هو الأمر الذي يقيد ويثبط عن الخيرات والوصول إلى الثواب، قال الله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ، «المفردات في غريب القرآن» الراغب الأصفهانى ص١٩.

طوية هؤلاء القاعدين بعلل فارغة فقال ﷻ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٨١]. وندد ربنا بسوء ما فعله هؤلاء القاعدين، وما أشبه الكسالى عن الكسب بهؤلاء القاعدين إذ ذمهم الله حين قال: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة:٨٣]. فما أشبه المتعطل عن عمل والكسب مع قدرته عليه بهؤلاء الخالفين؛ الذين تعللوا بالأعذار الفارغة، والخالفون هم الذين تخلفوا عن الجهاد من العجائز والنساء والصبيان.

وفى ذلك ما يبرهن على عدم التسليم للقعود الاختياري حيث لم يرض الله ﷻ عن تعطيل هؤلاء لقواهم البدنية، وخذلانهم عن العمل الذي كلفوا به، في حين أن الله أمر نبيه ﷺ، أن يأمر أصحابه بالعمل، وأنه يراه فقال ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]. لقد كان في هذا التنديد بقعود القاعدين تشجيعًا على إجابة دعوة رسول الله للجهاد بالنفس والمال، والعجيب أن هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال قط إذ صالح النبيُّ ﷺ صاحبَ أيلة على الجزية [1]، فكان بذل المسلم لجهده في طلب الرزق الحلال، مما يجب الالتزام به، إتباعًا لأمر الله بالعمل.

وندرك من ذلك كله أن الأصل في الإسلام هو بذل الجهد والمال للخروج من مشكلة البطالة حيث قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:٧٩]. وفي ذلك إعلان لموقف القرآن من البطالة الاختيارية من الذم والتنديد.

إن القاعدين المثبطين أفراد كسالى أو في قلوبهم مرض يبوءون بآثامهم يوم القيامة تشهد بذلك آيات القرآن الكريم، حيث لا يستوي عند الله القاعدون مع العاملين الذين بذلوا الجهد، فيقول تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ

---

(١) «السيرة النبوية» ابن هشام٤/ ٣٨٧ «فقه السيرة النبوية» محمد سعيد البوطي ص٢٩٧.

ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٥]. قال الإمام القرطبي: «أهل الضرر هم أصحاب الأعذار؛ إذ قد أضرت بهم حتى منعتهم الجهاد وصح وثبت أنه ﷺ قفل من بعض غزواته فقال: «إن بالمدينة رجالًا ما قطعتم واديًا ولا سرتم مسيرًا إلا كانوا معكم، أولئك قوم حبسهم العذر» [1]، وهذا يدل على أن البطالة عن العمل لا يرضى بها المجتمع المسلم إلا لأصحاب الأعذار من مرض أو زمانة أو كبر، وأن اختيار المرء القعود عن الكسب في الإسلام ذنب من الذنوب التي ينكرها عليه المجتمع كله.

والبطالة المقنعة أن يظهر المرء العمل وهو في الواقع لا يقدم شيئًا يذكر، أو يثبط غيره عن العمل فهؤلاء معوقون يعلم الله ﷻ حقيقة ما تكِنُّ صدورهم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب:١٨]. فعلمُ الله – تعالى – بهؤلاء المعوقين يدل على التهديد الشديد لهم؛ إذ لم يقعدوا عن بذل الجهد فحسب، وإنما صاروا دعاة بطالة وتثبيط عن العمل، وعلاج هؤلاء من خلال تفعيل واجبات العمل من قاعدة الجزاء والحساب، وأن الأجر لا يكون إلا في مقابل العمل الصحيح، قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٥]، فالأجر هو ما يحصل عليه العامل في مقابل جهده الذي يبذله في العملية الإنتاجية عن كل فترة زمنية: «ويتحدد الأجر في النظام الاقتصادي الإسلامي على أساس مبدأ «إنسانية العامل» بمعنى أن العامل إنسان، ومن ثم يجب مراعاة حالته عند تحديد أجره بحيث لا يقل عن الوفاء بحاجاته الضرورية على الأقل» [2]؛ لذلك قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء:١٨٣].

---

(١) أخرجه البخاري «كتاب المغازي» ٣/ ٩٠، «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي ٥/ ٢٩٩.

(٢) «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعي ص٢١٧، «الإسلام والاقتصاد» دكتور عبد الهادي على النجار ص٣٤.

ثانيًا: وسيلة ضرب المثل للمتعطل تنفيرًا وتحفيزًا:

لقد تعددت الوسائل القرآنية في أداء المعنى الواحد مما يدعو إلى تسجيل الأمر في العقول، واقتناع الأفئدة به، من هذه الوسائل الدعوية وسيلة ضرب المثل، وهي من أساليب الموعظة بالتي هي أحسن؛ فالأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أحسن الله - تعالى - الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة، قال الله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]. وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ [العنكبوت:٤٣]. يقول مناع القطان: «والحقائق السامية في معانيها إذا صيغت في قالب تمثيلي حسن يقربها للأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني، والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه»[1]، فضرب الله ﷻ المثل بالمتعطل من خلال سيئ صفاته حتى يتجنبها المسلم.

١ - فوائد ضرب المثل:

وتظهر فائدة المثل هنا في الصور الآتية:

الأولى: تنفير الإنسان من التصوير القبيح والصفات السيئة التي يرسمها المثل للمتعطل، وفى ذلك تنفير من حالة البطالة فيسعى المرء إلى بحث جاد عن عمل، ويتخذ جميع السبل ليخرج من حالة البطالة التي يعيش فيها.

الثانية: العلم بضرورة الكسب والعمل، عندما يسمع الفرد المثل للمتعطل فيقتنع بالعمل، بل ويتولد لديه الدافع القوى لبذل جهده في العمل؛ فيحبه ويكره القعود والبطالة، وكفى بذلك فائدة في علاج بطالة الشباب الذي تأثر تأثرًا نفسيًّا من البطالة.

---

(١) «مباحث في علوم القرآن» مناع القطان ص٢٨١.

الثالثة: تنبيه لولاة الأمور إلى الآثار النفسية المترتبة على طول فترة البطالة لدى الشاب؛ فالفرد إذا طالت فترة بطالته، فإنه ينقلب عنصرًا مضرًّا بالمجتمع من حوله، وفى هذا تحفيز لولاة الأمر بأن يأخذوا على عاتقهم كل السبل الممكنة التي شرعها ديننا الحنيف للتوسع في الأعمال وخلق فرص عمل لهؤلاء الشباب المتعطلين.

٢- المثل الذي ضربه الله للمتعطل:

قال الله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل:٧٦]. وقبل تناول هذا المثل القرآني بالشرح والبيان من الضروري الكشف عن حكمة من الحكم القرآنية في ذكر هذا المثل في تلك السورة الكريمة، والتي أطلق عليها العلماء أنها «سورة النعم»؛ لأن الله ﷻ قد عدّد فيها من نعمه على عباده[1]، وقال: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل:١٨].

ولاشك أن من ضمن هذه النعم مجالات عمل للمتعطل في البر والبحر حيث أشارت السورة لمجالات الاشتغال بالزراعة، والصناعة، والتجارة؛ فإشارتها لتلك المجالات يعتبر من نعم الله على عباده، وبذلك تمت النعمة والفضل الإلهي على المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣].

العرض والتفصيل:

لقد ضرب الله المثل لرجلين فذكر صفات الرجل الأول، وهى أنه: أبكم، لا يقدر على شيء، كل على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير، وأما الرجل الثاني فهو من يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، أوضح المفسرون أن هذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه – ولله المثل الأعلى – وللوثن، في التوحيد والإشراك[2]، والذي يعنينا في هذا المثل معرفة هذه الصفات المذكورة في

---

(١) «الإتقان في علوم القرآن» السيوطي ١/ ١٥٦، «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ١٠/ ٤٢٢.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي١٠/ ٤٩٧، «في ظلال القرآن» سيد قطب٤/ ٢١٨٤، «الكشاف» الزمخشري ٢/ ٤٢١.

الآية سواء أكانت للوثن أو غيره؛ وأرى أن هذه الصفات التي ضرب الله المثل بها للوثن تصلح بيانًا لصفات المتعطل؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هي ما يلي:

الوصف الأول: الأبكم: «وهو الأخرس الذي خلق ولا نطق له، وقيل: الأبكم الذي له نطق ولا يعقل الجواب»[1]، والمعنى الثاني أشبه بحالة المتعطل، إذ لا ينخرط فيمن حوله من الناس، وينعزل عنهم ولا يجيد الإبانة عما يختلج في صدره من مطالب وإرادات؛ إذ له نطق وآلة، ولكن البطالة اضطرته إلى الشعور باليأس وقد تملك منه لدرجة أنه أصيب بالبكم فلا يتكلم مع قدرته على الكلام.

الوصف الثاني: لا يقدر على شيء: إن الوصف الثاني مكمل للأول، فحيث بين الوصف الأول نفي القول مع قدرة المتعطل، بين الوصف الثاني نفي الفعل وهذا النفي ليس لأنه ناقص الأطراف بل له يدان وقدمان، لكنه لا إرادة له توجهه لإبرام العقود، ولا قدرة له على العمل والكسب، حيث لا يجيد الحرفة أو المهنة التي يبتغى بها رزقه من فضل الله؛ فعدم القدرة لا يفهم منه نقص الأطراف بقدر ما يفهم منه نقص التدريب والإرادة والعزم على اختراق صعاب الحياة؛ فالمتعطل سليم الحواس، ولكن لا يقدر على إنجاز عمل لم يعهد من قبل بالتعليم فهو لا يقدر على شيء.

الوصف الثالث: كَلٌّ على مولاه: هذا الوصف الثالث الطبيعي لحال من لا يبين بحاجته، ولا يقدم ما ينفعه؛ فمن أين تقضى حاجاته في الحياة؟ فيجيب هذا الوصف على هذا السؤال الطبيعي، أنه عبء ثقيل على من يلي أمره، ولفظة «الكلّ» وردت في العرف الشرعي في عدة مواضع كلها تبين أن المرء الكلّ – وهو من يعان من غيره – لا يقدم أي شيء إما لضعفه أو لصغره أو ليتمه؛ فالسيدة خديجة وصفت الرسول بقولها: «وتحمل الكلّ»[2]، وهو من لا يستقل بأمره، وفى حديث بيعة النساء روي أنه لما بايع رسول الله ﷺ النساء قامت امرأة

---

(١) «المصباح المنير» الفيومي ص٤١.

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح، باب كيف كان بدء الوحي، ١/ ٧، المجلد الأول.

جليلة – كأنها من نساء مُضَر – فقالت: يا نبي الله إنا كلٌّ على آبائنا فما لنا من أموالهم؟ قال: «الرطب تأكلنه وتهدينه»[1]؛ فهذا استعمال لفظة «الكلّ» في القرآن والسنة أطلق على من لا يستقل بأمره، من الفقير واليتيم والمرأة والطفل ومن لا يستقل بأمره، بل يحتاج إلى عون مولاه، والمتعطل يحتاج إلى عون مجتمعه كله.

الوصف الرابع: أينما يوجهه لا يأت بخير: حينما يرسله مولاه، يصرفه في طلب حاجة، أو قضاء مصلحة لم ينفع ولم يأت بخير ورشد، هل يستوي من هذه أوصافه مع من يأمر بالعدل، راجح العقل، ذو تجربة وخبرة واستقامة، وهو على صراط مستقيم، يقول سيد قطب: «فالمثل يصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدرى شيئا ولا يعود بخير، والرجل القوى المتكلم الآمر بالعدل، العامل المستقيم على طريق الخير ولا يسوى عاقل بين هذا وذاك»[2].

إن هذه الأوصاف السابق ذكرها لمن لا يستقل بأمره، لمن أعجب العجب أن يرد ذكرها في سورة النعم التي فصل الله فيها الأبواب الرئيسية للمكاسب من زراعة، وتربية الأنعام، وطلب الرزق في البر والبحر، وصناعة، وتجارة، فكأن المثل يربط بين المتعطل الذي لا يجد ما يعمله، وبين أبواب المكاسب ليبصر بعينه هذه النعم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]. فالله سبحانه كرم الإنسان في الكون بتسخيره كله للإنسان حتى يتفاعل معه، ومن لم يفعل وتأخر ولم يأت بخير فإن الله سائله عن ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]. فكل إنسان ملتزم بعمله وما قدر عليه من خير وشر، وهو بصير بما ينفعه أو يضره.

****

---

(١) أخرجه أبو داود «كتاب الزكاة»، باب المرأة تتصدق من بيت زوجها ٢/ ١٣٤ رقم ١٦٨٦.
(٢) «في ظلال القرآن» سيد قطب ٤/ ٢١٨٤.

المبحث الثاني

موقف الرسول ﷺ من البطالة

لا شك أن الرسول بصفته قدوة الأمة والمشرع لها أمر دينها، فإن نظرته للبطالة تجعلنا ندرك التصور الإسلامي الصحيح للبطالة كمشكلة عانى منها أفراد على عهده ﷺ، ويتكون هذا المبحث من مطالب أربعة:

المطلب الأول: الرسول قدوة في السعي والكسب:

ويتضح ذلك فيما يلي:

أ- ما قبل البعثة:

إن شخصية الرسول ﷺ لها من الكمال الخلقي والنفسي ما يهيئ له أن يكون قدوة للناس، الذين ينشدون تنمية مهاراتهم، ولا يكون الواحد منهم كلا على الناس، فلقد نشأ النبي الأكرم يتيمًا فكان ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب، في كفالة عمه أبي طالب، قال ابن إسحاق: «وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده فكان إليه ومعه»[1]، ولما تم للنبي ﷺ من العمر اثنتا عشرة سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة، فأخذه معه، ثم أخذ رسول الله يستقبل فترة الشباب من عمره فبدأ بالسعي للرزق والاكتساب.

فراح يشتغل برعي الغنم ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت؟ قال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[2]؛ فإقبال الرسول على رعى الأغنام لقصد اكتساب القوت فيه دلالات للمتعطل يستدل بها على ما ينبغي عليه عمله، وقد أشار لبعضها الشيخ محمد سعيد البوطي وهى:

---

(١) «السيرة النبوية» ابن هشام تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا (١/ ١١٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإجازة باب رعى الغنم على قراريط، ٢/ ٣٣ والقراريط جمع قيراط وهو جزء من الدينار أو الدرهم. وقيل القراريط اسم موضع بمكة والأول أرجح فتح الباري (٤/ ٥١٦).

«الأولى: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمل الله تعالى بهما نبيه محمدًا، فلقد كان عمه يحوطه بالعناية والإنفاق، ولكن النبي ما أن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب ليخفف مئونة الإنفاق عن عمه، وذلك في باكورة فترة الشباب للنبي ﷺ وهذا يدل على أنه ما كان كلًّا على عمه أبي طالب بل بذل الوسع والجهد بنفسه.

الثانية: كان من الجائز عقلًا أن يهيئ الله تعالى للنبي ﷺ من وسائل العيش ما يغنيه عن الكدح والاكتساب، ولكن الحكمة الإلهية تقتضي أن يعلم كل متعطل أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكد يمينه وعرق جبينه في مقابل ما يقدمه من عمل وخدمة مجتمعه، وأن شر مال الإنسان ما أصابه دون تعب من حرام أو وهو مستلق على ظهره »[1] والرسول ﷺ، دلنا على هذه الحكمة فقال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده»[2]، فقد كان النبي في شبابه يعرف الأولى والواجب عليه عمله، وهكذا المتعطل ينبغي أن يعمل ما يجب عليه عمله وخاصة إذا كان الاكتساب واجبًا لينفق على زوج وولد ووالدين.

الثالثة: أن النبي الخاتم ﷺ يعمل ويكتسب قبل النبوة وبعدها حتى نعرف أن الاكتساب سنة الأنبياء جميعًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان:٢٠]، ومن ذلك نعلم أن النبي ﷺ ليس بدعًا من الرسل وأن الاكتساب لا ينقص من منزلة الكرام شيئًا فلا يحتقرن متعطل عملًا ما من الأعمال.

وفى السيرة النبوية ما يبين للمتعطل مرحلة أخرى من حياة الرسول ﷺ، وهى المتاجرة في مال خديجة رضي الله عنها قال ابن إسحق:« كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم خلقه بعثت إليه

---

(١) «فقه السيرة النبوية» دكتور محمد سعيد البوطي ص٥٠ بتصرف.

(٢) الحديث أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٦/٢.

فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسره فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها»[1].

فمن المفيد للمتعطل أن يقتدي برسول الله في حياة الكد والاكتساب وعدم الركون إلى القعود والتبطل، بل نوَّع ﷺ في المكاسب فاكتسب برعي الغنم على قراريط لأهل مكة، وتاجر في مال قريش مع عمه أبى طالب، وخرج في مال خديجة ليتاجر لها فيه وهذا ما يسمى بعقد المضاربة وقد أقر الله تعالى هذه المعاملة فأوحى إليه قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[المزمل:٢٠].

إن المسلم الحق يعلم أن الواجب عليه ألا يتثاقل إلى الأرض، وإنما يكتسب في مجال كسبه، فإن كان صالحًا فهذا خير وإلا فتنوع المكاسب في الإسلام خير ما يقتدي فيه برسول الله ﷺحيث تاجر في المال، ورعى الغنم كما حث على جميع المكاسب الأخرى.

ب-ما بعد البعثة:

إن الرسول ﷺ قد توكل على الله – تعالى – فكفاه همَّ الرزق، كما اختصه ربه بفضيلة لم تكن لأحد من أمته فقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى:٥-٨]. لقد وعد الله نبيه بالعطاء، ووعد الله حق وصدق لا يتخلف، فأخبر النبي ﷺ بهذا العطاء فقال رسول الله ﷺ في الحديث النبوي: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»[2]، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها – بحمد الله – كما أخبر به النبي ﷺ، قال العلماء: «والمراد بالكنزين

---

(١) ابن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي بدون،١/ ١١٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض ١٨/ ١٣.

الذهب والفضة وهما كنزي كسرى وقيصر »[1]، ولقد أعطى الله تعالى نبيه الخاتم ﷺ ما جعله غنيا عن مسألة الناس فلا يسأل إلا الله، ولا يفتقر إلا إليه فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣١،١٣٢]. وزهرة الحياة الدنيا: زينتها بالنبات، وفي النص ما يدل على رضا النبي ﷺ بما قسم الله له من حظ في الدنيا، وأنه لم يتطلع لما في أيدي الناس، وفي ذلك تعليم للأمة وخاصة لذوي الفقر والمسكنة ألا يتطلعوا لما في أيدي الآخرين، وأن رزق الآخرة خير وأبقى من كنوز الدنيا.

ولما كان النبي ﷺ، في غنى عن الناس لم يحتج إلى أحد إلا الله، فلقد جعل الله خمس الغنائم والفيء للنبي، مع ما كان يكتسب به قوته ﷺ مما أفاء الله تعالى عليه من فضله، ولا شك أن الله قد تكفل لنبيه مئونة الرزق لئلا ينشغل بالاكتساب والشغل عن تبليغ رسالة ربه وقد أمره الله بها فقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

[المائدة:٦٧].

ومع تمام تبليغ النبي لدعوة ربه، فقد اكتسب وسعى في أرض الله ومشى في الأسواق وتاجر بيعًا وشراءً ورهنًا، ولما اعترض المشركون على ذلك لم يبال بقالتهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان:٧،٨] ولقد روي في الحديث أن «رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير »[2]، وفي هذا درس للمتعطل أن يكتسب ويعمل في الحياة مهما كانت الظروف، فهذا رسول الله قد هيأ الله له

---

(١) الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ط دار الريان، سنة ١٩٨٧ م ١٨/ ١٣.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ٢/ ١٥٦.

كنوز الأرض ولكنه آثر الاكتساب والعمل ليعلم أمته أن الحياة الدنيا كبد ومشقة ومعاملة مع الناس، وصدق الشاعر حين قال:

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا

كذلك يتعلم المتعطل من حياة رسول الله ﷺ بعد البعثة أنه مع ما وسع الله عليه وأحل له خمس الغنائم وأفاء عليه من أموال الفيء، إلا أن النبي آثر حياة الكفاف وقوت اليوم باليوم ولو طلب الدنيا لجاءته راغمة، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» [1]، والقوت:«قيل كفايتهم من غير إسراف، وهو بمعنى كفافًا وهو ما يسد الرَّمَق» [2].

إن النبي ﷺلم يخشَ الفقر على أصحابه ﵁ الكرام، وإنما خاف عليهم الغنى، وبشر أمته بكثرة المال ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فأبشروا وأمِّلوا ما يسرُّكم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما يسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» [3].

فعلى المتعطل أن يتذكر هذه البشارة المحمدية التي أخبر بها أمته ويضعها نصب عينيه ؛ فإن الله سبحانه أوحى إلى نبيه الخاتم ذلك فأخبر أمته بها.

وفى الحديث النبوي أن النبي ﷺ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: يا عدى: هل رأيت الحيرة ؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال : لئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضه يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم كتاب الزهد (١٨/ ١٠٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب بعد باب شهود الملائكة بدرًا ٣ / ١٣، ومسلم كتاب الزهد ١٨/ ٩٥.

يقبله منه»[1]، وهذا من علامات نبوة الرسول الخاتم، وهو دال على التبشير بالخير، فالمتعطل لا يصيبه اليأس وإنما يسعى دائما إلى البحث عن الاكتساب الذي يصيب به قواماً من العيش ويحيا به ومن يعول، وليكن ممتثلًا هذا الأمر النبوي الذي قال فيه الرسول ﷺ: «فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[2]، ومن ذلك يعلم المتعطل أن سنة الاكتساب للمعاش من سنن المرسلين وسنة النبي الخاتم من سنن المرسلين لقول الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء:٧٧].

إن من نظر في سيرة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها يجد أنها حياة عامرة بكل جد واجتهاد وإيمان، لا تكالبًا على الدنيا وطلب زخرفها وإنما إرشاداً لما ينبغي أن يكون عليه المرء من بذل للجهد، وضرب في مناكب الأرض.

المطلب الثاني: (أخلاق رسول الله ﷺ وعون أصحاب الأعذار):

لقد كره الرسول البطالة والكسل عن العمل، لذلك لم يرض لأمته أن تتصف بالبطالة فأقبل يعالجها ويعين المتعطلين، ولقد ظهرت معالجة الرسول للبطالة في عدة صور بعضها متطابق على أمر العلاج، وبعضها تضمن العلاج، وبعضها يلزم منها العلاج، فقد كان الرسول ﷺ، يمقت البطالة والكسالى والقاعدين عن أداء الواجب.

ومما ساعد النبي ﷺ على علاج البطالة، صفاته الأخلاقية وسيرته العطرة وسجاياه الفطرية، فإنه طبع على إعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإكساب المعدوم، وحمل الكل ولم يكن هذا بعد النبوة فقط بل كان أيضا قبلها، ففي حديث بدء الوحي ما يدل على هذه السجايا المؤهلة للرسول لجعله يسعى في علاج بطالة المتعطلين فيما روت السيدة عائشة رضي الله عنها

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة (٢/ ٢٧٧)، دكتور عبد المهدي عبد القادر، أحاديث معجزات الرسول التي ظهرت في زماننا، مكتبة الإيمان، الأولى سنة ٢٠٠١، ص٥٣.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ونقله المنذري في الترغيب ٣/ ٧، وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ٣، ومعنى الإجمال في الطلب : أي اطلبوه بتؤدة واعتدال وبعد عن الإفراط فإذا طلبوا الرزق كما أمروا كان طلبهم مقبولاً.

أن رسول الله ﷺ قال: «لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق» [(١)]؛ فالسيدة خديجة رضي الله عنها قد أقسمت على أن الله لا يخزي زوجها محمدًا ﷺ أبدًا ولو انتهت إلى الحلف فقط لقلنا: امرأة تطمئن زوجها، ولكنها أخذت تستدل على صدق هذا القسم، وبرّها في يمينها فعددت خصاله ﷺ، فإذا بجميع الخصال تقتضى المصلحة والمعونة لأصحاب الضعف أو القلة أو العالة أو المذلة من الناس ولم يتعلق أي وصف منها بها، وهى كما قال العلامة ابن حجر:« وصفته بأصول مكارم الأخلاق، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل وذلك كله مجموع فيما وصفته به » [(٢)]، ويتضح من كلام السيدة خديجة عدة صفات للنبي تظهر تمام رحمته في معاونته أصحاب الأعذار والحاجات.

عون النبي ﷺ للكلّ والمعدوم:

أما وصفها للنبي ﷺ في قولها بأنه «تحمل الكَلَّ» فالكَلُّ: «هو من لا يستقل بأمره كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل:٧٦]. والمعنى: أنه ثقل على وليه وقرابته، ووَبَالٌ على صاحبه، وقد يسمى اليتيم كلًّا لثقله على من يكفله، والكَلُّ من لا ولد له ولا والد» [(٣)]، وحمله الكَلَّ أي يحمل هذا الثقيل على الناس فيعينه، وهذا الكَلُّ هو المتعطل توسعًا.

وقولها «وتكسب المعدوم» « بفتح أوله والمعنى: تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك ويقال كسبت الرجل مالًا وأكسبته بمعنى، وقيل: معناه تكسب المال المعدوم وتصيب منه ما لا يصيب غيرك، وكانت العرب تتمادح بكسب المال، لاسيما قريش، وكان النبي ﷺ قبل البعثة تاجرًا والوجه الأول أولى » [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول، (١/ ٧).

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان، الأولى ١٩٨٦، (١/ ٣٣).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق دكتور محمد إبراهيم ٥/ ٤٩٨.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٣٤.

علاج مشكلة البطالة لكونها إحدى نوائب الحق:

أما وصفها للنبي ﷺ بأنه «يعين على نوائب الحق»: فالنوائب جمع نائبة: وهي النازلة وهي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم؛ فيعين على كل ما يقع فيه الضعفاء والفقراء من مصائب ونوازل، والمتعطلون جبرًا اضطراريًا من الذين أصابتهم نوائب الحق فابتلاهم الله سبحانه بقلة العمل، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[البقرة:١٥٥]. فالمتعطل يخاف من فقد حاجاته في المستقبل، وهو جائع، مُنتَقَص المال والأنفس والثمرات.

وقد عاون النبي ﷺ هؤلاء فأباح لهم المسألة وهم من الفئات الثلاث الذين ذكرهم النبي فقال: «إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاث: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش – أو قال سدادًا من عيش – ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة»[1]، وهذه الفئات الثلاث من تحمل حمالة، ومن أصابته جائحة، ومن أصابته فاقة، فقد أصابت البعض بطالة، فيقاس عليها حالة المتعطل الذي يريد العمل ويبحث عنه وهو قادر مكتسب فقد اضطر إلى البطالة فيجب أن توفر له فرصة العمل التي يكتسب منها قوته أو يعان من قبل المجتمع على سبيل التكافل الذي شرعه الإسلام الحنيف على المسلمين.

ولا يخفى أنه تقاس[2]، حالة البطالة الاضطرارية «الإجبارية» على حالة هؤلاء الفئات الثلاثة بجامع الاحتياج بسبب أمر طارئ من الخارج عن الشخص نفسه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، ٧/ ١٣٣، من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي.

(٢) القياس: هو إبانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر، وهو أحد أدلة التشريع الإسلامي، التعريفات للجرجاني، ص٢٣٢.

إن الرسول ﷺ عالج البطالة الإجبارية من خلال تشغيل العاطلين وتوفير فرص العمل لهم، ودلالتهم على أصول المكاسب من زراعة وصناعة حرفية وتجارة، بيد أن ذلك التشغيل لن يتحقق إلا بعد ما يتوافر في المتعطل الإرادة للكسب، والفكر الدافع إلى الاكتساب.

المطلب الثالث: (الوسائل النبوية في تغيير فكر المتعطلين):

اتخذ الرسول ﷺ وسائل عدة لتغيير فكر المتعطلين ومن هذه الوسائل:

١ - بيان أن العمل هو الأصل في كسب المال:

إن الرسول ﷺ قد وجه المسلمين إلى ما يهديهم ويحفظهم من عاقبة البطالة وسوء حالها، فقد حث على العمل والاكتساب واعتبر العمل هو الطريق الطبيعي لاكتساب المال والرزق، وأن على المسلم أن في الأرض والسعي في مناكبها وابتغاء فضل الله، ومعرفة المتعطل الطريق الواجب المفروض عليه أن يسلكه من العمل على بذل الجهد؛ ففي الحديث النبوي، قال رسول الله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خيرًا من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه»[(١)]، فعلى مثل هذه المفاهيم الصحيحة والمقاصد السليمة قامت الحضارة الإسلامية.

إن المتعطل باختياره قد يظن أنه تباح له المسألة، فوجهه النبي ﷺ إلى أن الأصل في كسب المال هو العمل، حتى ولو كان بجهد ومشقة كالاحتطاب الذي هو من أشق الأعمال قديمًا وحديثًا، كما بين أن الأصل في سؤال الناس هو الحرمة، فلا يحل للمسلم أن يلجأ للسؤال إلا لحاجة تقهره «الضرورة» فقد قال رسول الله ﷺ: «المسألة كدٌّ يُكَدّ بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانًا أو في أمر لا بد منه»[(٢)]؛ فالمسألة لغير ضرورة حرام، وهذا هو المنطق الإسلامي الذي شهدت به آيات الذكر الحكيم وأفاض في بيانه رسول الله ﷺ.

---

(١) الحديث متفق عليه أورده الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص١٨٨، رقم ٦١٨، ط دار الحديث ٢٠٠٥.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب مسألة الرجل في أمر لابد منه، ٥/ ١٠٠.

إن الله ﷻ وصف فقراء المهاجرين قال الله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾[البقرة:٢٧٣] وبذلك يتبين لنا أن الرسول ﷺ علّم أصحابه مبدأين جليلين أفادا في علاج البطالة وما يزال المسلمون يهتدون بهدي الرسول حتى يهديهم الله، وقد أوضح الدكتور يوسف القرضاوي كلا المبدأين في:« المبدأ الأول أن العمل هو أساس الكسب، المبدأ الثاني: أن الأصل في سؤال الناس هو الحرمة »[1].

وبذلك يمكن القول بأن البطالة الإجبارية قد عالجها الرسول الأكرم ﷺ حيث إن العمل حق الفرد على الدولة أما البطالة الاختيارية فقد هيأ النبي ﷺ لأصحابها ما يندمجون به مع المجتمع فيفيدون ويستفيدون.

٢-التنبيه إلى أوصاف في الفرد تنافي البطالة:

إن الرسول ﷺ قد وجه المتعطل إلى تنمية قدراته ومهاراته، وذلك من خلال وصفه بما يستلزم الاكتساب، وعدم التثاقل إلى الأرض والرضا بالبطالة، وفى وصف المتعطل إغراء بما لديه من قدرات وإمكانات ينبغي أن يستغلها، وتذكير له أيضا بنعم الله عليه في القوى، وتسوية الخلق، والقدرة على الكسب، ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوى»[2]؛ فإن الرسول نهى القوى سليم الأعضاء عن أن يأخذ من مال الصدقات، ذلك لأن على كل مسلم صدقة فالمتعطل إذا كان قويًا سوي الخلقة قادرًا على العمل، فهو ليس ممن يستحق الصدقة، بل ليس من أصحاب الأعذار إلا إذا بحث عن عمل فلم يجده، فيجب عليه مزاولة حرفة يكتسب منها قوته، وكذلك لو كان المتعطل

---

(١) «فقه الزكاة »دكتور يوسف القرضاوي ٢/ ٩٤٦مكتبة وهبة القاهرة.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة ٢/ ١٢١، رقم ١٦٣٤ والمِرَّة: القوة، والسَّويُّ : سليم الأعضاء، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٥/ ٤٥).

صاحب غنى فلديه المال فلا يحل له أن يأخذ من الصدقة، بل يجب عليه أن يستثمر ماله، وينمى قدراته ومهاراته، ويستغل النعم التي أفاء الله تعالى عليه من نعم بدنية أو خلقية أو مادية وغير ذلك.

وفى موطن آخر يبين النبي ﷺ لشابين جلدين الطريق الصحيح الواجب اتباعه فروي أن رجلين أتيا النبي ﷺفي حجة الوداع وهو يقسّم الصدقة، فسألاه منها؛ فرفع فيهما البصر وخفضه فرآهما جلدين فقال: «إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوى مكتسب» [1]، وفي هذه الرواية وصف الاكتساب مضاف للقوة والغنى لمزيد توضيح للمتعطل، وكأن النبي ﷺ قال: لا صدقة تكون لشخص وضع مع الغنى والقوة والاكتساب؛ فلا مسألة مع وصف صحيح من هذه الأوصاف الثلاثة، وكأن الفقر والضعف والتعطل هي الأوصاف التي تستلزم التصدق والمعاونة.

إن هذا هو التطبيق العملي لما قاله النبي ﷺ من عدم حل الصدقة للغني ولا للقوي، ولا المكتسب، في دور علاجه للبطالة، وهو توجيه من النبي ﷺ لكل قادر لما يجب عليه من الاكتساب عند تهيئة فرص الكسب الملائم لمثله عرفًا، فإن بحَث القادر عن العمل ولم يجده، وكان من أهل الضرورة، فيجب على المجتمع أن يعينه حتى يوفر له العمل المناسب.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:« من كان عاجزًا عن الكسب لضعف ذاتي كالصغر أو الشيخوخة أو الإعاقة أو لمرض أقعده عن الكسب، أو من كان قادرًا على الكسب ولم يجد بابًا حلالًا يليق به، أو وجد ولكنه لا يكفيه وعائلته، أو يكفيه بعض الكفاية فقد حلت له الزكاة والمسألة » [2]، إن المجتمع إذا نظر لمشكلة البطالة وأفراد المتعطلين من هذه الناحية التي نظرها رسول الله ﷺ لخرجت الأمة من تأزمها، ولوجد الشباب المتعطل ما يعمله.

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الشركاء، باب مسألة القوى المكتسب ٥/ ٩٩ أبو داود ٢/ ١٢١، واللفظ له.

(٢) «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام» دكتور يوسف القرضاوي ص٩٠.

٣- النبي ﷺ يسمو بأهداف المسلم:

إن رسول الله ﷺ قد سما بأهداف المرء فجعل الخير الذي يسعى إليه المسلم هدفًا للمرء لمنفعة نفسه والآخرين، ففي الأثر أن رسول الله قال: «المؤمن منفعة إن ماشيته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وكل شيء من أمره منفعة» [(١)]، فإذا كانت المنفعة للناس هي إحدى أهداف المرء في الإسلام فلا عجب أن يشير القرآن الكريم إليها سُمُوًّا بالهدف قال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾[القصص:٢٤]. فكان فعل الخير والمنفعة هما هدفا موسى وإن احتاج إلى أجر ما قدم.

الرسول الخاتم ﷺ قد سما بأهداف أصحابه؛ فكان الواحد منهم يبتغى الآخرة في أعمال الدنيا، ويؤثر أخاه على نفسه، ويكتسب ليتصدق على الفقراء، ويذلل الواحد منهم أمواله لخدمة دينه ومجتمعه؛ فكان كل ذلك من دواعي الاكتساب وترك البطالة والقعود.

ومن المناسب بيان العلاقة بين سمو هدف المتعطل وبين الاكتساب والعمل؛ فأقول: إن المتعطل إذا سما بهدفه وغير من فكره المادي المحض من خلال، أن يهدف – على سبيل المثال لا الحصر – للتصدق بما معه من مال فإن لم يجد ما يتصدق فإنه يكتسب ليتصدق فوصف أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه ذلك الحال فقال: «إن الواحد من الصحابة كان يعي أمر النبي ﷺ بالصدقة فيتحامل في السوق فيصيب المد، وإن للواحد منهم اليوم لمائة ألف» [(٢)]، فكان سمو النبي ﷺ بهدف أصحابه من خلال الأمر بالصدقة، سببًا من أسباب الغنى

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير٢/ ١٨٥ وعزاه إلى أبى نعيم في الحلية، وضعفه.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ١ / ٢٤٦، من حديث أبى مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

واليسار، وعلى ذلك يقاس كسب المكتسب للزواج تعففًا، ولعون المحتاج والنفقة على الأهل؛ فكلما كان الهدف نبيلًا وشريفًا كلما كان الجد في البحث عن الكسب الحلال.

فهذا السمو بهدف المكتسب دافع إلى الجد في البحث عن العمل، كما أن السمو بهدف العامل دافع على عون أخيه الفقير المكتسب حتى يكفيه حاجته، وهذا السمو بخلق المتعطل يجعله أبيّ النفس عزيزًا يبتغي الكسب ويبذل الجهد وبذلك يحقق ذاته، ويترك التعطل فإن التعطل خلق ذميم تأباه نفس المسلم أن توصف به.

٤-النبي ﷺ يسمو بأخلاق المكتسب:

وهذا السمو بأخلاق المكتسب أحد ركائز السمو بفكر المسلم بدلًا من كراهية المجتمع في حالة بطالته بالاغتراب الاجتماعي «الأنومي»، أو كراهيته للواقع دون أن يسعى في حل مشكلته.

وهذا ما غرسه رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه، لذلك وجدنا الإيثار بين سعد ابن الربيع رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد أثمر وأينع؛ فإن نبل أخلاق سعد بن الربيع قد أدى إلى عمل عبد الرحمن بن عوف حيث أخذ يسأل عن سوق فيه تجارة فدلوه عليه فغدا إليه فأتى بأقِطٍ وسمن ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر الصفرة فقال رسول الله ﷺ تزوجت؟ قال: نعم[(١)]، فإذا تخلق المرء بالأخلاق الفاضلة كان ذلك سموًّا لما هو أفضل لدنياه.

المطلب الرابع: (الرسول ﷺ وتشغيل المتعطل):

لقد عالج النبي ﷺ البطالة؛ فالقادر على الكسب مع رغبته في العمل وعدم وجدانه الكسب، وذلك في صورة رائعة دالة على أن النبي الكريم ﷺ كان لأمته بمنزلة الوالد لأبنائه وصدق الله إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع ٢/ ٣، فتح الباري، لابن حجر ٤/ ٣٣٩.

فالعنت هو المشقة أي: « يعز عليه مشقتكم »[1]، ولا شك أن البطالة أحد مظاهر هذا العنت بالناس، لذلك كان حرص النبي ﷺ على أمته أن سعى إلى تشغيل من جاءه يسأله العطاء والقوت ففي الحديث الشريف: «أن رجلًا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال النبي: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعب نشرب فيه الماء[2]، قال: «ائتني بهما»؛ فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: «من يشترى هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثًا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاما فأطعمه إلى أهلك، واشتر بالأخرى قدومًا فائتني به»، فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا» فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»[3].

دلالات الحديث:

في ضوء من هدي هذا الحديث الشريف خطوات سبّاقة، سبق بها رسول الله ﷺكل النظم التي لم تعرفها الإنسانية إلا بعد قرون طويلة من ظهور رسول الإسلام؛ فلقد أخذ بيد المتعطل في حل بطالته بنفسه، وعالجها بطريقة ناجحة، فعلَّم النبي ﷺ المتعطل أن يستخدم كل ما عنده من قدرات وطاقات، مهما قلت أو صغرت، وأن يستنفد ما يملك من حيل، مهما ضؤلت؛ فلا يلجأ للمسألة وعنده شيء يستطيع أن ينتفع به في تيسير كسب يغنيه.

وبين العلماء أن: « علم النبي ﷺ المتعطل أن كل كسب يجلب الرزق الحلال فهو شريف، ولو كان شاقًا كالاحتطاب، وناسب النبي بين العمل والعامل، فأرشد المتعطل إلى

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي ٤/ ٦١١.

(٢) الحِلْسُ: كساء غليظ، والقَعْب: قدح من خشب وإناء يشرب فيه، والفقر المدقع: أي الشديد، والدم الموجع أي المؤلم، «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٥/ ٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، ٢/ ١٢٣ رقم ١٦٤١ والمنذري، الترغيب والترهيب (٢/ ١٢).

العمل الذي يناسب شخصيته وقدرته وبيئته، ثم هيأ له آلة العمل حتى لا يدعه حيران، وبعد هذا الحل العملي لمشكلة البطالة لقن النبي ﷺ المتعطل هذا الدرس النظري الموجز في الزجر عن المسألة والترهيب منها، والحالات التي تجوز المسألة فيها من الفقر المدقع أو الغرم المفظع أو الدم الموجع »[1]، ولا ننسى الفترة المناسبة لمعرفة نجاح الفرد في عمله له أو لا يزال في حاجة لعون مجتمعه.

إن نظرة عامة في معالجة الرسول للبطالة ندرك بها الحكمة العالية، والعصمة النبوية في وضع الحلول المناسبة للمشكلة من جميع نواحيها النفسية والمادية والأسرية، حتى ما أطلق عليه من «الأسبوع المرجعي» إذا رسول الله أعطى السائل المتعطل عن العمل خمسة عشر يومًا على سبيل التجربة لما قدم إليه من عمل ناسبه في بيئته.

وكان اهتمام النبي ﷺ بتأهيل المتعطل نفسيًّا وماديًّا للعمل، أما التأهيل النفسي، فحيث أمره بتزويد الأهل بالطعام كي يفرغ من التفكير في شأنهم لبعض الوقت، أما التأهيل المادي فحيث زود المتعطل بآلة العمل بعد ما شد فيها عودا بيده الكريمة ثم أمره بالاحتطاب وأعطاه فرصة أيام تكفى ليظهر بعدها نتيجة تدبيره له؛ فإن كان موفقًا فهو المطلوب، وإلا ينظر له حلًّا آخر.

إن الرسول ﷺ قد دل المتعطلين على المكاسب التي يعملون فيها لإنهاء بطالتهم من الزراعة والصناعة والتجارة فإن لم يتوفر في بلد المتعطل العمل الذي يكتسبه يسافر إلى بلد أخرى طلبًا للرزق الحلال، وقد دلنا النبي ﷺ إلى ذلك السبيل فقال ﷺ: «سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا»[2].

---

(١) «مشكلة الفقر» دكتور يوسف القرضاوي ص٥١ وبعدها، «كيف عالج الإسلام البطالة » الدكتور زيد بن محمد الرماني ص٥١، «العمل والعمال في الفكر الإسلام» دكتور إبراهيم النعمة ص ٨٧.

(٢) الحديث أخرجه الإمام السيوطي من حديث أحمد في مسنده وحسنه، الجامع الصغير ٢/ ٣٠.

المبحث الثالث

موقف الخلفاء الراشدين من البطالة

تمهيد:

الخلفاء الراشدون ﭫ هم الذين أمرنا رسول الله ﷺ بالاقتداء بهم «أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلى أبو السبطين ﭫ» لهم مناقب جمة، وفضائل كثيرة قد عدَّدها رسول الله لنا لنعرف لهم فضلهم ونقتدي بهم من بعده ﷺ، ونرى كيف واجهوا الأزمات في عهدهم المبارك؟ فقد قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (1)، قال ابن رجب الحنبلي: « في أمر النبي ﷺ باتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين دليل على أن سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع السنة » (2).

وأصحاب الرسول ﷺ لم يكن واحد فيهم يؤثر البطالة أو التعطل على التكسب والسعي، إنما أجمعوا على أن الاكتساب هو الطريق الطبيعي الذي ينال المرء به قوته، فكان منهم الذي يحرث الأرض، ومنهم صاحب المهنة التي يحترفها ويكتسب منها، ومنهم التاجر بجهده وماله أو بماله فقط أو بجهده فقط، ولا غرابة أن يكون الخلفاء الراشدون ممن أجمع على ضرورة الكسب، يقول الله في وصف أصحاب النبي ﷺ : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر:٨،٩]. فالخروج من الأموال يدل على أنهم كانت لهم الحِرَف والأعمال قبل الهجرة .

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ٤/ ٢٠٠، رقم ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١/ ١٥ رقم ٤٢.

(٢) «جامع العلوم والحكم » ابن رجب الحنبلي ص٣٢٠.

فأصحاب النبي ﷺ كانوا أصحاب أعمال، وساعدهم الخلفاء على ذلك بتهيئة ما يكتسبونه من الزراعة، والصناعة، والتجارة ولما فتحت البلدان توسعوا في الأعمال بقدر ما اتسع لهم المورد وسوف نتناول الخلفاء الأربعة وموقفهم من البطالة كل واحد منهم على حدة لتتم معرفة طرق التوسع في الأعمال بعدما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكذا معرفة موقف الإسلام من بطالة غير المسلمين .

المطلب الأول: (موقف الصديق رضي الله عنه من البطالة):

إن أول خليفة راشد تولى خلافة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ هو الصديق أبو بكر، ثاني اثنين إذ هما في الغار، الذي صدَّق النبيَّ في خبره دون أن تكون له فكرة فكان خير قدوة بعد رسول الله، ويتضح موقفه من البطالة فيما يلي:

١ - صفات أبي بكر الصديق:

لقد تهيأ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه من السجايا الفطرية ما ساعدته على معاونة أهل البطالة والفقر والعون، ففي حديث الهجرة إلى المدينة المنورة - وهو حديث طويل - أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربى، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

لقد سبقت أوصاف مماثلة لتلك أثبتتها السيدة خديجة لرسول الله ﷺ «وفي موافقة وصف ابن الدغنة لأبى بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبي ﷺ، ما يدل على عظيم فضل

---

(١) أخرجه البخاري باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٢/ ٣٣١).

أبى بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال التي تنم عن مروءة الطبع، ونجدة الخصال وهكذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه»[1]، وهذا الوصف لأبى بكر على لسان ابن الدغنة أبلغ في الرفض لداء التعطل.

٢- كسب الصديق قبل الخلافة وبعدها:

إن الصديق أبا بكر رضي الله عنه كان يعين أصحاب الضعف والفقر والرق؛ فيحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم، وكان هو في شخصه صاحب احتراف في العمل التجاري؛ فالسيدة عائشة رضي الله عنها تقول: «لما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبى بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه»[2]، ويقول ابن حجر في بيان معنى احترافه للمسلمين: «نظره في أمورهم وتمييز مكاسبهم وأرزاقهم، وقيل: بالسعي في مصالحهم ونظم أموالهم، وقيل: يتاجر لهم في أموالهم حتى يعود عليهم ربحه بقدر ما يأكل أو أكثر»[3].

إن سجايا أبى بكر لم تخالف طبيعته الظاهرة، فكان صاحب النفسية المؤهلة لعون الآخرين وبالفعل احترف للمسلمين في أموالهم ووزعه عليهم بالمساواة والعدل، وفى قول الصديق «علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي» دلالة على أنه كان يحترف بالتجارة لمئونة أهله، وتذكيرًا بشأن الرسول ﷺ في العمل، واقتداء به، عسى أن يقتدي المتعطل بالنبي ﷺ في سعيه، وبالصديق رضي الله عنه في احتراف المهنة التي بها يشبع حاجاته ومن يعول، ومما يؤكد هذا ما ورد عن الصديق «أنه لما بويع بالخلافة أصبح وعلى ساعده أبراد[4]، وهو ذاهب إلى السوق، فقال عمر: أين تريد؟ قال: إلى السوق، قال: تصنع ماذا؟ وقد وليت

---

(١) «فتح الباري» ابن حجر العسقلاني٧/ ٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (٢/ ٦).

(٣) «فتح الباري» ابن حجر٤/ ٣٥٧، «تاريخ الخلفاء» السيوطي ص٦٣، «صحيح التوثيق في سيرة الصديق» الأستاذ مجدي فتحي ص١٦١.

(٤) الأبراد: جمع بُرْد وهو كساء صغير مربع ويقال كساء أسود صغير، المصباح المنير، ص٣١.

أمر المسلمين، قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقال: انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا إلى أبي عبيدة، فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخلقت شيئا رددت وأخذت غيره» [1]، فهذا هو تمام السعي في مصلحة من يعول.

هذه شخصية الصديق الذي دعا النبي ﷺ الأمة لتقتدي بها، وخاصة أهل البطالة، فلم يدع الاكتساب قبل أن يصير خليفة لرسول الله، ولما بويع بالخلافة أراد أن يجمع بين الخلافة والاكتساب وكان من العسير الجمع بينهما، فعفي من الاكتساب وفرض له من بيت المال ما يطعم عياله، ولكن السؤال: هل ترك الصديقُ كلَّ أعماله التي كان يحترفها قبل استخلافه؟

للجواب على هذا السؤال تظهره كتب السيرة العطرة؛ فإذا فيها «أن أبا بكر الصديق كان يحلب غنم جواري الحي ويفصل ابن عمر رضي الله عنهما ذلك فيقول: «كان يحلب للحي أغنامهم فلما بويع بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منائحنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية: أتحبين أن أرغي «أي أجعل للبن زبدًا»، أو أن أصرِّح [2]، «أي أجعله بدون زبد»، فربما قالت: أرغ، وربما قالت صرِّح فأي ذلك قالت فعل» [3]؛ ففي هذا الأثر ما يدل على أن الصديق رضي الله عنه لم يدع جميع الأعمال التي كان يمتهنها قبل الخلافة، لأن مزاولة الحرفة التي اعتادها الإنسان هي الشيء المعتاد ولا ينقص من قدر الأشراف شيئًا، وهذا درس للمتعطل الذي يشترط في العمل أن يكون لائقا به حسبًا ونسبًا وكأنه طالب نكاح لا عمل حتى يشترط فيه المناسبة والوجاهة الاجتماعية، وإن كان هذا الشرط له وجاهة إذا توافرت العديد من فرص العمل والمتعطل يختار منها، ما يناسبه ويعلم أن هذا الخلق

---

(١) الإمام السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط دار الفجر، القاهرة ٢٠٠٤، ص٦٣.

(٢) المنائح: جمع منيحة وهى الشاة تمنح لحلابها، لعمري، قسَم تعارف عليه الناس، المصباح المنير ص ٣٤٥.

(٣) الأثر ورد في الطبقات لابن سعد، وتهذيب تاريخ ابن عساكر، وقد أورده السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٤٦ عن أنسة رضي الله عنه، عند ابن عساكر أيضا – وأنسة مولى للنبي ﷺ ويكنى بأبي مسروح مات في خلافة أبي بكر، الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر ١/ ١٢٢، دكتور على الرفاعي نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء، ط دار الهدى، سنة ١٩٨٦، ص٧٩.

«التواضع» تخلق به الصديق رضي الله عنه من الأخلاق التي ينبغي للمتعطل أن يتصف بها ولا يتأبى على أي عمل ما دام شريفًا مشروعًا.

٣-أبو بكر الصديق وعون المتعطلين:

في عهد الخليفة الراشد أبى بكر رضي الله عنه، كانت السمة التي يتسم بها هي التسامح، ومعونة أهل الفقر والبطالة حتى ولو كان من غير المسلمين وهذا ما قام عليه الإسلام قولًا وعملًا، لذلك لم يعترض الصديق أو أحد من الصحابة الكرام على كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحيرة حينما صالحوه على الجزية وجاء في هذا الكتاب قوله: «إني نظرت في عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل، ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة ألف رجل فأخرجتهم من العدة، وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، وأيُّما عبد من عبيدهم «يقصد أهل الحيرة» أسلم أقيم في أسواق المسلمين فبيع بأعلى ما يقدر عليه في غير الوكس[١]، ولا تعجيل ودفع ثمنه إلى صاحبه» [٢]، إن سيدنا خالد ابن الوليد رضي الله عنه صالح أهل الحيرة على ذلك، -وهم من أهل الكتاب- وهم أيضًا الذين بشر النبي ﷺ عدى بن حاتم رضي الله عنه بفتحها وقد تحققت تلك البشارة في عهد أبى بكر الصديق، وكثر المال [٣]، فوقف خالد رضي الله عنه موقف التطبيق العملي لشريعة الإسلام في علاقته بأهل الكتاب.

إن المتأمل في هذا الصلح يجد أنه قد فاق العديد من المعاهدات، فقد انتصف من نفسه بإخراج حقوق أهل الحيرة على لسانه وهى تتلخص فيما يلي:

---

(١) الزَّمَانة: أي حالة من المرض المزمن الدائم، بيت المال: هو المكان الذي يجمع فيه أموال الدولة الإسلامية (وزارة المالية)، الوكس: نقص أو خسارة، المصباح المنير للفيومي ص٣٩٨.

(٢) «الخراج» أبو يوسف القاضي ص١٤٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٢/ ٢٧٧، وقد سبق نص الحديث، «معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام» دكتور إبراهيم سليمان ص٧٠.

- أهل العلل، والأمراض المزمنة، وأصحاب الشيخوخة، وأصحاب الحالات الطارئة كمن كان غنيًا فافتقر كل هؤلاء رفع عنهم الجزية.

- وهؤلاء جميعًا ونفقة عيالهم من بيت مال المسلمين.

- كما حافظ على أموالهم وأعراضهم في صورة رفع الوَكْس وعدم التعجل في التصرف في أموالهم، بصورة فيها ضرر.

وهؤلاء الذين رفع عنهم خالد رضي الله عنه، الجزية هم أصحاب بطالة من رعايا دولة الإسلام حتى ولو لم يكونوا من المسلمين، لكنهم لا يقدرون على الكسب فوجب النظر فيما يصلحهم، أما القادرون على الكسب وليسوا من أصحاب الأعذار السابقة فهم مطالبون بالجزية؛ لأنهم أصحاب أعمال، ومكاسب، فمنهم التجار والحرفيون، ولو لم يكونوا مكتسبين لرفع عنهم الجزية كبقية أصحاب الأعذار والآفات ولسعى في تشغيلهم كما فعل رسول الله ﷺ، بأهل خيبر لما أقرهم في الأرض كما ورد في الحديث الشريف «أن رسول الله ﷺ دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها على أن يعتملوها من أموالهم ولرسول الله ﷺ شطر ثمرها»[1].

فهذا الصلح الذي عقده خالد رضي الله عنه يعتبر من التدابير الواقية لعلاج البطالة، ولذا لم يرد ذلك الصلح على خالد أبو بكر ولا رده عمر بعد أبي بكر ولا عثمان ولا علي رضي الله عنهم، قال أبو يوسف:« ولست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح، ولا يحول وأن يمضي الأمر فيها على ما أمضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فإنهم لم يهدموا شيئا مما كان الصلح جرى عليه خاصة إذا علم أن خالد لم يتعرض للفلاحين بشيء، بل أقر من لم ينهض منهم للحرب وجعل لهم الذمة»[2]، فوقع ذلك عهد خالد رضي الله عنه مع أهل الحيرة موقع الاتفاق بين الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب المساقاة والمزارعة، ١٠/ ٢١٢.

(٢) "الخراج" القاضي أبو يوسف ص١٤٧ سابق، «الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية» دكتور محمد ضياء الدين الريس ص١٠٣.

ويعتبر هذا اجتهاد من خالد بن الوليد ﷺ قد توصل إليه بناءً على المصلحة العامة، وأن الخلفاء الراشدين والصحابة قد أجمعوا على ذلك الصلح فلم يعلم له مخالف فكان إجماعًا كما يقول أهل الأصول [١].

وإذا كان هذا الحال مع غير المسلمين إذا تعطلوا عن العمل، فإن الحال لا يختلف عن ذلك مع المسلمين إذا تعطلوا فالاكتساب سنة الله ﷻ التي أُمر المسلمون بها وسار عليها الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان مما أعانه على ذلك:

- إنشاء بيت مال المسلمين.
- الحفاظ على موارد الدولة من خلال حرب ما نعي الزكاة[٢].
- التسوية بين الصحابة في العطاء [٣].

فإذا كان الصديق رضي الله عنه، قد مثلت هذه الأعمال وسائل إصلاح لمالية الدولة الإسلامية في نشأتها، فلاشك في أنها كانت ذات آثار إيجابية على رعايا الدولة الإسلامية، وقامت الدولة بمسئوليتها خير قيام وشهد بذلك العدو القالي، قبل الحبيب.

المطلب الثاني: (موقف الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ من البطالة):

عمر بن الخطاب ﷺ، الملقب بالفاروق، الذي دخل في الإسلام بدعوة رسول الله ﷺ ثاني الخلفاء الراشدين، وفى الحديث قال رسول الله: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[٤]؛ فقد نزل الوحي وفق ما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فلم يزده ذلك إلا ثباتًا وإيمانًا

---

(١) «الرسالة» الإمام الشافعي، ص٤٧١، «إرشاد الفحول» للشوكاني ص٦٠٩، «أصول الفقه» محمد الخضري ص٣٢٣.

(٢) «البداية والنهاية» ابن كثير٦/ ٣١٥، المجلد الثالث.

(٣) «الخراج» أبو يوسف ص٤٢. «سماحة الإسلام» دكتور محمد أحمد الحوفي ص١٩٩.

(٤) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن أحمد والترمذي من رواية ابن عمر، وعن أحمد وأبى داود، و الحاكم من رواية أبى ذر وعن يعلى والحاكم من رواية أبى هريرة وعن الطبراني من رواية بلال ومعاوية، وصححه (١/ ٦٩).

راسخًا [(١)]، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن اتجر على عهد رسول الله كشأن أبي بكر الصديق وأصحاب رسول الله أجمعين رضي الله عنهم، وقد ظهر موقفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من البطالة في النقاط التالية:

١ - كسب الفاروق قبل الخلافة:

لقد اكتسب الفاروق قوته وحاجة أهله من كده وسعيه واحترافه في البيع والشراء، فتحدث عن شأنه في السعي على عهد الرسول ﷺ وفي حياته، فقال: «أخفى على هذا من أمر رسول الله ﷺ؟ ألهاني الصفق [(٢)]، بالأسواق» [(٣)]، يعنى الخروج إلى التجارة والإشارة فيه تعود على آداب الاستئذان الذي عرفه أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حين لم يتعرف عليها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأطلق عمر على الاشتغال بالتجارة لهوًا؛ لأنها ألهته عن طول ملازمته للنبي ﷺ، حتى سمع غيره منه ما لم يسمعه وهى أمر نسبي، وكان احتياج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخروج إلى السوق من أجل الكسب لعياله والتعفف عن الناس [(٤)]، فشأنه في حياة الرسول العمل والسعي وهذه السمة لم يتخلف عنها البشر السوي فضلًا عن هذا الراشد القدوة، سديد الرأي والمشورة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومما كان يخبر به عن نفسه قوله: «لقد رأيتني في هذه الشعاب في إبل الخطاب، وكان فظًّا غليظًا احتطب مرة على ظهري، واحتطب عليها أخرى، ثم أصبحت اليوم تضرب الناس تحياتي ليس فوقى أحد ثم أنشد قائلًا:

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المال والولد

وروى أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «نادى في الناس الصلاة جامعة ثم جلس على المنبر فما تكلم حتى امتلأ المسجد، ثم قام فقال: الحمد لله لقد رأيتني أؤاجر نفسي بطعام، ثم أصبحت على

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط دار الفجر، الثانية ٢٠٠٤، فصل في موافقات عمر رضي الله عنه ص٩٩.

(٢) الصفق بالأسواق: بسكون الفاء وفتح الصاد التصرف في التجارة، والصفق أيضا عقد البيع، لأن كل من المتبايعين يضرب بيده على يد صاحبه، المصباح المنير، ص٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع ٢/ ٥، «تخريج الدلالات السمعية» التلمساني ص٧٠.

(٤) "فتح الباري" ابن حجر العسقلاني ٤/ ٣٥٠.

ما ترون، فلما نزل قيل له: ما حملك على ذلك؟ قال إظهار الشكر»[1]، إن عمر رضي الله عنه -وهو أمير المؤمنين – يقول هذا الكلام ليشير للضعيف وقليل المال أو منعدم العمل أن يسعى جاهدًا في رفع الإصر عن نفسه ولا يجزع ولا يصيبه يأس، لأن فرج الله قريب وكأنه يذكرنا بقوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤].

ففي كل ما سبق من هذه الآثار ما يدل على أن الفاروق كان يخبر الناس عما كان يحترفه ويعمل به قبل الخلافة، وقد تعددت مكاسبه من بين الاحتطاب، ومؤاجرة نفسه بالطعام، والمتاجرة في الأسواق، ولم يتغير حال الفاروق بعدما وكلت إليه الخلافة وصار رضي الله عنه خليفة للمسلمين؛ فالاكتساب لا ينقص قدر الشرفاء الأكرمين، مادام فيما أحل الله عز وجل ولا خلاف على أن الإنسان يتعلم من ذلك الإقبال على السعي مهما علا قدره، ولا يصيبه اليأس مهما وجد من صعوبة وشدة؛ فهذا هو المجال الطبيعي في طلب ما عند الله من أرزاق للعباد، فهذا شأن النبي ﷺ وخليفته أبى بكر الصديق ثم شأن عمر من بعدهم فلا حرج أن ينتفع المتعطلون من ذلك بما يأتي من دلالات:

الدلالة الأولى: طلب العمل في أي مجال منتشر بين الناس متعارف عليه ما دام حلالًا، حيث كان الاحتطاب، والحلب، والرعي من الأعمال المنتشرة التي عمل بها النبي ﷺ والصديق أبو بكر رضي الله عنه والفاروق عمر رضي الله عنه وهكذا ينبغي أن يعمل المتعطل فيما بدا له من عمل، أو كانت له به سابق خبرة فيما أحل الله لعباده من أمور المكاسب والأعمال.

الدلالة الثانية: أن الاكتساب لا يقلل من قدر الأشراف شيئًا؛ فالله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر:٣٨] . ويقول عز وجل ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل:٤] . فهؤلاء قدوة العباد قد اكتسبوا أرزاقهم من كدهم.

الدلالة الثالثة: إن البطالة هي الشذوذ عن القاعدة والاكتساب هو الأصل المعمول به، والفطرة المستقيمة بين البشر أجمعين.

---

(١) «سيرة ومناقب عمر بن الخطاب» أبو الفرج بن الجوزي ص١٢٣.

٢- وسائل تهيئة المتعطل للاكتساب في الفكر العمري:

كان الفاروق رضي الله عنه مكتسبًا، وكان يأمر الناس بالاكتساب فيقول: «يا معشر الفقراء، ارفعوا رءوسكم فقد وضح لكم الطريق، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالًا على المسلمين»[١]؛ فلما رأى الفاروق نفرًا من المسلمين قد رضوا لأنفسهم حياة الفقر دلهم على ما يهيئون به أنفسهم نفسيا للخروج من آثار البطالة النفسية فأمرهم بأن يرفعوا رءوسهم وهذا حال المعتز بربه الواثق بنفسه، ثم بين أن سبيل الخروج من حالتهم واضح المعالم لهم، ولا شك أن هذا السبيل هو الاكتساب والإجمال في الطلب! وقد قام الفاروق عمر رضي الله عنه بالعمل على تهيئة المتعطل للاكتساب، من خلال وسائل معينة، تتخلص عنده فيما يلي:

أ- الأمر بالعمل:

إن الفاروق عمر رضي الله عنه قد انتهج في الأمر بالعمل سبيل الموعظة ليرهب الناس من البطالة، فمما يؤثر عنه أنه قال: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»[٢]؛ فالمتعطل إذا سمع هذا النهى عن القعود عن طلب الرزق تتضح له ضرورة الكسب، لأن الرزق لا يناله الإنسان بالتمني، إنما بالإجمال في الطلب والاكتساب من وجوه الكسب الأصلية.

وإذا أمر الفاروق المتعطلين بالاكتساب فقد حث على أن يفقه المتعطل العمل الذي يزاوله قبل ممارسته له، وأن يكون لديه من الصبر والمصابرة على مواصلة المحاولة في إيجاد فرص عمل الحلال فلا يصيبه اليأس إذا فشل من أول مرة، إن رأس مال أي أمة ناهضة هو جهد أبنائها وكدهم، وهذا ما نبه عليه الفاروق المتعطلين حتى يهيئهم للاكتساب، ويصبحون من أهل العمل المفيد لهم ولمجتمعهم.

---

(١) ابن كثير، مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق دكتور عبد المعطى القلعجي، دار الوفاء، الثانية سنة ١٩٩٢، ١/ ٣٤١.

(٢) على اللبودي، فضل الاكتساب وأحكام الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص١٤٢.

ب- الحث على فقه أحكام المعاملات:

على المتعطل أن يفقه ما يقبل عليه من أعمال ومكاسب، فهو يحتاج إلى علم التجارة ليتميز له المباح من المحظور والخبيث من الطيب ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدِّرَّة [(١)]، ويقول: «لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى» [(٢)]، إن المتعطل إذا سمع هذا الكلام من الفاروق عمر رضي الله عنه عليه قبل الدخول في العمل ضرورة دراسة المجال الذي يتجر فيه دراسة مستفيضة مع عمل دراسات اقتصادية حول المشروع الذي يدخل فيه، أو ما يسمى بلغة العصر «دراسة الجدوى» أو«دراسة فرص الاستثمار» [(٣)].

جـ- بيان متى يغير المرء نشاط عمله؟

وإذا علم المتعطل مجال كسبه ثم مارسه ولكن لم يكتب له التوفيق، فلا يصيبه الإحباط واليأس وعليه أن يكرر المحاولة ويتعلم من أخطائه وتجاربه،وخاصة في التجارة في المجاهيل فإن أخفق فليبحث عن أخرى أو يغير نشاطه، يقول عمر الفاروق رضي الله عنه: «من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئًا فليتحول إلى غيره» [(٤)]، فالفاروق رضي الله عنه قد اهتم بالمجال التجاري لأن النبي ﷺ، قد أقر هذا المجال وسمى أصحابه بالتجار بعد أن كانوا يسمون بالسماسرة، ولذلك ذكر عمر لفظتي «شيء وشيئًا» وهى لفظة تدل على العموم لكل موجود إما حسًّا كالأجسام أو حكمًا كالأقوال، والمراد من «شيء» الأولى سلعة كالأقوات وغيرها، والمراد من «شيئًا» الثانية الربح والزيادة من هذه العملية التجارية، وجواب الشرط السابق هو «فليتحول إلى غيره»[(٥)]، وهذا أمر يحمل على الوجوب للقرينة الدالة على ذلك، وهى أنه لم

---

(١) الدرة: السوط، المصباح المنير للفيومي مادة (درر) ص١١٧.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التوفيقية ٢/ ٩٦، على اللبودي أحكام الكسب ص١٤٩.

(٣) دكتور محمد عثمان، أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة، دار النفائس، الثالثة٢٠٠٤، ٢/ ٥٢٤.

(٤) ابن كثير، مسند الفاروق أمير المؤمنين، تحقيق دكتور عبد المعطى القلعجي، دار الوفاء ٢/ ٣٤١.

(٥) الفيومي المصباح المنير، مادة شيء، ص١٩٨.

يصب في متاجرته كسبًا فإن كرر المتاجرة فيه بعد ثلاث كان إهدارًا للموارد، والجهد، والمال، ولذلك يجب عليه أن يُغيِّر سواء نوعية الكسب، أو نوعية نشاطه التجاري.

د - الفاروق والمال العام:

إن مما هيأ به الفاروق عمر ﷺ المتعطل للاكتساب محافظته على أموال الدولة الإسلامية نقدًا كانت أو عينًا، فقد اعتبر نفسه أمينًا على أموال المسلمين فقال: «إني أنزلت نفسي وإياكم من هذا المال بمنزلة والي اليتيم فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء:٦]. ففي هذا الأثر يخاطب به عمار بن ياسر رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعثمان بن حنيف رضي الله عنه لما أرسلهم إلى سواد العراق مما يدل على حرصه وأمانته في مال المسلمين حيث شبهه بمال اليتيم وقد علم ما في مال اليتيم، من حرمة إذا استحله وصيه، وما فيه أيضا من وجوب صيانته وإنمائه فهذا ما خاطب به الشرع المكلفين في مال اليتيم فقال الله في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ⑩﴾[النساء:١٠]. كما أمر الرسول ﷺ، ولي اليتيم فقال: «اتجروا في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة»[1].

فنظرة الفاروق إلى مال المسلمين تدل على حفظه له وعمله على إنمائه وتكثيره ولا يكون إنماء بلا سعي واكتساب، ولذلك ترك الفاروق رضي الله عنه الأرض المفتوحة لأهلها يثمرونها، ويأخذ منهم الخراج وضرب الجزية على أهلها ففي الخراج لأبي يوسف «أنه لما افتتح عمر السواد والأهواز، فأشار عليه المسلمون أن يقسم السواد والأهواز وما افتتح من المدن فقال لهم: فما يكون لمن جاء من المسلمين؟ فترك الأرض وأهلها، وضرب عليهم الجزية، وأخذ الخراج من الأرض»[2]، وأكبر الظن أن هذا إجراءٌ تدبيريٌّ من الفاروق رضي الله عنه - من باب

---

(١) أخرجه السيوطي، الجامع الصغير عن الطبراني بالأوسط وصححه من حديث أنس، (١/ ٧).

(٢) أبو يوسف، الخراج تحت عنوان (ما عمل به في السواد)، ص٢٨، أبو الفرج بن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، دار التقوى، الأولى سنة ٢٠٠٠، ص٨٠.

السياسة الشرعية – خشية ألا يجد من سيأتي بعد مجالًا للأعمال؛ ففي حفظه لمال المسلمين نقدًا وعينًا خير ما يعين به العاطلين على العمل، وفى جملة «فما يكون لمن جاء من المسلمين؟» [1]، وهي جملة مشتملة على استفهام يفهم منه النظرة المتأملة العميقة، والفكر الحكيم الثاقب، الذي كان عليه الفاروق رضي الله عنه.

وكأن الفاروق رضي الله عنه رأى أن الأرض إذا وزعت على الفاتحين كثر المتعطلون، من أهل الأرض، كما أنه يؤدي إلى عدم وجدان الأرض لمن يأتي بعد من المسلمين فيما يستقبل من الزمان مستدلًّا بآية سورة الحشر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

هـ - الفاروق رضي الله عنه وإحياء الموات:

لقد أقر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إحياء الأرض الموات كما سنه الرسول ﷺ، ولكن الفاروق رأى بعض الناس في عهد خلافته يقيمون الأسوار حول الأرض ثم يتركونها سنوات لا يعمرونها فما كان منه إلا أن حافظ على أموال المسلمين؛ إذ رأى أن المقصود من إحياء الموات عمارة الأرض، والمنفعة العامة للناس فقيد الإحياء بمدة زمنية كافية لاستخراج خيرات الأرض وهي ثلاث سنين فقال وهو على المنبر: «من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين» [2]، ففي هذا تحفيز للمتعطل أن يعمر الأرض، لاستغلالها فيما ينفع حتى لا يعطلها وهى من أهم موارد العمل على مر العصور إذا ما تم تطبيقه كما بين

---

(١) هذا الاستدلال في الخراج لأبى يوسف ص٣٥، دكتور محمد البلتاجي، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، مكتبة الشباب، الثانية ١٩٩٧، ص١٢٣.

(٢) يحيى بن آدم القرشي، الخراج، ص٩٠، والخراج لأبى يوسف ص٦٥، واللفظ له، وأخرج البخاري أصل الحديث، كتاب الحرث والمزارعة باب من أحيا أرضاً مواتاً بلفظ آخر (٢/ ٤٨)، مُحمد مُحمد المدني، نظرات في فقه الفاروق ص١٦٣.

النبي ﷺ، والفاروق عمر من بعده كما أن شريعة إحياء الموات تحدث التوازن بين الطاقة البشرية التي تحتاج إلى العمل، وبين حجم العمل نفسه، وسوف نعرف أثر ذلك في العلاج من خلال الكسب من خلال الغرس والحراثة أو ما يسمى بالمزراعة.

مما سبق يظهر تهيئة الفاروق الأفراد للعمل حتى لا يقعد مكتسب عن العمل وبه قوة على السعي، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل عمل الفاروق على تشغيل المتعطلين؟ هذا ما سيتضح فيما يلي:

و- الفاروق وإقطاع الأرض لتشغيل القادرين:

لقد عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تشغيل الأرض كأحد ركائز الإنتاج فقد أقطع [1]، الأرض لمن ينتفع بها ويحيى الموات منها بالعمارة والإنبات فجاء في كتاب الخراج ليحيى بن آدم أنه كان بالبصرة رجل يقال له نافع أبو عبد الله – وكان أول من افتَلَى الفُلِيّ [2]، بالبصرة – فأتى عمر رضي الله عنه، فقال: إن بالبصرة أرضًا ليست بأرض الخراج ولا تضر بأحد من المسلمين قال: فكتب إليه أبو موسى يعلمه بذلك وغيره أنه أول من افتَلَى الفُلِيّ بالبصرة فقال: أزرعها لخيلي، قال: فكتب عمر إلى أبى موسى: «إن كانت ليست تضر بأحد من المسلمين، وليست من أرض الخراج فاقطعها إياه»[3]، فهذا الحديث يدل على مدى ما كان ينتفع به الفاروق من أرض ؛ فكان يقطعها لمن أرادها ما دامت ليست بأرض خراجية ولا تضر بأحد من المسلمين، ولا خلاف في أن أول من أقطع الأرض رسول الله ﷺ ففى الحديث النبوى قال النبي ﷺ: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له » فخرج الناس

---

(١) الإقطاع: هو ما يقطعه الإمام أو الحاكم من الأراضي العامة التي ليست ملكاً لأحد لينتفع بها في زرع أو غرس أو بناء استغلالاً أو تمليكاً، الموسوعة الإسلامية العامة ص١٩٣.

(٢) الفلى: بضم الفاء وكسر اللام وتشديد الياء جمع – فلاة وهى الصحراء، والافتلاء: الرعي، المصباح المنير ص٢٨٦.

(٣) أخرجه يحيى بن آدم في كتابه الخراج رقم ٢٤٦ - ٢٤٩، ص ٧٨، قال المحقق دكتور محمود محمد شاكر: وهذا مرسل ورواه البلاذري والطحاوي بإسناد آخر، ص٧٩.

يتعادون ويتخاطون[1]، فالحديث فيه دلالة على أن النبي ﷺ فتح الباب لكل من أراد الأرض، ويبدو أن هذا على سبيل التأليف لقلوب من في قلبه مرض حتى إذا قوي الدين، وثبت الإيمان، صارت الأرض لمن يعمرها ويصلحها، فهذا من مجالات العمل التي غفل عنها المسلمون ألا وهو النظر إلى الحيز والمساحة من الأرض وكيفية إنمائها، وسوف نتعرف على طرق استغلال الأرض في الإسلام.

ويتضح مما سبق أن الفاروق قد اتخذ أكثر من طريق لعلاج البطالة والحد من وتيرتها، فقد وعظ؛ فحذر وأنذر، كما نصح؛ فأرشد، كما حافظ على مال المسلمين؛ فاستثمره في صالحهم، كما عمل على تشغيل أصحاب البطالة قدر الوسع، كما توسع في العمران حتى تتسع مجالات العمل؛ حيث أيقن أن هذه سنة الله في بناء الحضارة في المجتمعات، فاتبعها عمر رضي الله عنه في عهده فكثر الخير، وسعدت الأمة.

٣-الفاروق عمر وتشغيل المتعطل:

كما هيأ عمر رضي الله عنه المتعطلين للعمل والاكتساب من خلال النصح والنهي عن القعود قام أيضا بتشغيلهم، ففي الأثر «أن شابًا قويًا دخل المسجد وفي يده مشاقص[2] وهو يقول: من يعينني في سبيل الله؟ «أي بزاد وراحلة» فدعا به عمر رضي الله عنه؛ فأتى به فقال: من يستأجر مني هذا يعمل في أرضه؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، قال بكم تأجّره كل شهر؟ قال: بكذا وكذا، قال: خذه؛ فانطلق به يعمل في أرض الرجل أشهرًا ثم قال عمر رضي الله عنه للرجل: ما فعل أجيرنا؟، قال: صالحٌ يا أمير المؤمنين، قال: ائتني به، وبما اجتمع له من الأجر، فجاء به وبصرة من دراهم فقال: خذ هذه إن شئت؛ فالآن اغز وإن شئت فاجلس»[3].

---

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب إقطاع الأرضين، ٣/ ١٧٤.

(٣) المَشَاقِصُ: جمع مِشْقص بكسر الميم، سهم فيه نصل عريض، المصباح المنير للفيومي ١٩٢.

(١) محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية (٢/ ١٦٠) وعزاه إلى كنز العمال (٢/ ٢١٧).

إن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في هذه العاطفة الحانية على أفراد مجتمعه رغم كثرة انشغاله بأمور المسلمين خارجيًا وداخليًا لم ينس خبر هذا الشاب المتعطل، الأجير من بعد حتى بعد أن يعمل في أرض الأنصاري أشهرًا قلت أو كثرت، فمتابعة عمر لخبر هذا المتعطل تدل على أن التشغيل للمتعطل ليس الهدف وحده إنما الغرض هو استقامة حال هذا المتعطل حتى يصبح فردًا نافعًا لمجتمعه، فقال عمر:«ما فعل أجيرنا؟»، فكان جواب الأنصاري بصلاحه وإصلاحه.

وفى الأثر السابق ما يدل على أن الشاب فقير، فقد سأل العون فلما علم الفاروق ذلك من حاله إذا به رضي الله عنه يعرض على أصحاب الأعمال أن يقبله أحدهم أجيرًا عنده بالشهر، ولم يقف عمر عند هذا الحد الأمر، بل اتفق على الأجرة التي ينتفع بها، وفي فترة العمل حيث عمل «في أرض الرجل أشهرًا» ما فيه صرف لمشكلة البطالة من طريق هذا الشاب، كما أن في الأثر بيان للتوجيه الصحيح من المسئول لرعيته.

والفاروق رضي الله عنه يعلم أن الاكتساب والسعي في أرض الله عز وجل له أجر جزيل وثواب عظيم، فقد قرن الله ذلك بالجهاد في سبيل الله – تعالى – فلما رأى عمر الشاب قويًا أراد أن يلقنه درسًا في أن العمل يؤجر عليه المرء، وأنه أولى من مسألة الناس فالله سبحانه قال: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل:٢٠].

وبتكييف بطالة هذا الشاب، يتبين أنها بطالة اختيارية، حيث إن العمل متاح والقوة متوفرة ولكن الشاب كان راغبًا عن العمل، وهذه البطالة الاختيارية تعد مأزقا خطيرًا إذا انتشرت بين شباب الأمة لذلك أجبر الفاروق عمر رضي الله عنه هذا الشاب القوى على العمل أجيرًا في أرض الأنصاري الدليل على ذلك الإجبار ما يلي:

١ – أن عمر عرضه للعمل دون أن يعرف رغبته بالقبول أو الرفض.

٢ – أن عمر لما سأل عنه قال «ما فعل أجيرنا» ولم يقل «أجيرك» وأضافه إلى نفسه لأنه وحده بصفته ولى الأمر له الحق في ذلك دون غيره.

٣ – أنه لما علم عمر بصلاح حاله طلبه وما اجتمع له من أجرِ فأعطاه الأجر ثم رد عليه اختياره مرة ثانية وكأنه يقول للشاب «أحب ما تعمل حتى تعمل ما تحب».

٤ – أن العمل إذا توفر وزهد فيه المتعطل أجبر عليه حتى يتم أداء الواجب من الأعمال، هذا ما ذهب إليه ابن تيميه حينما قال: «إذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم، أو نساجتهم، أو بناءهم، صار هذا العمل واجبًا يجبرهم ولى الأمر عليه »[1].

٤ – موقف عمر من بطالة أهل الكتاب:

إن الإسلام لم يكن عنصريًا يومًا من الأيام، بل من قيمه الرحمة والتسامح مع كل من يعيش في ظل الدولة الإسلامية، أو نظرة الإسلام إلى المتعطل بسبب عجزه أو شيخوخته أو مرضه تتمثل في أن على الدولة أن ترعى حق هؤلاء مسلمين أو غير مسلمين؛ فها هو الفاروق رضي الله عنه «مر بباب قوم وعليه سائل يسأل: وكان شيخًا كبيرًا ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ[2]، له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته [3]، ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[التوبة:٦٠]. والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه»[4]، ومن هنا ندرك احترام الفاروق رضي الله عنه أهل الكتاب في أنفسهم بل وأموالهم المعتبرة عندهم، حتى التي حرمها الله عندنا كالميتة والخنزير والخمر، «فأمر ولاته ألا يأخذوا

---

(١) ابن تيمية، الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، تحقيق صلاح عزام، مطبوعات الشعب، الأولى سنة ١٩٧٦، ص٣٠.

(٢) رضخ بشيء: أي أعطاه شيئاً ليس بالكثير، بمعنى نفع وزنا ومعنى المصباح المنير، ص١٣٧.

(٣) الشبيبة: هو الشباب وذلك سن قبل الكهولة، والكهل من جاوز الثلاثين، المصباح المنير، ص١٨٢.

(٤) أبو يوسف، الخراج، فصل فيمن تجب عليه الجزية، ص١٢٦، دكتور عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ط دار السلام، سنة ١٩٩٢، ١/ ١٤٢.

الجزية في الخمر والخنزير، وأن يتركوا أربابها يبيعونها، ثم يأخذوا الثمن منهم؛ فهو بذلك يترك لأهل الكتاب مواردهم المالية حتى المحرم عندنا، لكي يطلبوا فيها قوتهم وأرزاقهم ولا يعطلهم عن أعمالهم، قال سويد بن غفلة: «حضرت عمر بن الخطاب وقد اجتمع إليه عماله فقال: يا هؤلاء إنه بلغني أنكم تأخذون في الجزية الخنزير والخمر، فقال بلال رضي الله عنه: أجل إنهم يفعلون ذلك فقال عمر: فلا تفعلوا، ولكن وَلُّوا أربابها بيعها، ثم خذوا الثمن منهم»[(١)].

وصاحب العمل من أهل الكتاب كانت تضرب عليه الجزية على قدر ما يجيد من حرف ومهن، ولم تفرض الجزية على المتعطل أبدًا وهذا يدل على ضرورة العمل والاكتساب؛ لذلك نهضت الدولة الإسلامية في عهد الفاروق رضي الله عنه أيما نهوض، حيث لا مكان لمتعطل في رعاية الدولة – حتى ولو كان من أهل الكتاب – فضلا عنه إن كان من المسلمين؛ فالعمل موجود للقادر عليه ولكل فرد من أفراد رعيته.

المطلب الثالث: (موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه من البطالة):

ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، الملقب بذي النورين لأنه تزوج بابنتي رسول الله ﷺ على التوالي، ولي الخلافة بعد الفاروق عمر، في وقت توسعت فيه الدولة الإسلامية وكثر فيها العطاء وزاد، فكان في عهده رخاء اقتصادي، وهو ممن يُقتدَى بهم من أئمة الهدى والدين، ويتضح موقفه رضي الله عنه من البطالة فيما يلي من وسائل وأساليب اتخذها عثمان رضي الله عنه:

١ – كسب عثمان بالتجارة:

كان عثمان رضي الله عنه من أهل التجارة وهى حرفة معظم القرشيين من خلال رحلة الشتاء، والصيف، والتنقل عبر البلدان لجلب السلع وبيعها، ففي الجاهلية «كان نفر من قريش هم: الفاكه بن المغيرة، وعوف بن عبد مناف، وعفان بن أبى العاصي قد خرجوا تجارًا إلى اليمن،

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص١٢٦، دكتور إبراهيم سليمان عيسى، معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام ص١٢٨.

ومع عفان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة كان هلك باليمن إلى ورثته»[(1)]؛ ففي خروج عثمان في سن صغير في تجارة مع أبيه يدل على أن التجارة كانت أكثر المكاسب انتشارًا، ولذلك ليس بعجيب أن يجد الباحث الصديق أبا بكر، والفاروق عمر وذا النورين عثمان ثلاثتهم من كبار التجار، والمكتسبين أقواتهم بالتجارة، والمتعطل يقتدي بهؤلاء الأئمة فيتاجر كما تاجروا؛ لأن التجارة تمتاز من بين المكاسب أنها قد لا تحتاج إلا إلى رأس مال وبذل الجهد في البيع.

٢ - دور التربية في علاج البطالة:

ومن الواضح أن الآباء كانوا يدربون أبناءهم على التجارة، فإن عوف أخذ ولده عبد الرحمن، وعفان أخذ معه ولده عثمان في الرحلة اليمنية، إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن من أهم المسئوليات التي يجب أن يقوم بها الوالد تجاه ولده أن يشجعه على العمل الحر، وأن يدربه عليه سواءً أكان هذا العمل صناعيًّا أو زراعيًّا أو تجاريًّا، لذلك وجب على المربِّي أن يدفع الولد منذ صغره للتدريب على بعض المهن فهذا لا يخالف التعلم[(2)]، ويعتبر من التدابير الوقائية من البطالة؛ فعثمان رضي الله عنه، قد دربه أبوه على التجارة حتى صار من المكتسبين الضاربين في الأرض يبتغي فضل الله، وليس الأمر موقوفا على عثمان، بل أيضا عبد الرحمن بن عوف قد اصطحبه أبوه في هذه الرحلة لنفس السبب، لذلك يرى الباحث أهمية دور الأسرة في تنشئة الولد على حب العمل والاكتساب، بل خطورة دور الوالد خاصة على تنشئة ولده على ذلك، وتدريبه على مواجهة صعاب الحياة في الكسب وابتغاء الرزق.

وبعدما دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه الإسلام أصقله ذلك بالعديد من آداب التجارة وتعاليم أحكام البيع والشراء، التي تحفظ ذمة التاجر وماله وحقه؛ فقد روي أن عثمان اشترى أرضًا من رجل فأبطأ عليه فلقيه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال الرجل: إنك غبنتني، فما ألقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومني قال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا، ط دار التراث العربي ٤/ ٣٢٧.

(٢) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام ٢/ ٩٢٦.

أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ «أدخل الله الجنة رجلًا كان سهلًا مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا»[1]، فالأثر يدل على أن عثمان اشتغل بالتجارة قبل الإسلام وبعده، وأنه لم يجد في الدين إلا ما يثبته على الحق في معاملاته فإنه اتهم بالغبن[2]، فإذا به ﷺ يُخيِّر الرجل بين أرضه وماله، وتلك هي سماحة الإسلام في البيع والشراء.

الحالة الاقتصادية في خلافة عثمان بن عفان:

كان اقتصاد الدولة الإسلامية قد استقامت موارده منذ عهد الفاروق عمر رضي الله عنه وتحمل عثمان ﷺ أعباء الخلافة في حالة هذا النمو الاقتصادي للدولة، فثمار العهود والمواثيق التي قطعها أبو بكر وعمر مع أصحاب الأقاليم قد أنتجت وفرة في مالية الدولة في عهد عثمان رضي الله عنه من خراج وجزية، وزاد عثمان في العطاء تبعا لتلك الزيادة في الخراج والجزية وما غنمه المسلمون في عهده، «فإنه لكثرة المال كان عثمان لا يكتفي بها فرض للناس وإنما يزيد من شاء»[3]، وكان عثمان رضي الله عنه يقرض المحتاج من ماله الخاص ويهب القرض للمستقرض وفاءً وبرًّا؛ فورد أن رجلًا لقي عثمان رضي الله عنه حالة مخرجه من المسجد فقال له الرجل: الخمسين ألفًا التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها، فقال له عثمان: «إنا قد وهبناكها لمروءتك»[4]، فدلالة تلك الهبة من سيدنا عثمان رضي الله عنه للمستقرض على كمال مروءته وكرم جوده، فهو صاحب المال، وملكيته الخاصة، وليس من ملكية الدولة وإلا لما وهبه إياه، لأنه كان من كبار التجار ومن أصحاب رؤوس الأموال وكان محترفًا في المعاملات[5].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، حققه جماعة من العلماء، دار الريان الأولى ١٩٨٨ م ٧/ ٢٢٦، أخرجه السيوطي بالجامع الصغير ٢/ ٢٣، عن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله وصححه.

(٢) الغَبْن: هو الظلم والمراد به نقص ثمن البيع أو السلعة من أرض أو عقار أو مأكولات،، نقصاً فاحشاً.

(٣) دكتور على الرفاعي نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء، دار الهدى سنة ١٩٨٦، ص٣٢٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، (٧/ ٢٢٧)، دكتور على نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء، ص٣٢٦.

(٥) القاضي أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة السنة السادسة، سنة ١٤١٢هـ، ص١١١.

وكانت موارد بيت المال مستمرة لا تنقطع، وما يأتي إليه كان يوزعه على الناس، فالكل في رغد من العيش، يجد قوته وقوت عياله من غير عناء.

٣- عثمان ﷺ يحترف في أموال المسلمين:

على ذات النهج الذي كان عليه أبو بكر وعمر سار عثمان ﷺ، فقد استعمل عقليته التجارية في إنماء أموال المسلمين، «فلما اصطفى [(١)]، عمر من أرض السواد أموال كسرى وأهل بيته كان مبلغ غلتها تسعة آلاف ألف درهم لمصالح المسلمين، ولم يقطع شيئا منها ثم أقطعها عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لأنه رأى أن إقطاعها أوفر لغلتها من تعطيلها وشرط على من أقطعها إياه أن يأخذ منه حق الفيء، فكان ذلك من إقطاع إجارة لا إقطاع تملك فتوفرت غلتها حتى بلغت على ما قيل خمسين ألفَ ألفِ درهم فكان منها صِلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء بعده» [(٢)].

وهذا الإقطاع للصوافي بالكيفية التي قام بها عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدل على عبقريته في الاحتراف المالي، مما أدى إلى زيادة الإنتاج وتشغيل العديد من الأيدي العاملة، وفى ذلك توجيه لنا في استغلال الأرض التي لم يتعين لها مالك فتستغل بالإجارة ويعمرها الناس وهذا من التوسيع في خلق فرص العمل للمتعطلين.

والإقطاع السابق إحدى صور احتراف عثمان في أموال المسلمين وبذلك رعى حقوق العباد، وأكثر في عطاءهم، وأغدقه عليهم.

وفى عهد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كثر الثراء بين عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فأصبح طلحة ابن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أصحاب الأملاك الواسعة في العراق، وكذا كان للزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) الصوافي: هي كل أرض كانت لكسرى أو أهله أو لرجل قتل في الحرب ولا وارث له، أو لرجل لحق بأهل الحرب فحكمها إلى الإمام، وسميت صوافي، لأن عمر استصفاها أي جعلها خالصة لبيت مال المسلمين، دكتور محمد البلتاجي، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، ص٢١٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت لبنان سنة ٢٠٠٢، ص١٩٣.

في الكوفة وقد اشترى مروان بن الحكم رَضِوَاللَّهُعَنهُ أرضًا بالعراق كان يجري فيها نهرًا خاصًا عرف باسمه وأيضا حكيم بن حزام رَضِوَاللَّهُعَنهُ الذي كان يحج وأمامه مائة عبد، وخباب بن الأرت رَضِوَاللَّهُعَنهُ وكذا المقداد بن الأسود رَضِوَاللَّهُعَنهُ، وكذا أبو هريرة رَضِوَاللَّهُعَنهُ، وغيرهم ممن اشتهر بالفقر على عهد رسول الله ﷺ.

وبذلك تحقق في عهد عثمان رَضِوَاللَّهُعَنهُ وعد الرسول لأصحابه ﷺ حين قال: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم »[1].

المطلب الرابع: (موقف الإمام على ﷺ من البطالة):

رابع الخلفاء الراشدين الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه ورَضِوَاللَّهُعَنهُ _ ابن عم رسول الله وزوج ابنته، وهو ربيب بيت النبوة، حيث كفله رسول الله ﷺ، ليعين عمه أبا طالب إذ كان معيلًا، فكان أول من آمن به من الصبيان روت كتب السيرة أنه «بويع بالخلافة بعد قتل عثمان رَضِوَاللَّهُعَنهُ إلا أنه ردها حتى تكون بيعه عامة فدخل في حائط عمرو بن مبدول وأغلق بابه فجاءه الناس؛ فطرقوا الباب وولجوا عليه ولم يزالوا به حتى أجاب»[2]؛ ويتجلى موقفه رَضِوَاللَّهُعَنهُ من البطالة وفي علاجه لتلك المشكلة فيمايأتي من النقاط التالية:

١ –الإمام على ﷺ قدوة في تنمية المهارات وبذل المجهود عند انعدام الموارد :

يختلف الإمام على عمن سبقه من الخلفاء الراشدين في أن أحب المكاسب كلها ومارسها وعاون عليها من زراعة، وتجارة، وصناعة بل كان الإمام على رَضِوَاللَّهُعَنهُ يضرب لنا أروع الأمثلة في بذل الجهد طلبًا للرزق، فقد أجر الإمام عليّ رَضِوَاللَّهُعَنهُ نفسه بأجر هو طعمة ملء بطنه،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي، ٣/ ١٣، المجلد الثاني، دكتور على رفاعي نعمة الله، أضواء على تاريخ الخلفاء ص٣٢٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٧ / ٣٢٧، المجلد الرابع، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٩ .

إن دل على شيء فإنما يدل على أن علاج البطالة – من وجهة نظر الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – في بذل الجهد، وأنه نبه وذكر بها قد أشار القرآن المجيد إلى ذلك، فقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[التوبة:٧٩].وأخبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نفسه فلم يتحرج فلا دناءة في الكسب.

إن المتعطل إذا عدم المال والأرض والحرفة فماذا يفعل؟! فيشير إليه الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى علاج مثل هذه الحالة من البطالة – وهي من نوع البطالة الاضطرارية – أن بذل الجهد هو آخر ما يمكن أن يعالج به المتعطل بطالة نفسه، ولا يشك عاقل في كون الجهد المبذول هو الأصل لكل اكتساب وسبب كل رزق مستطاب، وسيأتي مزيد توضيح لهذه الجزئية.

والمتعطل إذا أراد تنمية مهاراته فلن يجد أعظم مثال لتلك التنمية المهارية من الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي اكتسب بالزراعة والصناعة والإجارة والتجارة وأعان على تحقيق تلك المكاسب في عهد خلافته الراشدة، ولذلك ينبغي دراسة سيرته العطرة خصوصًا إذا علمنا أن خلافته كانت في زمان فتن شداد، بدأت بمقتل سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوالت بمطالبة بعض الصحابة الثأر بدم عثمان، وأن ينظر في شأن قتلة عثمان قبل أي شيء آخر من شئون الخلافة، ومع ذلك ظلت المكاسب في عهده، من زراعة وتجارة وصناعة، مارستها الأمة على عهده، وزاولتها وأخذ الناس يتوسعون فيها.

٢ – الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستغلال الأرض:

لقد نفذ الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التعاليم الإسلامية الخاصة بالأرض، بألا تبقى معطلة بل وتستغل بالزراعة والإعمار، فزارع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم ير بأسًا بالمزارعة على النصف [١]، والمزارعة إحدى العقود الإسلامية المتعلقة بالأرض الزراعية.

وقد كان الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقوم بالعمل الزراعي بنفسه في ضيعته، وكان يؤجر الأجراء ليعملوا في أرضه مع مباشرته كذلك، العمل بنفسه فيها «فقد سأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي الحسن

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب المزارعة بالشطر ونحوه ٥ / ١٣.

- كنية الإمام علي - ذات يوم فقيل له إنه ذهب إلى أرض له، فقال اذهبوا بنا إليه فوجدوه يعمل فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدثون»[١]. فكان الإمام على يزاول الزراعة بنفسه، ويؤجر من الناس من يزرع معه، وهذا مظهر من مظاهر تشغيل العمالة، وإنهاء بطالة المتعطلين عن طريق الزراعة إن دل إنما يدل على التفات أئمة الهدى إلى الزراعة كمجال تشغيل للعديد من الأيدي العاملة التي تتطلب العمل - الزراعة - مجال عمل يتسم بالاستمرارية.

ومن الوسائل التي استغل بها الإمام علي رضي الله عنه الأرض إحياء الموات فقد «رأى ذلك الإمام علي رضي الله عنه في أرض الخراب بالكوفة مواتًا »[٢]، وبذلك توسع الناس في الأعمال والعمران، وكان من آثار ذلك أن زاد الخير في عهده رضي الله عنه، وهذا من تنمية مهارات المتعطل فإذا ضاق العمران بأهله، خرج إلى مكان آخر يعمره ويصلحه، فما تزال أرض الله تحتاج إلى من يحرثها ويعمرها بالبنيان وإلى ما شاء الله.

٣-الإمام علي يتعاون مع الصنّاع:

الصناعة أحد المكاسب التي نظر إليها الإمام نظرة هامة فنراه يتعاون مع أصحاب الحرف والمهن المنتشرة في عصره، ولا غرو فهو ربيب بيت النبوة، وابن عم رسول الله الذي تعامل مع أصحاب المهن المختلفة كالنجار، والخياط، والحداد، لذا فلا نرى غرابة في تعامله رضي الله عنه مع هؤلاء فيقول موضحًا إحدى معاملاته: «واعدت رجلًا صواغًا من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي»[٣]، فالإمام علي رضي الله عنه تعامل مع هذا الصائغ اليهودي لأن الإسلام لا يمنع من ذلك.

(١) دكتور الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة عدد ٣١٩، سنة ٢٠٠٥، ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، ٢ / ٤٨ المجلد الأول.

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب ما قيل في الصواغ، ٢/ ٩.

فعلى المتعطل أن يتعامل مع من يذهب عنه البطالة حتى ولو كان غير مسلم، «ولقد كانت بعض الحرف لا يجيدها إلا غير العرب ويحتمل أن تكون الصياغة في أول الإسلام حرفة اليهود»[1]، واتضح من هذا الأثر لعلماء الإسلام «أنه لا يلزم من فساد الصنعة أن تترك معاملة صاحبها »[2]، كما أنه لا يلزم من فساد عقيدة الصانع ترك معاملته فقد تعامل النبي ﷺ مع جميع الطوائف في المدينة المنورة، كذلك أمر المتعطل فلابد من الاكتساب بأي نوع من أنواع المكاسب صناعة أو غيرها.

٤- ضمان ما أتلف الصناع وأثره في إتقان العمل:

إن الصانع المحترف في مهنته لا يكون محترفًا إلا بعد تدريب متواصل واهتمام بما وجب عليه عمله، حتى يتقن صنعته ويجودها، ولقد كان الصناع لا يضمنون ما أتلفت أيديهم؛ فرأى الإمام على أن يضمنوا؛ إذ لو لم يثبت تضمينهم لأفضى إلى أحد أمرين: إما ترك الاستصناع بالكلية، وذلك شاق على الخلق، مناف للفطرة، أو أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعوى الهلاك فتضيع الأموال وتتطرق الخيانة، فكانت المصلحة التضمين، وقد ترجم ذلك الإمام على حينما قال: «لا يصلح الناس إلا ذاك»[3]، ففي ذلك بيان سعي الإمام علي رضي الله عنه في تشريع ما فيه صلاح وإصلاح للأمة.

وهذا التضمين فيه إثارة النفس وحثها على إتقان الحرفة، خاصة إذا كان الصانع قد اتخذها سببًا لقوته وقوت من يعول، فعلى المتعطل أن ينمى قدراته ومهاراته ولا يصيبه الإحباط، وليعلم أن الرزق قد تكفل به الله جل جلاله، لخلقه وسبب له الأسباب، وما على المرء إلا أن يتقى الله ويجمل في الطلب، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[الكهف:٨٤،٨٥]. فلقد أخذ الإمام علي رضي الله عنه، بأسباب الحياة.

---

(١) التلمساني، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمد سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٩٩٥، ص٧٢٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٤/ ٣٧١).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى كتاب الإجارة.

هذا هو الإمام علي رضي الله عنه أخذ بأسباب الحياة فزرع وزارع، وتاجر، وربح ولم يفعل ذلك إلا لعلمه بأنه الطريق الحق الذي سنة النبي ﷺ لأمته، والذي وضعه الفاروق للفقراء حينما قال: «فقد وضح لكم الطريق»، كذا المتعطلون يقال لهم: قد وضح لكم الطريق أيها المتعطلون فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وابذلوا الجهد بالتحامل في الأسواق أو التعامل؛ فذاك علاج البطالة كما رآه أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وكيف لا وهو القائل؟!

لنقل الصخر من قمم الجبال أحب إليّ من منن الرجــال

يقول الناس لي في الكسب عار فقلت: العار في ذل السؤال[1].

وإذا كان هذا موقف الخلفاء الراشدين الأربعة من البطالة؛ فلاشك أن الولاة والأمراء المسلمين قد ساروا على منهجهم من بعدهم فهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قيل له: يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالية في زمانك، وكانت في زمان من كان قبلك رخيصة، قال: إن الذين كانوا قبلي يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم فلم يكونوا يجدون بدًّا من أن يبيعوا ويكسد ما في أيديهم، وأنا لا أكلف أحدًا إلا طاقته؛ فباع الرجل كيف شاء [2]، ومن هنا يظهر أن الولاة والأمراء في الدولة الإسلامية سار كثير منهم على النهج الراشد ومن خالف شاق فإنما يحاسبه التاريخ قبل أن يحاسبه الله قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٨،٨٩] .

وبعد تلك النظرة للولاة فلابد من سماع كلمة أهل الاختصاص والعلم في مشكلة البطالة، ثم نبحث جاهدين عن كلمة علماء الإسلام الذين فقهوا منهج الإسلام في علاج المشكلات، وساروا على هدي الرسول الخاتم ﷺ، فهل لهؤلاء العلماء رؤية ونظرة في حل مشكلة البطالة؟ هذا ما سيتضح من خلال المبحث التالي.

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني، الكسب، ص ٩٩.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ص ١٣٢.

المبحث الرابع

موقف العلماء من البطالة

المطلب الأول: أقوال العلماء المتخصصين في دراسة وعلاج مشكلة البطالة.

من المناسب أن تمتد النظرة إلى أقوال علماء الاجتماع والاقتصاد في مواجهة البطالة وعلاجها، لنتعرف على آراء أهل الاختصاص كما قال الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣]. فنوافق على ما أصابوا فيه الحق والصواب وننظر فيما خالفوا فيه الحق والصواب، ومن تلك القضايا:

١ – بطالة المتعلمين:

لقد زادت نسبة بطالة المتعلمين على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، قالت دكتورة سامية مصطفى كامل: «قد كان من الاعتقاد السائد: أن التعليم يشكل إحدى المحددات الرئيسية للنمو والتنمية، باعتباره يؤدى إلى رفع الطاقة الإنتاجية لعنصر العمل حتى أدى ذلك إلى زيادة مشكلة بطالة المتعلمين، وصارت أكثر حدة عن تلك البطالة السائدة على مستوى جملة العمل لدرجة أن انقلب الاعتقاد السابق إلى اعتقاد أن التوسع في التعليم يشكل استثمارًا في موارد عاطلة»[1].

ولقد اعترف بهذه المشكلة القائمون على التعليم منذ عشرات السنين ثم اختلفت وجهات النظر في علاج بطالة المتعلمين، يقول دكتور طه حسين إذ كان وزيرًا للمعارف: «أردنا أن نبين أن أزمة البطالة للشباب المتعلمين في مصر لم تنشأ عن طبيعة الأشياء، وإنما

---

(١) دكتورة سامية مصطفى كامل، ورقة بحثية تحت عنوان التعليم سوق العمل بطالة المتعلمين، ص٦١١ وبعدها، بتصرف واختصار.

نشأت عن الإهمال والتقصير، وعن أخذ الأمور بالضعف والوهن والفتور» [1]، وسوف يعرض الباحث وسائل مواجهة بطالة المتعلمين من وجهة نظر إحدى دراسات الاجتماع مع تقييم لها من الوجهة الإسلامية هذه الوسائل ما يلي:

أ- وسائل علاج بطالة المتعلمين:

قد بينت الدكتورة سامية خضر هذه الوسائل فقالت: «إن التوسع في التعليم الفني والحِرَفِي، وإقامة المدارس والمعاهد لتلك التخصصات ومراكز التدريب وإذا لم تستطع الحكومة القيام بذلك فيجب نشر قيمة الجهود الذاتية؛ ففي مجتمعات أوربا وأمريكا تنتشر فكرة الجهود الذاتية لعلاج مثل هذه المشاكل، أن تقوم الشركات والمصانع بتمويل وإقامة تلك المؤسسات التعليمية، وتعفى من الضرائب لأنها ستقلل عدد العاطلين الباحثين عن العمل.

إن العمل في جوهره مستعينًا بالتكنولوجيا ليس إلا توجيه الإنسان لمصادر الطبيعة فتعمل على تطوير حياته، «أي تصنيع الموارد الطبيعية واستخراج ما يخدم الإنسان منها» وإن الأخذ بالأبحاث العلمية وربطها بالمصانع والمؤسسات ضرورة من ضروريات التطور للقضاء على البطالة، وهناك أهمية لتحويل طموح الشباب من الدراسة الجامعية للدراسات الحرفية، كما أن هناك أهمية لتدعيم الريف بالصناعات الصغيرة حتى لا يهاجر شباب القرية إلى الحضر فيصبحون عالة على المدينة من ناحية، ومن ناحية أخرى تخسر المناطق الريفية أبناءها القادرين على العمل.إن تشجيع العمل الخاص، والحرف المختلفة يجعل الشباب يقبل عليها ولا يصمم على دخول الجامعة ثم ينتظر تعيين القوى العاملة بعد التخرج [2].من هنا نرى نظرة علماء الاجتماع لتلك المشكلة ، لكن ينبغي أن ندقق النظر للواقع أكثر فنرى عرفًا فاسدًا بين الشباب المتعلم ينبغي تعديله.

---

(١) دكتور طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، الثانية سنة ١٩٩٦م، ص٩٧.

(٢) دكتورة سامية خضر صالح، البطالة بين الشباب حديثي التخرج العوامل الآثار، العلاج، جامعة عين شمس قسم العلوم الاجتماعية، سنة ١٩٩٢، ص١٠٨ وبعدها.

ب- بطالة المتعلمين بين عرف فاسد وواقع أليم:

إن من ينظر إلى واقع هذه المشكلة يجدها لا تظهر لدى المتعلم إلا بعد أن ينتهي من تحصيله للعلوم، أو على الأصح بعد حصوله على المؤهل؛ فيكتشف المتعلم أنه تخرج ليتعطل فيصطدم بالواقع، وفى الحقيقة إنه ترتيب غير صحيح؛ أن يبحث الشاب عن عمله بعد التخرج، بل يجب عليه الاكتساب بمجرد أن يشتد ساعده على العمل والسعي والاكتساب قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) ﴾

[الصافات:١٠١،١٠٢].

ولا شك أن بلوغ السعي لا يشترط معه التخرج من الجامعة، وقد ورد في التفسير «إن إسماعيل عليه السلام كان له يومئذ ثلاث عشرة سنة، وقال ابن عباس: هو الاحتلام »[(١)]، ولقد سعى إسماعيل عليه السلام مع أبيه بالفعل أثناء رفع قواعد البيت وهذا عمل، ودلالة ذلك فساد ما تعارف عليه الناس حديثًا، من البحث عن العمل بعد التخرج، وهو عرف يصدمه صريح الدين، وصحيح العقل لأن طلب العلم لا يتناقض مع طلب الكسب، وقليل من الشباب من يدرك ذلك، وعادة السلف الجمع بين العمل الحلال، مع طلب العلم.

ولقد مارس كثير من فقهائنا وعلمائنا العمل اليدوي، «ومازلنا نسمع عن هؤلاء العلماء المنسوبين إلى الأعمال والحرف التي كانوا يزاولونها فيأكلون لقمة العيش منها دون أن يجدوا في أنفسهم أي حرج من هذه النسبة إلى الحرفة، فهذا الماوردي والزجاج والجصاص والخياط والقفّال والبزار والباقلاني والدقاق والقدوري الذي كان يشتغل بصناعة القدور، واشتهر كل واحد من هؤلاء العلماء بحرفته وصنعته؛ وليس بغريب عنا الإمام أحمد إذ يؤجر نفسه

---

(١) القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢/ ٢٩٨، دار الكتب العلمية، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٨٦، المجلد الثامن، الشوكاني، فتح السنة، ٤/ ٥٣١.

للحمل في الطريق إذا كان بحاجة لنفقة»[1]، ويتضح مما سبق أن المشكلة في عقول المتعلمين ولا يعتذر لهم بصعوبة الجمع بين طلب العلم والعمل إذا تعرفنا على الأعمال التي لا تشترط الانقطاع التام لها كالعمل الحر من تجارة أو حرفة.

ج- تقييم وسائل علاج بطالة المتعلمين:

من الحق أن يتوافق مجال العمل مع العلم الذي تم تحصيله ليتم التطبيق العملي لما حصله الطالب نظريًا، ونحن نؤيد ذلك وندعو إليه، لكن لا عن طريق ما يسمى بالجهود الذاتية المنسوبة إلى أوربا وأمريكا بل إلى هذا التكافل الاجتماعي المنسوب إلى الإسلام الحنيف من حق القرابة، وحق الرحم، وحق الماعون، وحق الجيران، وحق الفقير المتعطل، الذي لا يسأل معونة بل يسأل آلة عمله، لماذا نترك حلول شرعنا ونبحث عنها في ركام غيرنا؟!

إن التكنولوجيا سبق أن بينت أنها إحدى أسباب البطالة، ومع ذلك فليس كل تكنولوجيا تؤدى إلى البطالة، إن التكنولوجيا الحديثة لا يعترض عليها الإسلام الحنيف، لأنه لا يقف حجر عثرة ضد التقدم النافع، الذي يفيد البشرية جمعاء،على أن هذه التكنولوجيا إذا ظهرت بعض المساوئ لها فينبغي تجنب الإنسان شرها، وذلك من خلال التوسع في الأعمال، وبالتالي تكون التكنولوجيا عاملًا مساعدًا للإنسان في عمارة كون الله ﷻ، فيكون دخول التكنولوجيا محكومًا بسياسة عاقلة، حتى لا تفسد أكثر مما تصلح، لذلك فإنني أتحفظ على قول دكتورة سامية خضر: «إن العمل في جوهره مستعينًا بالتكنولوجيا ليس إلا تحوير الإنسان لمصادر الطبيعة»، فهذا إجمال لا يصلح في مقام التفصيل.

كما أن تحويل طموح الشباب من الدراسة الجامعية للدراسات الحرفية، لا أوافق عليه وأفضل أن يوفق الشابُّ المتعلم بين الدراسة الجامعية والدراسات الحرفية فلا تناقض بينهما، ودعوى التناقض عرف فاسد، ويجب نشر ثقافة القيمة في الاكتساب والعمل، فإن قيمة المرء فيما يحسن، ولقد تبنى البعض سياسة تقليل التعليم النظري والهدف من ذلك، انحسار

---

(١) دكتور إبراهيم النعمة، العمل والعمال في الفكر الإسلامي، الدار السعودية، الأولى سنة ١٩٨٥، ص٢، ٢٢.

مشكلة بطالة المتعلمين وليس بشيء، بل الأنجع في العلاج، والأمثل في المواجهة؛ أن يتعلم طالب الشهادة العلمية الحرفة المهنية دون أن يشعر بأدنى إحساس بالانتقاص.

وإذا توفرت الحرفة المهنية للشاب الجامعي بات مكتسبًا، ولم يعش تحت رحمة القوى العاملة أو وزارات وهيئات التشغيل.

إن لعلماء الاقتصاد والاجتماع دور يذكر ولا ينكر، فمن المفيد في علاج مشكلة البطالة أن تتضافر جميع الجهود العلمية والعملية، النظرية والتطبيقية، الخيرية والاستثمارية، الفردية والجماعية، الحكومية والأهلية ذلك إذا توحدت الغايات والأهداف في هدف واحد؛ هو تشغيل المتعطلين حتى نصل إلى درجة العمالة الكاملة أو نقارب ذلك.

٢- نظرية الندرة:

إن من علماء الاقتصاد من تحدث عن نظرية الندرة، وهى تعنى ندرة الموارد الطبيعية إذا قورنت مع حجم السكان، فحجم الموارد لتحقيق التنمية نادر - خاصة - التحولات التي يمر بها الاقتصاد العالمي وانعكاساته الداخلية في البلدان الوطنية، وهذا الأمر شكل عبئا على الحكومات تقول إحدى الباحثات: «ترجع البطالة في الدول المتقدمة إلى انخفاض مستوى النشاط الاقتصادي، بينما نجد البطالة في الدول النامية ترجع إلى عوامل ديمجرافية «أي عوامل سكانية» من ناحية، وإلى ضعف ومحدودية الطاقات الإنتاجية وعدم قدرتها لامتصاص العمالة الزائدة من ناحية أخرى، وذلك لندرة بعض عناصر الإنتاج »[(١)]، لاشك أن هذه النظرية لم تتفق حولها كلمة العلماء، لكن هناك من اتفق عليها، وهناك من عارضها، وإن كنت أهتم بقول أهل الاختصاص فإن من الضروري سماع ما يقولون وتصوره تصورًا صحيحًا لإمكانية الحكم عليه حكمًا صحيحًا.

---

(١) دكتورة سميحة السيد موافي، البطالة في مصر، ورقة بحثية بعنوان (سياسة مواجهة مشكلة البطالة) ص ١٠٥.

أ- تقييم هذه النظرية :

والحديث عن ندرة الموارد في الاقتصاد يكشف عن ذهول عن كون الله تعالى الذي توافرت فيه المواد والموارد المسخرة للإنسان، وبين علماء الإسلام أن «نظرة الإسلام إلى الحياة والإنسان نابعة من أن الأصل في الخلق الوفرة لا الندرة، الوفرة المطلقة والنسبية، ذلك أن الله ﷻ قد أودع الإنسان في الأرض وهيأ له سبيل المعاش فيها بما يكفيه، وما الندرة إلا أمر نسبى قد يظهر بسبب سوء تصرف الإنسان وأنانيته وحجوده نعم الله ﷻ»[1]، فالأمر إذن نسبي في نظرية الندرة أو الوفرة؛ فلا أرى تصادم بين رأي الدين وبين أقوال العلماء المتخصصين.

إن الإسلام يقرر أن الأصل في الخلق الوفرة ويعتبرها أساسًا من أسس نظامه الاقتصادي والمالي، وبين العلماء أيضًا أن «المراد بالوفرة: أن ما في الأرض من موارد وطاقة توجد بكثرة تكفى حاجة الناس بل تزيد على حاجتهم، ويؤكد الإسلام هذه الحقيقة على أنها سنة من سنن الله الكونية،التي بها يحكم نظام الكون وتنضبط حركته دون اختلال أو تفاوت»[2]، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت:١٠] . وقال الله ﷻ: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر:١٩-٢٠]. وقال ﷻ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت:٥٦]. فهذه الآيات تدل دلالة قطعية على أن الله جعل الأرض مستقرًّا للإنسان ليعمل فيها، ولكن لا يظن أن الدنيا دار مقر فإن تهيئة الأرض للإنسان

---

(١) حلمي عبد المنعم صابر، مشكلة الجوع في العالم المشكلة المعاصرة وعلاج الإسلام لها، بحث ماجستير بقسم الدعوة كلية أصول الدين، القاهرة، ص٩٢.

(٢) دكتور جودة أحمد جودة، محاضرات في النظام المالي في الإسلام، ص ١٠٠.

لا ليطغى فيها، بل ليكد ويتعب ويعمرها ويعينه ذلك على عبادة ربه والعمل لما بعد الموت، لذلك قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾[هود:١٥،١٦]. يقول الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «والله سبحانه لا ينقص أجر أحد من العاملين بل يوفى لكل أجره فالآية عامة فإن كان العامل مسلمًا وفِّى أجر عمله في الدنيا والآخرة، وإن كان غير مسلم وفى أجره في الدنيا »[(١)]، وكون الوفرة أو الندرة متصفتين بالنسبية يجعل ضرورة البحث عن الأقوات، كما لا يجعل تصادمًا بين العلماء القائلين بالندرة، والعلماء القائلين بالوفرة وتقدير الأقوات للإنسان قبل أن يخلقه الله ﷻ.

وقد بين علماء الإسلام أنه «من غير المعقول أن يستخلف الله الإنسان في الأرض ويمنع عنه أسباب الحياة فيها! ولم يثبت حتى الآن عدم قدرة الأرض عن استيعاب بنى البشر، وكفاية حاجاتهم لأن الله هو العليم الحكيم لا مكان في كونه أو خلقه للعبث والفوضى»[(٢)]، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

إن تسخير الأرض لكل إنسان، واتساعها لجميع الخلق، وتقدير أقواتهم بها، وجعل المعايش فيها، لشواهد ناطقة على صدق هذا المبدأ الإسلامي، وأن الأرض لن تضيق عن استيعاب البشر جميعًا عيشًا وكسبًا ورزقا وقوتًا وتأمينًا لكل ما يحتاجون إليه من موارد، مهما تقدم بهم الزمن أو كثر عددهم.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق دكتور محمد إبراهيم الحفناوي، ٥/ ١٧، المجلد الثالث.

(٢) دكتور محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث، الخامسة سنة ١٩٨٥، ص٨٥ وبعدها، الماوردي، الأحكام السلطانية، مرجع سابق، الأستاذ قطب إبراهيم، المال العام في القرآن، الهيئة العامة للكتاب.

ب-المحافظة على الموارد:

إن المشكلة الكبرى في مسألة الموارد تنبع من عدم استغلال الموارد الطبيعية بصورة تفيد العباد والبلاد، مثل سوء استخدامها أو الإهدار والإسراف فيها أو وضعها في غير موضعها الصحيح، والعلاج في المحافظة على الموارد المادية والطبيعية، ولقد حافظ الإسلام على الموارد المالية للدولة فأنشأ بيت المال الذي يعد بمثابة الوعاء المالي العام الذي يدخل فيه كل مال للدولة من زكاة وجزية وخراج وغنائم ومعادن «الركاز» وغير ذلك مما يدخل تحت الموارد المادية والمالية العينية والنقدية للدولة الإسلامية.

ومما ذكره التاريخ في عصر الدولة المملوكية «أن الشيخ العز بن عبد السلام لما تولى القضاء بمصر تصدى لبيع المماليك لصالح بيت مال المسلمين، لأنه لم تثبت لديه الحجة على أنهم أحرار، وأعلن أن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين ولم يصحح لهم بيعًا ولا شراءً ولا نكاحًا فاضطربت أمورهم، وتعطلت مصالحهم وقال لهم: «نعقد لكم مجلسًا ونادى عليكم لبيت مال المسلمين »[1]، ونفَّذ الإمام الشيخ ما قاله لهم، فكان فعل الشيخ بمثابة الحفاظ على موارد بيت المال المسلمين؛ فبذلك تتوفر الموارد وتصير وفرتها لصالح المسلمين، أما لو تركت فستقل ويقال بندرتها وقلتها.

إن الدين لا يلغى جهد أهل الاختصاص – من اقتصاد واجتماع – ولكنه يضبطه ويوجهه التوجيه السليم الذي به تتقدم الأمم وتزدهر، بل ويدعو الدين إلى الاجتهاد في كل مناحي الحياة ليبلغ المسلمون أرقى درجات التحضر والمدنية.

المطلب الثاني: (أقوال علماء الدين في علاج هذه المشكلة):

مما سبق تبين أن موقف الرسول ﷺ من البطالة، من النهى عنها، والإنكار على أهلها، وتشغيل من تعطل منهم، كما أمر أصحابه بالعمل والاكتساب فامتثلوا لأمره، وكما تبين

---

(١) دكتور عمر موسى باشا، ابن نباتة المصري، دار المعارف، الثالثة، سنة ١٩٩٢ ص٤٦ وبعدها، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٤٨ ترجمة عز الدين عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ.

موقف الخلفاء الراشدين الأربعة ﷺ، أئمة الهدى بعد رسول الله ﷺ، إلا الاقتداء والامتثال به في ذلك الموقف، فعاونوا أهل التعطل، ونبذوا كل من تعطل بإرادته لخروجه عن الفطرة التي خلق الله الناس عليها، ولقد سار على ذلك سلف الأمة، فقد اتفق العلماء المسلمون منذ باكورة الإسلام على أن الاكتساب هو الأصل في ابتغاء الأقوات والأرزاق قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحجر:١٩، ٢٠]. من أجل ذلك لم نجد عالمًا من علماء الإسلام إلا وقد نفر من البطالة وشجع على علاجها ، وكان له موقفًا رادعًا عن البطالة ودافعًا للعمالة والاكتساب.

وكان من علماء الإسلام الأوائل، من نظر للبطالة نظرة معالجة، ودوَّن في ذلك مؤلفًا، الإمام محمد بن الحسن الشيباني[١]، الذي تتلمذ على يد الإمام أبي حنيفة النعمان ﷺ، في كتاب «الكسب» الذي اختصره محمد بن سماعة بعد الشيباني، في كتاب «الاكتساب في الرزق المستطاب» ولكني أود أن أقف على أمرين عند الإمام الشيباني هما:

الأول: باكورة علاج علماء المسلمين لمشكلة البطالة.

الثاني: عبقرية العلاج.

١ - الشيباني أول عالم ناقش البطالة :

أما باكورة علاج علماء المسلمين لمشكلة البطالة، فيتلخص في أن الشيباني من أوائل الفقهاء المتقدمين فقد ولد سنة ١٣٢هـ ، ولم يمر على وفاة آخر الخلفاء الراشدين إلا ما يزيد على مائة عام بسنوات قليلة فقد توفى الإمام علي رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ[٢]، وذلك أنه قد ظهرت

---

(١) محمد بن الحسن هو أبو عبد الله الشيباني صاحب أبي حنيفة قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ١٣٢ هـ. ونشأ بالكوفة، قال الشافعي (ما رأيت حبراً سميناً مثله ولا رأيت أخف روحاً منه إذا سمعته يقرأ القرآن فكأنما ينزل القرآن عليه) البداية والنهاية لابن كثير، ١٠/ ٢١٠، المجلد الخامس.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (٧/ ٣٣٤) المجلد الرابع.

دعوات تنادى بالزهد وترك الدنيا، ولقد ادعى الكرامية أن الكسب مباح لا فرضية فيه أصلًا[1]، فأخذ الشيباني يزيل ما أشكل، ويبين ما غمض ويعالج ما أغلق في أذهان هؤلاء، إن دل ذلك فإنما يدل على تنبه الشيباني لهذه المغالطة ولكن كيف عالج هذه المشكلة؟

٢- عبقرية الشيباني في علاج البطالة:

إن عبقرية علاج الشيباني للبطالة تظهر في الأسس التي أسس عليها هذا العلاج من حيث حكم الكسب، وضرورة الاكتساب لارتباطه بحاجات الإنسان، وكون الكسب قد توقف عليه نظام العالم، ومن حيث بيان بطالة العاجز، وبطالة المكتسب القادر.

أولاً: أما من حيث الحكم الشرعي قال الشيباني: «ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الكسب بقدر ما لابد منه فريضة وذلك لتوقف الكثير من الفرائض على الاكتساب من إشباع حاجة النفس والأهل والولد وسداد الدين وغير ذلك، فمقدار ما لابد لكل أحد منه ، يعنى ما يقيم به صلبه يفترض على كل أحد اكتسابه عينًا، لأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرائض إلا به، وما يتوصل به إلى إقامة الفرائض يكون فرضًا؛ فإن لم يكتسب زيادة على ذلك فهو في سعة من ذلك»[2]، فالحكم الشرعي للكسب أكبر الظن أنه حافز قوي لكل متعطل يعقل حقيقة مشكلته، وعلم ضرورة خروجه من البطالة؛ ويطلب الكسب الحلال من وجوهه المختلفة؛ ويروض نفسه على الكسب لأن الله ﷻ أخبرنا بأن الإنسان مخلوق في كبد، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾[البلد: ٤].

ثانيًا: قد أفاض الإمام الشيباني ﷺ في بيان ضرورة الاكتساب، وذلك من ناحيتين: الأولى لأن على الكسب قيام نظام العالم، فقال: «إن في الكسب نظام العالم، والله ﷻ، حكم ببقاء العالم إلى حين فنائه، وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد، وفى تركه تخريب نظامه وذلك ممنوع منه»[3]، فإن ضرورة الكسب تدل على أن البطالة تضاد تلك الضرورة، التي

---

(٣) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرام توفى سنة ٢٥٦ هـ رسالتان في الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، دار الفكر الأولى سنة ١٩٩٧ ص٥١، نسخة أخرى من الاكتساب هدية مجلة الأزهر الشريف أعداد جمادى الأولى، رجب، شوال لسنة ١٤١٦ هـ ص٤٠.

(١) الشيباني، الكسب، ضمن رسالتان في الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٦٤.

(٢) محمد بن الحسن، الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٥٤.

عليها نظام العالم كله ولو لم يكن الاكتساب ضروريًا لاستبدله الناس بالنهب والغلبة، وقد نهى الشرع عن ذلك.

ومن ناحية أخرى فإن الاكتساب ضروري لأن الله تعالى خلق بني آدم خلقًا لا تقوم فيه أبدانهم إلا بأربعة أشياء: «الطعام، والشراب، واللباس، والمسكن»[1]؛ وفي هذه المجالات الأربعة تقوم أهم مجالات الكسب والاكتساب، وعرف الإمام الشيباني ﵁ علاقة الكسب بالحاجة الإنسانية؛ فهذا من السبق الذي سبق به الإمام علماء الاقتصاد حديثًا؛ عندما ربطوا بين الصناعة وبين الحاجة الإنسانية وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عبقرية الشيباني رحمه الله تعالى.

إن الإمام الشيباني ذكر ضرورة الاكتساب لتوقف حاجات أبدان بنى آدم عليه، وتلك عبقرية من حيث الاستدلال عليها بالمستوى الفردي فكل متعطل يحتاج إلى هذه الحاجات فلا مناص له دون الكسب الحلال، وهذا ما يطلق عليه علماء التنمية البشرية: «توسيع الخيارات المتاحة أمام الناس»[2]، وأيضا من حيث الاستدلال على ضرورة الكسب بالمستوى الجماعي، فلا مناص من أن يتعاونوا فيما بينهم ففي بقاء جماعتهم؛ فكِلا المستويين هما ما نادى بهما علماء الاقتصاد اليوم من ضرورة التنمية البشرية للمتعطل، وتعاون المجتمع كله لخلق فرص عمل للمتعطلين.

ثالثًا: ولقد ذكر الشيباني ﵁ ما يدل على أنه توصل لطبيعة أخطر أنواع البطالة «البطالة الإجبارية» وبين مواطنها وبعض أسبابها فهي إما بسبب مرض أو شيخوخة أو عجز فقال: «يفترض على الناس إطعام المحتاج في الوقت الذي يعجز عن الخروج والطلب»[3] فكان هذا خير شاهد على عبقرية الشيباني إذ جعل علاجها فرضًا على الناس – الذين عرفوا

---

(٣) انظر محمد بن الحسن، الكسب تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٨١.

(١) دكتور نجيب عيسى، قضايا التشغيل والتنمية البشرية في البلدان العربية، ص١٢.

(٢) محمد بن الحسن، الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، ص٩٦.

به – على سبيل الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهذا المستوى الجمعي أو المجتمعي هو ما أقره الشرع الحنيف في التكافل الاجتماعي، فلقد قال الله في محكم التنزيل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[المائدة:٢]. وسار على ذلك رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك العلاج الذي ذكره الشيباني هو دليل كمال هذا الشرع الذي عالج المشكلة قبل ظهورها.

رابعًا: ويبين الشيباني أيضا بطالة القادر على الكسب، لكنه لا يجد العمل الذي يزاوله فيقول: «وإن كان المحتاج بحيث يقدر على التكسب فعليه أن يكتسب ولا يحل له أن يسأل ولكنه لو سأل فأعطى حل له أن يتناول لقوله ﷺ في الحديث الشريف: «وإن شئتما أعطيتكما» فلو كان لا يحل التناول لما قال النبي ﷺلهما ذلك» [1]، هذه هي بطالة المكتسب القادر الذي بين الشيباني أنه لا تحل له المسألة، ولكنه لو سأل فله أن يتناول لأنه فقير داخل ضمن آية مصارف الزكاة وهذا تنويه إلى أهمية إعطاء القادر على الكسب الذي لم يجد العمل من الزكاة، وإشارة إلى دور الزكاة في علاج البطالة.

هذا أول عالم تصدى لمسألة البطالة وقد توالت مؤلفات العلماء تشير إلى هذه المشكلة من قريب أو من بعيد، فكان من علماء الإسلام منهم من أزال شبهة ، ومنهم من أشار إلى طريق علاج، ومنهم من حَثَّ على العمل والاكتساب.

٣-الإمام الغزالي وإزالة الشبهات:

لقد وجد في عصر الإمام الغزالي رحمه الله [2]، من يدعى التوكل على الله ويترك الكسب ويجلس في زاويته فقال: «قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب، بالبدن وترك التدبير بالقلب

---

(١) محمد بن الحسن، الكسب ص٩٨ وبعدها وأخرجه أبو داود، ٢ / ١٢١، والنسائي ٥/ ٩٩، كتاب الزكاة من حديث عبيد الله بن عدى بن الخيار رضي الله عنه.

(٢) الإمام الغزالي: (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) هو محمد بن محمد بن محمد، وقد تفقه على يد إمام الحرمين، وبرع في كثير من العلوم، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة فكان من أذكياء العالم في كل ما تكلم فيه أشهرها كتاب الإحياء في علوم الدين، والمستصفى، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٨٥.

وهذا ظن الجهلاء؛ فإن ذلك حرام في الشرع؛ فالشرع الإسلامي أثنى على المتوكلين؛ فكيف يُنَال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين، بل نقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده وسعى العبد بالإثارة لأجل جلب نافع مفقود عنه كالكسب، أو لحفظ نافع موجود كالادخار، أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع السارق، أو لإزالة ضار قد نزل به مثل التداوي »[1]، وما قدمه الغزالي لا تقل أهميته عما اكتشف الشيباني لعلاقة العمل بالحاجة الإنسانية؛ لأن بعض المتعطلين يظنون أن البطالة من البلاء الذي يستسلم له المرء ولا يسعى في دفعه، فشرح وبيان الإمام الغزالي يذهب اللبس من العقل والشبهة من القلب. فإن البطالة نبذها أهل العلم والدين – خاصة الإمام الغزالي – منذ عصور الإسلام الأولى؛ فلما تأثر بعض المسلمين بأخلاق بعض الموالى بحكم اتصال الشعوب بعضها ببعض كأثر من آثار علاقة التأثير بين الحضارات فرصد العلماء تلك الظاهرة وحاربوها وعالجوا المجتمع الإسلامي من هذا الداء الوبيل.

٤- الشيخ العز بن عبد السلام والتوسع في الأعمال:

الإمام الشيخ العز بن عبد السلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2]، من كبار علماء الإسلام الذين أسهموا في وضع تصور لعلاج حقيقي لمشكلة البطالة، فأفاد المسلمون منه كثيرًا في مجال أعمالهم وحرفهم هو العز بن عبد السلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فبين مدى احتياج الناس بعضهم إلى بعض فلا يمكن للإنسان أن يقوم بحاجاته كلها، وهذه سنة الله في خلقه فيقول: «إن الله جَلَّ جَلَالُهُ، خلق الخلق وأحوج بعضهم إلى بعض لتقوم كل طائفة بمصالح غيرها فيقوم بمصالح الأصاغر الأكابر،

---

(١) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التوفيقية ٤/ ٣٦٨ وما بعدها، أبو طالب المكي، قوت القلوب، الأنوار المحمدية سنة ١٩٨٥، فصل التكسب والتصرف في المعايش، ٢/ ١٧، القشيري، الرسالة، مكتبة صبيح، باب التوكل، ص١٢٩.

(٢) الشيخ الإمام العز بن عبد السلام: (٥٧٧ – ٦٦٠ هـ)، هو أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز ابن عبد السلام السلمي الشافعي، له مصنفات حسان في التفسير واللغة والفقه والتصوف والأصول وله القواعد الكبرى والصغرى، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٨، المجلد السابع.

والأصاغر بمصالح الأكابر، والأغنياء بمصالح الفقراء، والفقراء بمصالح الأغنياء، والنظراء بمصالح النظراء »[1].

إن حاجة الناس بعضهم إلى بعض قد بينها القرآن الكريم، في قوله - تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾[الزخرف:٣٢] فالمتعطل من خلال هذا الواقع يبحث عن دوره في الحياة الذي يخدم به نفسه وأهله ومجتمعه، وهذه النظرة تدل على أن المساواة بين الناس في أصل المعيشة تدفع إلى التفاعل بين الناس جميعا لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ثم إن تنوع الأعمال بين الناس هو السبب الذي يجعل الغنى يحتاج إلى الفقير والعكس، ويجعل الكبير يحتاج إلى الصغير والعكس، والنظير يحتاج إلى النظير، قال العز بن عبد السلام: «فإذا لم يبح ذلك لاحتاج كل واحد أن يكون حراثًا ساقيًا باذرًا حاصدًا طحانًا عجانًا خبازًا طباخًا، وأيضا لاحتاج في آلات ذلك إلى أن يكون حدادًا لآلاته نجارًا لها»[2]، إلى غير ذلك من أنواع ما يحتاج إليه الناس من مصالح وحاجات يجب ممارسة الأفراد لها فتعالج البطالة.

والله ﷻ خلق الناس شعوبًا وقبائل، وجعل لكل أمة ما يناسبها من الحرف والأعمال لا يبرع فيها إلا أمة من الأمم، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾[سورة قريش] فلقد هيأ الله تعالى لأهل مكة التجارة من خلال رحلتي الشتاء والصيف فيجلبون السلع ويبيعونها فيربحون، ومعظم أهل المدينة زراع، ولو توسعنا في المسألة لوجدنا أن الله ﷻ جعل لكل أمة من الموارد ما إذا استغلتها لبرعت فيها لذلك قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٢/ ٦٨، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٩٤.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٢ / ٦٩.

يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[الأنعام:١٠٨]. وممن تنبه إلى هذا التخصص الأمم والشعوب في بعض الأعمال الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «ومن حكمة الله ﷻ أن وفر دواعي كل قوم على القيام بنوع من المصالح فزين لكل أمه عملهم ، وحببه إليهم ليصيروا بذلك إلى ما قضى لهم وعليهم»[1]، ومن ناحية أخرى فقد أخذ العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ يمهد لنظرية الشيباني من ربط الكسب بالحاجة الإنسانية فقال: «كلبس الناعم أو سكنى القصور الواسعة، وما بين الضروريات والتحسينات فهو من الحاجات قد تقترب إلى الأولى أحيانًا وقد تقترب إلى الثالثة أحيانًا أخرى »[2]، وهذا الارتباط تنبه له علماء الإسلام مما يدل على عبقرية علماؤنا ﵀ حيث تعمق علماء الإسلام فيما ابتدأه الشيباني من بيان ارتباط العمل بالحاجة الإنسانية.

٥-الإمام الشاطبي، ودور التدرج في مصالح العباد في مواجهة البطالة:

ومن أوضح العلماء شهرة بنظرية مقاصد الشريعة الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أئمة وفقهاء المالكية [3]، فقد نظر إلى مقاصد الشريعة ومصالح العباد؛ فوجدها تدور بين الضروريات وهى أعلاها وأولاها بالإشباع من المأكل والمشرب والملبس والمأوى، وما كان في غير حاجة أو زيادة ترف فهو من التحسينات أو التتمات أو التكميلات، التي دعا إليها الإسلام من زراعة وتجارة وصناعة وسوف نعرف ذلك في الفصل القادم في كسب الزراعة من خلال قول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾[الرحمن:١٠-١٣]. فهذا التدرج في مصالح العباد ينطبق على كسب الزراعة،

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، ٢/ ٧٠.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، ٢/ ٧١، محمد فريد وجدي، من معالم الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، ص٢٩٧.

(٣) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي توفى سنة ٧٩٠ هـ، وقد قدمت الشاطبي في الذكر على التلمساني لشهرته وإن كانا متعاصرين.

وهي أول ما اكتشفه الإنسان من المكاسب كلها، وأصل لكل المكاسب – من وجهة نظري – ومن باب أولى فإنه ينطبق على الصناعة والتجارة أيضا.

ومصالح العباد الضرورية والحاجية والتحسينية في مكاسبهم يفيد في علاج البطالة أيما إفادة، من حيث التوسع في الأعمال وتكثيرها وفى ذلك يقول الإمام الشاطبي: «لو طبق الحرام على الأرض، أو ناحية منها وانسدت طرق المكاسب الطيبة ومست الحاجة إلى الزيادة على سد الرمق فإن ذلك سائغ أن يزيد على قدر الضرورة، ويرتقى إلى قدر الحاجة في القوت والملبس والمسكن، إذ لو اقتصر على سد الرمق لتعطلت المكاسب والأشغال، وفى ذلك خراب الدين لكن لا ينتهي إلى الترفه، كما لا يقتصر على مقدار الضرورة وهذا ملائم لتصرفات الشرع وإن لم ينص على عينه»[1].

والواضح أن هذه المصالح المتدرجة تختلف من شخص لآخر ، قد تكون الضرورة لشخص دون شخص آخر مما يستلزم النظر في هذه المصالح وإعداد قائمة بما هو ضرورة من الزراعات والصناعات والتجارات وتقوم على الحاجات التي تمثل ما هو دون الضرورة وفوق التكميلات، وليكن المتعطل هو الذي يعد هذه القائمة لنفسه على سبيل دراسة الواقع قبل أن يدخل في سوق العمل.

وللدولة دور في إعداد هذه القائمة على سبيل تشجيع زراعة الأقوات على زراعة غيرها والارتقاء تدريجيًا مع تطلعات سوق العمل، والتوسع المتدرج في إشباع الحاجات ثم التكميلات لتوفير فرص العمل المناسبة لأعداد المتعطلين المتتابعة، وهذا ما يفهم من عبارة الشاطبي رحمه الله السابقة حيث لولا هذا التوسع لتعطلت المكاسب والأشغال وفى ذلك خراب الدين.

---

(١) الإمام الشاطبي، الاعتصام، تحقيق محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية، ٢ / ١٢٥ .

فإذا كانت تلك من جهود علماء الإسلام عبر العصور، فإنها لم تنته ولا انقضاء لها ما دامت الأمة تعاني، لذلك أقول ما زال عطاء علماء الدين اجتهادًا منهم لعلاج المشكلات التي تواجه الأمة أفرادًا وجماعات مستمرًّا عبر العصور.

٦- ويبقى العطاء مستمرًا:

إن عبقرية علماء الإسلام في علاج مشكلة البطالة بتطبيق ما قالوا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد في علاج تلك المشكلة بل توالت مؤلفات علماء الدين لبيان الحرف والأعمال في عهد رسول الله ﷺ مثل مؤلف الشيخ الخزاعي التلمساني[1]، الذي أطلق عليه «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية».

وفي أوائل القرن العشرين أخرج الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله تعالى – في كتابه الذي أطلق عليه «الإسلام والطاقات المعطلة» ثم توالت مؤلفات العلماء في مختلف تخصصاتهم، والواقع يثبت أن أول من تنبه لهذه المشكلة هم علماء الإسلام وأنهم أول من أسهم في حلها وبوضع الحلول المناسبة لها كما سبق بيانه.

****

---

(١) التلمساني: من علماء القرن الثامن الهجري توفى سنة ٧٨٩ هـ ذكر في كتابه ١٥٦ من العمالات، والصناعات على عهد رسول الله ﷺ، تشجيعا على مزاولة أهل زمانه لها.

الفصل الثالث

وسائل علاج ومواجهة

البطالة في ضوء الإسلام

- الوسائل العقدية في علاج ومواجهة البطالة.
- الوسائل التشريعية في علاج ومواجهة البطالة.
- الوسائل الأخلاقية في علاج ومواجهة البطالة.



المبحث الأول

الوسائل العقدية في علاج ومواجهة البطالة

اتضح في الفصل السابق موقف الإسلام من البطالة من خلال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وسياسة الخلفاء الراشدين ﵃ أئمة الهدى بعد الرسول ثم عرجت إلى فكر واجتهاد العلماء في وضع حلول للمشكلة.

وفى هذا الفصل بيان التدابير الإسلامية ووسائل علاج ومواجهة البطالة من ناحية العقيدة والشريعة والأخلاق؛ حيث إن الفرد المسلم لا ينفصل عن دينه من هذه الجهات الأساسية؛ فماذا قالت العقيدة الإسلامية في علاج ومواجهة البطالة؟ وكيف تكفلت الشريعة الإسلامية بوضع التدابير والوسائل الشرعية لعلاج البطالة؟ وما دور الأخلاق في كل ذلك؟ يجيب هذا الفصل عن كل هذه التساؤلات جوابًا دالًّا على كمال الدين مما لا يدع مجالًا للشك في صلاحية الدين الإسلامي وكفاءته في مواجهة أية مشكلة يعانى منها البشر.

ويظهر من خلال هذا الفصل أيضًا قوة معالجة النظام الاقتصادي في الإسلام بالعديد من المعاملات التي يستطيع المتعطل أن يمارس بها العمل فلا يطلب منه إلا بذل الجهد.

المطلب الأول: (البطالة ابتلاء وامتحان):

بداية إن البطالة تعد من البلاء الذي يصيب الله به بعض الأفراد من الأمة، مما قد يؤثر على الأمة كلها، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[محمد:٣١] . والابتلاء أمر طارئ على الإنسان يسعى في صرفه عن نفسه، قدر الطاقة والحاجة، ويتضح هذا المطلب من خلال النقاط التالية:

(١) البطالة ابتلاء من الله ليختبر عباده:

إن البطالة كحدث من الأحداث، ظهرت في المجتمعات بشكل واضح في الفترة الراهنة، تمثل القضاء والقدر [1]، الذي كتبه الله – تعالى – وقدره على العباد ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾[البقرة:١٥٥]. فالبطالة تتمثل في هذا الفرد الذي يخاف من غده فلا يدرى ماذا سيلقى فيه؟، بعد ما مر عليه الأمس وقد أصابه الفقر والجوع، فقد يظهر الخوف والجوع كمظاهر طبيعية على الفرد المتعطل.

والبطالة تتمثل أيضا في قلة هذه الأموال التي يشبع بها الفرد حاجاته الأساسية، فإذا به يطلب العمل فلم يجده، لأن العمل سبب لكسب المال، وهذه ابتلاءات من الله – سبحانه – قد كتبها على أفراد من عباده، اختبارًا لهم في هذه الحياة، حيث قال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾[الأنبياء:٣٥]. ولا شك أن البطالة من الشر الذي قد يمتحن الله ﷻ به إيمان المؤمنين، ليرفع درجاتهم الإيمانية، فقد أجبر أصحاب رسول الله ﷺ لما كانوا بمكة على ترك أموالهم وأعمالهم، إذ هاجروا مع الرسول إلى المدينة، فتركوها لثقتهم في أن الله ﷻ سيبدلهم من بعد ضيق فرجًا، ومن بعد عسرٍ يسرًا، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾[الحشر:٨]. فنجحوا في الاختبار وكانوا في أعلى درجات الرقى الإيماني، وهؤلاء هم القدوة للسالكين.

---

(١) القضاء لغة الحكم، وفى اصطلاح المتكلمين عبارة عن الحكم الكلى الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل والأبد، والقَدَر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء، والقضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال، والفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها. التعريفات للجرجاني ص ٢٢٠، ٢٢٥.

(٢) البطالة بين نظرة المسلم ونظرة غيره:

وإذا كانت البطالة ابتلاء من الله ﷻ قضاء قضى به الله وقدره على بعض أفراد المجتمع وكتبه على بعض الناس، لكن هذا لا يدعو المسلم للاستسلام لهذا الواقع المرير بل أمره الدين الحنيف بالسعي وبذل الجهد، وهذه النظرة تختلف تمام الاختلاف عن نظرة التسليم والخنوع، والتي تظهر على ألسنة البعض في وصف هذه المشكلة ،وصفًا يسمو بها إلى مصاف الكوارث الطبيعية التي تحدث في كون الله ، فقال أحد المحللين لتلك المشكلة: «إن المنافسة في القرية المعولمة تشبه الإعصار لا أحد يستطيع البقاء بمنأى عنه» [١]. ومع أنها مشكلة لكن لا يعني ذلك وصفها بأنها إعصار لأن كثيرًا من أسبابها تعود للبشر أنفسهم.

إن الوصف للبطالة بأنها إعصار، يتنافى مع نظرة المسلم الذي يعلم تمام العلم أن البطالة من قدر الله ﷻ ولكن بسبب ما كسبت أيدي الناس ، قال الله سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١]. ولما كان الإيمان بالقدر لا يتنافى مع الكسب والعمل كانت نظرة المسلم إلى مشكلة البطالة نظرة موضوعية واقعية لا يستسلم ، ولا يصيبه انهزام ؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[التوبة:١٠٥].

أما نظرة غير المسلم لهذه المشكلة فإنها نظرة يأس؛ «لأنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر قبل الوقوع، كقولهم: «البطالة إعصار يقف على الأبواب» [٢]، توصلًا إلى المقدر» [٣]، أما بعد الوقوع فان للإسلام تدابير أخرى.

---

(١) هانس بيتر – فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس، ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٧ .

(٣) إبراهيم البيجوري، شرح البيجوري على الجوهرة، طبع الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، سنة ١٩٨٨، ص ١٣١.

(٢) التدابير الدينية لمواجهة البطالة

لا شك أن التدابير الإسلامية التي أقرها الدين ووضعها لعلاج مشكلة البطالة متعددة ترمي كلها لهدف إخراج الناس من ظلمات الفقر والحاجة إلى رحابة الدنيا ورغد العيش، ومن هذه التدابير ما يلي:

(أ) الإيمان بالقضاء والقدر، والاعتراف بأن الله -عز وجل- لا يريد للعبد المؤمن إلا كل خير، قال سبحانه: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء:١٩]. فالإيمان بالقضاء والقدر ، أحد أركان الإيمان كما ورد في حديث جبريل – عليه السلام – وفيه – «ونؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

(ب) الرضا بالقضاء وعدم السخط عليه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد:٢٢،٢٣]. فهذا ما يجب على المتعطل قبل حصوله على العمل؛ فيصبر على البطالة ولا ييأس على ما فاته.

(جـ) السعي في رفع إصر البطالة ، حيث ذاك السعي يدخل ضمن مقصد عام من مقاصد الإسلام ألا وهو وضع الإصر والأغلال والحرج عن العباد ، قال – تعالى – في وصف رسوله الكريم: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف:١٥٧]. وذاك السعي في سبيل رفع إصر البطالة لا يكون إلا من خلال العمل والكسب وفق ما استخلف الله فيه الإنسان ، فلا ينس المسلم نصيبه من الدنيا وليكن محسنًا إلى نفسه وغيره.

---

(١) الحديث الثاني في الأربعين النووية، وقال النووي: رواه مسلم/ كتاب الإيمان باب أمارات الساعة.

(د) النهى عن الظلم والتظالم بين الناس ، حيث إن البطالة الفاشية بين الشباب ابتلاء من الله عز وجل ، بسبب ما كسبت أيدي قلة من الناس، قللوا الأعمال وضيقوا مجالاته، أو كنزوا الأموال ولم يستثمروها في تشغيل الأفراد، لذا نبه القرآن على ذلك فقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠].

المطلب الثاني : (البطالة وعلاقتها بالرزق):

إن عقيدة الرزق من العقائد الإسلامية التي تمس البطالة، حيث يظن الفرد أنه غير مرزوق ، أو أن الله ضيق عليه رزقه فيسخط ، وقد قدر الله الرزق وكتب للإنسان وهو في بطن أمه، كما بسط الرزق وقدره وفق مشيئته – سبحانه.

(١) رزق الله للفرد المتعطل:

إن الله – عز وجل – قد كفل للعباد جميعًا أرزاقهم، فالله يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾[هود:٦].
والله ﷻ لا يظلم أحدا فجعل لكل إنسان رزقه الذي كتبه له أزلا، مما ينتفع به، والرزق ليس المادة فقط، ولكن كل ملكة من ملكات الفرد وهى عطاء رباني للعبد، والفرد المتعطل قد يذهل عن ذلك، حتى يسمع القرآن يخبره ويذكره، فيقول: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ ﴾[البلد:٨-١١].

فهذه نعم ربانية قد امتن الله بها على الإنسان حتى يقبل على استخدامها في التفاعل مع كونه تعالى، الذي هيأ للإنسان فيه رزقه، قال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ ﴾[العنكبوت:٦٠].

إن الفرد الذي لم يتوفر له العمل، إذا سعى في الحياة مسعى الواثق في أن الله ﷻ كفل له رزقه قبل أن يولد ، فإن هذه الثقة في الله تعالى تورثه السكينة والرضا بما قسم الله تعالى له، وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك فقال ﷺ: «يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات:

بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[1]، وما الواجب على المسلم تجاه ذلك إلا السعي والعمل،قال الله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[الليل:٤].

(٢) الله يبسط الرزق ويقدر:

قد يختبر الله تعالى العبد بقلة رزقه، تمحيصًا له وامتحانًا، أو لأنه قد يفسد حاله إذا بسطت له الدنيا ، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[الشورى:٢٧]. فالفرد المتعطل «إذا علم أن توسيع الرزق ليس دليلًا على رضا الله عليه، وأن تقتيره ليس دليل سخطه ، فأمر الرزق لا يختلف بالإيمان أو الكفر، فالتوسيع والتقتير من الله وفق مشيئته ﷻ»[2]، فلا تعيير بالفقر «أو البطالة» فكل شيء بقضاء وقدر.

إن الفرد الذي لم يجد العمل الذي يقتات به رزقه، إذا اعتقد تلك المفردات العقدية، أن الله هو الرزاق، وأنه يبسط الرزق ويقدره وفق مشيئته ﷻ وأن الله امتحنه بقلة العمل والقوت، إذا اعتقد الفرد ذلك فإنه لن يضيق صدرًا ولسوف يرضى عما قدر له وفى الحديث قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[3].

والله ﷻ لطيف بعباده، قال الإمام القرطبي: «يلطف بهم في الرزق من وجهين: أحدهما أنه جعل الرزق لعباده من الطيبات، والثاني: أنه لم يدفعه إلى عباده مرة واحدة فيبذروا فيه ولكنه قدره تقديرًا»[4]، وصدق الله إذ يقول: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ

---

(١) الحديث متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، محمد فؤاد عبد الباقي، رقم ١٦٩٥، ص ٥٨٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣ / ٣٢٠، المجلد السابع.

(٣) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، عن الإمام مسلم، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٨).

(٤) القرطبي، ١٦/ ٣٣٩، المجلد الثامن.

﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ١٩﴾[الشورى:١٩]. وما على الفرد إلا أن يبتغى من فضل الله بكسبه وكده في الحياة.

(٣) ارتباط الأرزاق بمباشرة أسبابها:

لقد ارتبط الرزق بمباشرة أسبابه، وأسباب طلب الرزق كثيرة قال الله ﷻ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ١٧﴾[العنكبوت:١٧]. وأسباب الأرزاق قسمان: أولهما أسباب معنوية، من الدعاء، واليقين، والاستغفار وغير ذلك من أسباب تزيد الشحنة الإيمانية فتقوى صلة العبد المتعطل بربه، وثانيهما: أسباب مادية من وجوب النظر في جميع أنواع المكاسب والكسب المختلفة، وليس هذا مجال الإحصاء لجميع مجالات الكسب، إنما في الإشارة كفاية، ولكن معرفة أسباب الرزق بنوعيها، وصلتها بعلاج البطالة مما ينبغي تذكير المتعطل بها لضرورة النظر فيها واعتقادها مع الأخذ بها.

والأخذ بالأسباب في معالجة مشكلة البطالة أو غيرها مشروع في الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ٨٤ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾[الكهف:٨٤،٨٥]. ولقد ذكر القرآن الكريم كلا من الأسباب المادية والمعنوية كأسباب لنيل الرزق فقد رزق الله مريم – رضي الله عنها – وهي في محرابها، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧﴾[آل عمران:٣٧]. وذلك لأن السيدة مريم على يقين تام أن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين لها ولكل الخلق والمتعطل أحد خلق الله تعالى.

كما ذكر القرآن أيضا الأسباب المادية لنيل الرزق، وذلك من خلال مباشرة أى كسب من المكاسب سوف يأتي ذكرها فيما بعد، والذي يجب للمرء أن يتأكد منه كما بينه الإمام الغزالي حين قال:« قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، وهذا ظن الجهلاء، فإن ذلك حرام في الشرع؛ فالشرع الحنيف قد أثنى على المتوكلين، فكيف يُنَال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين، بل

نقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده »[1]، فالأرزاق مرتبطة بأسبابها، وأن مباشرة الأسباب المادية لا تغنى عن الأسباب المعنوية، فالله يرزق العبد بغير حساب.

المطلب الثالث: (البطالة من علامات الساعة):

(١) الدليل:

إن من يطلع على سنة الرسول ﷺ يجد ذكر مشكلة البطالة في ثناياها، وإن لم يكن بصريح لفظها واسمها، إنما بمدلولها ومفهومها ومسماها؛ فلما كانت البطالة من الأساس انعدام وجدان العمل، وعدم إيجاده مع البحث عنه، فهي إذن مرتبطة بالعمل سلبًا، فإذا برسول الله ﷺ يقول: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، و يكثر الهَرْجُ، قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: القتل القتْل» [2]، جملة «وينقص العمل» معناها لدى السلف الصالح ينقص العمل الصالح مع كثرة العلم، هذا عرف السلف الصالح في فهم نقصان العمل، كما تحمل دلالتها اللفظية معنى البطالة على سبيل الحقيقة دون تفسير الجملة، واللغة تحتمل كلا المعنيين.

(٢) وجه الاستدلال من الحديث في الجملة (وينقص العمل):

ينقص: فعل دال على الخسران في الحظ، قال تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[البقرة:١٥٥]. والفعل ينقص يأتي لازما ومتعديًا [3].

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة التوفيقية، باب التوكل، ٤/ ٣٦٨، أبو طالب المكي، قوت القلوب، مطبعة الأنوار المحمدية، ٢/ ١١، القشيري، الرسالة القشيرية، محمد على صبيح، باب التوكل.

(٢) أخرجه البخاري بهذا اللفظ (وينقص العمل) كتاب الأدب، باب حسن الخلق وما يكره من البخل، ٤/ ٥٦ المجلد الثاني، وأخرجه في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن ٤/ ٢٢٢.

(٣) الراغب، مفردات غريب القرآن، ص٥٠٣، الفيومي، المصباح المنير.

ومن تأمل في جملة «وينقص العمل» يرى أن الفعل ينقص لازمًا، ودلالة هذا اللزوم على مشكلة البطالة واضحة في أن العمل فاعل للنقصان، ولا غرو فإن لذلك أسبابًا قد سبق الحديث عنها وأن للإنسان دخل فيها، ولكن لتفاقم المشكلة أصبح العمل نفسه ذاتًا مستقلة مؤثرة، وهذا أصدق تعبير عن البطالة الاضطرارية، لأن المادة اللغوية لكلمة العمل تدل على أنه: «هو كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل، ويطلق على الأعمال الصالحة والسيئة» [1].

وقد يكون في الجملة مجاز بالحذف، ويكون تقدير الجملة «وينقص أجر العمل، أو ينقص وقته، أو ينقص العمل الإنساني» وعلى كل هذه التقديرات تفسر الواقع الذي يعيش فيه كثير من المتعطلين، وتبين أنواعًا للبطالة، وعلى أية حال فإن المعنى صحيح من غير تكلف أن نقصان العمل أو وقته أو أجره أو عمل الإنسان إذا أطلق وأريد به البطالة كظاهرة قد وقعت كما أخبر الرسول الخاتم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وهذا يدعو إلى إمعان النظر في كل ما اعتبره رسول الله ﷺ في علاج هذه المشكلة لذا، قال ﷺ: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدٍ فسيلة فليغرسها» [2]، وذلك يدل على أن النبي أخبر على قلة العمل في فترة من الزمان، وأن ذلك من علامات الساعة.

(٣) من دلائل النبوة:

إن هذا الحديث ورد به جملة «وينقص العمل» وقد أيد الحافظ ابن حجر هذه الرواية بهذا اللفظ من ناحية الصنعة الحديثية [3]، ومن ناحية أخرى فإن الواقع يؤيد صدق ما أخبر به الرسول ﷺ، حيث قلّت الأعمال والوظائف بدرجة كبيرة، حتى بات الفرد يبحث عن

---

(١) الراغب، مفردات غريب القرآن ص ٣٤٨، دكتور محمد عبد العظيم المطعني، دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقية في توظيف اللغة، مكتبة وهبة، ص ١٢٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أنس رقم (١٢٥٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال.

(٣) قال ابن حجر: (هذه الرواية في رواية المستملي والسرخسي (العمل) ومثله في رواية شعيب عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي الأعرج عن أبي هريرة كما في أواخر كتاب الفتن هي تؤيد رواية من رواه بلفظ (وينقص العمل)، ويؤيده أيضا الحديث الذي بعده في الباب بلفظ (ينزل الجهل ويرفع العلم) فتح الباري، شرح صحيح البخاري ١٣/ ١٧.

العمل لفترة طويلة قد تصل إلى سنة كاملة حتى يجد الكسب الذي يناسبه من حيث الأجر، والتخصص، والكرامة الإنسانية، ورسول الله إذ يخبر الأمة بهذا الخبر لدليل صدق نبوته أُقدِّمُه لكل من يضعون الحلول لهذه المشكلة أن ينظروا لأول من تنبأ بوقوعها وأخبر عنها، وينظروا فيما ذكر لها من حلول تامة ليعملوا بها ، ويقوى تمسك المسلمين بسنن نبيهم ﷺ، إذ أورد فيها خطوات للأفراد والمجتمعات لو نهجوها لعالجوا ما هم فيه من حالة تعطل عن العمل، ولوضع عنهم إصر البطالة.

المطلب الرابع: (البطالة في ميزان العقيدة الإسلامية):

إن البطالة التي يحيا بها عدد من الأفراد تعتبر معصية منهم، إذ ما خلق الله الإنسان ليقعد أو ليتعطل عن عمارة الكون، إنما خلقه ليعمر الكون، ثم لا يكون العمران إلا بالتوسع في المكاسب الإنسانية التي بينتها آيات الذكر الحكيم، وسنن النبي الأمين ﷺ.

الإيمان قول وعمل:

إن العمل ليس عنصرًا أجنبيًّا عن الإيمان الذي هو تصديق القلب بوحدانية الله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر فإن التصديق القلبي وحده لا تظهر آثاره إلا بالأعمال، من هنا كان مذهب جمهور المتكلمين والمحدثين والفقهاء «الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان» (1)، من هنا ندرك أن من قعد عن أداء الواجب والفرض أداءً عمليًّا سواءٌ كان هذا الفرض من مطالب الدين، أو من مطالب الدنيا، فإنه يعتبر تاركًا للواجب، ومن ترك أداء الواجب مع استطاعته وطاقته فهو مقصِّرٌ وعاصٍ.

وتعالج العقيدة الإيمانية البطالة من ناحيتين:

الأولى: كون البطالة إحدى البلايا التي كتبها الله ﷻ على بعض الأفراد، يحتم الصبر عليها، مع السعي والعمل في سبيل رفع إصرها، وممارسة الحياة بالصورة الطبيعية التي فطر

---

(1) سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النفسية، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكيات الأزهرية الأولى سنة ١٩٨٧، ص٨٠، النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ١/ ١٤٧، باب الإيمان قول وعمل، ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص٣٢، وبعدها.

الله الخلق عليها من ابتغاء الرزق فيما يعملون، وهذه الناحية تمثل وقاية من آثارها السيئة على المتعطل في التي سبق الإشارة إليها، وهذا دور الدعاة الصالحين الذين يدعون إلى الله على بصيرة.

الثانية: تلازم النصوص الهادية التي تقرن الإيمان بالعمل الصالح، وهي كثيرة في آيات الذكر الحكيم، ولاشك في أنه ما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجردًا، بل عطفت عليه عمل الصالحات، فقال الله ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾[الأنبياء:٩٤]. ولقد أعلن الحق أن استجابته مقرونة بالعمل وحده، فقال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[آل عمران:١٩٥] [1]. وعلى ذلك سار هدى النبي ﷺ، لذا فالإسلام يأبى البطالة ويدعو إلى العمل في شتى مجالاته، وهذه الناحية تمثل العلاج الفعلي للبطالة، ويظهر من خلالها دور المجتمع كله بدءًا بالولاة والعلماء مع الأغنياء، للعلم بتلازم العمل للإيمان، ومن كلتا الناحيتين يظهر علاج العقيدة الإسلامية للبطالة.

****

(١) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الدعوة الثالثة سنة ١٩٩٠، ص ١٤٧، سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، الفتح للإعلام العربي، العاشرة سنة ٢٠٠١، ص١٦٧.

المبحث الثاني

الوسائل التشريعية في علاج ومواجهة البطالة

المطلب الأول: (الكسب وسيلة شرعية لعلاج البطالة):

حكم الكسب :

قال الراغب الأصفهاني:« الكسب كل ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الفرد أنه يجلب منفعة ثم جلبت به مضرة، والاكتساب: لا يقال إلا فيما استفدت لنفسك فكل اكتساب كسب، وليس كل كسب اكتساب[1]»، قال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء:٣٢].

وقد اعتبر فقهاء الإسلام الكسب من فروض الكفايات التي إن قام بها البعض قيامًا لسد حاجة المجتمع سقط الإثم عن الباقين، وإلا تأثم الأمة كلها وتحول فرض الكفاية إلى فرض عين على كل من يستطيع قياسا على الجهاد.

والكسب أخذ هذا الحكم الشرعي من أجل الحفاظ على النوع الإنساني قال التفتازاني:« لأن الله ﷻ قدر لهذا النظام المنوط بنوع الإنسان بقاءً إلى قيام الساعة وهو مبنى على حفظ الأشخاص إذ بها بقاء النوع، والإنسان، لفرط حاجته يفتقر في البقاء إلى أمور صناعية في الغذاء واللباس المسكن ونحو ذلك، ويفتقر إلى معاونة ومشاركة بين أفراد النوع؛ فلهذا السبب شرعت المعاملات »[2]، والمكاسب بتعدد أنواعها وصورها.

---

(١) الراغب، مفردات غريب القرآن، ص٤٣٠.

(٢) سعد الدين التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، دار الكتب العلمية، الأولى ١٩٩٦، ٢/ ٣٠.

ولقد اكتسب أنبياء الله ورسله الكرام من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم ﷺ، حيث إنهم بشر يأكلون ويشربون قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الأنبياء:٨]. وقال سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠]. من أجل ذلك كان الاكتساب فرض كفاية على المجتمع يقوم به من توافرت فيه شروط الاكتساب ودعت لذلك الضرورة من نفقة على النفس والأهل والولد، أو لأداء حق واجب.

قال أحد فقهاء الأحناف:« المذهب عند جمهور الفقهاء – رحمهم الله – من أهل السنة والجماعة إن الكسب بقدر ما لابد منه فريضة، وقالت الكرامية: بل هو مباح بطريق الرخصة، حجة جمهور الفقهاء على ذلك من القرآن قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[البقرة:٢٦٧].

والأمر حقيقة للوجوب، ولا يتصور الإنفاق من المكسوب إلا بعد الكسب وما لا يتوصل إلى إقامة العبادة، إلا به ولا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به يكون فرضًا[1]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة:١٠].

دوافع الكسب المشروعة:

١- الإنفاق

لقد أمر الله عز وجل المسلم بالإنفاق على الأهل والأولاد ، ولن يتمكن الفرد من الإنفاق إلا بتحصيل المال بالكسب ، وما يتوصل به إلى أداء الواجب يكون واجبًا قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة:٢٣٣]. وقال سبحانه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾[الطلاق:٧].

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني، الكسب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ص٥١

وفى الحديث قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» [1]، ولقد حث النبي ﷺ المسلم على الإنفاق على كل ضعيف أو عاجز من أصحاب الأمراض والأعذار واليتم، فكل هذا يدفع المرء إلى الكسب وترك القعود والبطالة، قال الإمام الغزالي: « ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع فلا يمكن في حقهم إلا توكل المكتسب، وهو المقام الثالث، كتوكل أبى بكر الصديق رضي الله عنه، إذ خرج للكسب، وأما القعود عن الاهتمام بأمرهم فحرام، وقد يفضى إلى هلاكهم» [2]، ومن هنا يظهر أهمية الإنفاق على الولد.

٢- بقاء نظام العالم:

إن الله ﷻ جعل في المكاسب والأعمال بقاء نظام العالم، وحكم الله ﷻ ببقاء العالم إلى حين فنائه، وفى ترك الكسب تخريب نظام العالم، وذلك ممنوع منه، ولأن الكسب في الابتداء كد وتعب، وقد تعلق به نظام العالم قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾[البلد:٤]. فلو لم يجعل أصله فرضًا لاجتمع الناس على تركه، لأن الناس في طبعهم الراحة وترك التعب فجعل الشرع أصله فرضا لذلك [3]، وتمام نظام العالم لن يكون إلا من خلال تحقيق الخلافة الإنسانية، فالفرد يتكسب لتحقيق هذه الخلافة التي من أجلها أهبط الله آدم عليه السلام، إلى الأرض، وكرم الله الإنسان، وسخر له الكون، وأمره بالسير في الأرض وعمارتها.

٣- خشية الوقوع في الإثم:

إن البطالة إذا أدت إلى مفسدة أو ترك واجب أو أمر حرام شرعًا فإنها تأخذ حكم التحريم، فإذا تعطل الإنسان عن عمل يقتات منه فلم يكتسب قوته حتى مات جوعًا أثم لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[البقرة:١٩٥]. وإذا ترك الإنسان الإنفاق على الزوج حتى هلكت أثِمَ، فالبطالة تحرم بقدر ما يترتب عليها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب صلة الرحم، ٢/ ١٣٦، حديث رقم ١٦٩٢.

(٢) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، باب توكل المعيل، ٤ / ٣٧٨.

(٣) الشيباني، الكسب ص ٥٤ الغزالي، الإحياء، ٢/ ٨٩.

٥ - عبادة الله:

هذا الدافع للكسب ليس أجنبيًّا عنها بل هو من دوافع الكسب والعمل، وسوف يظهر مدى ما للعبادة في الإسلام من تداخل وتواصل وملائمة بين العبادة، والعمل، فالصلاة تتيح الوقت للعمل، والصوم يوفر الجهد والصدقة تعيد تأهيل العامل وتحفزه على العمل، والحج يترجم كل ذلك في الواقع.

تعدد المكاسب في الإسلام

إن الله ﷻ خلق الإنسان وذلل له الكون كله ، وقدر له رزقه وهو في بطن أمه ، ولم يأمر الإنسان إلا أن يأخذ بأسباب المعاش من سعى وابتغاء للرزق وتكسب، وإن الله بيَّن أن المكاسب التي يطلبها الإنسان ليكتسب منها رزقه ليست واحدة بل هي متعددة من زراعة وصناعة وتجارة، هي أصول المكاسب وكل أصل منها له فروع كثيرة متنوعة لأجل ألا ينتهي العمل، وهذا التعدد لأصول المكاسب مستفاد من قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأعراف:١٠]. وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر:٢٠،٢١]. فصيغة الجمع في قوله: «معايش» تدل على أن معايش الناس مختلفة حسب اختلاف بيئاتهم، قال البيضاوي:« والمعايش هي الأسباب التي يعيشون بها من زراعة أو صناعة أو تجارة »[١].

كما أمر الله المسلم أن يتحرى الرزق الحلال ولا يأكل الحرام فمن أجل ذلك ينهى عن السرقة أو قطع الطريق أو غصب مال الغير أو أكله من غير رضا منه، فقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[النساء:٢٩].

---

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت لبنان، الأولى سنة ١٩٩٨ م ١/ ٣٣٢.

وقد أوضح علماء الإسلام قديمًا وحديثًا أسباب تحصيل الرزق والاكتساب الحلال: « وهو إما أن يكون من الأرض باستزراعها بأنواع النبات من الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته ويسمى هذا «زراعة» وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية في مواد وتسمى هذه «صناعة»وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض بالتقلب في البلاد وارتقاب الأسواق ويسمى هذا«تجارة»هذه وجوه المعاش والاكتساب»[1]، فما عليك أيها المتعطل إلا أن تبتغي الرزق في هذه الوجوه قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[الملك:١٥]. فإن في تنوع المكاسب رحمة وتيسير من الله ﷻ على الناس أجمعين خلقه.

أصول المكاسب في الإسلام:

لقد بين الإسلام أن الاكتساب له أصول، وكل الأعمال تدخل ضمن أصول هذه المكاسب يبتغي المتعطل رزقه منها، وهي: الزراعة والصناعة والتجارة وإن اعتبر الصيد من أصول المكاسب؛ فهو داخل ضمن الصناعة أو التجارة.

وإن اعتبرت الأعمال الفكرية، كالتدريس والتعليم من المكاسب، فإنها تدخل ضمن الصناعة توسعًا في معنى الصناعة والمهن التي تعتمد على القدرات العقلية.

وسوف يتناول البحث هذه المكاسب، ومدى كونها تعالج البطالة مهما ازدادت أعدادها تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[فصلت:١٠]. وقبل أن أشرع في بيان المكاسب الأساسية؛ فلا بد من معرفة شروط الكسب العامة حيث إن شروط الكسب تمثل العنصر الفارق بين الكسب الحلال والحرام، فما هي شروط الكسب؟

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، التوفيقية ص٤٢٤، الإمام الماوردي، أدب الدنيا والدين ٢٥٥، دكتور يوسف القرضاوي الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، ص ١١٢.

شروط الكسب في الإسلام:

إن الإسلام يدعو إلى الكسب والتحصيل، سواءٌ كان ذلك عن طريق الزراعة، أم الصناعة، أم التجارة، أم أي وسيلة من الوسائل المشروعة، وكل ما شرطه الإسلام فيما يتصل بالكسب شرطان:

الأول: ألا يلهي عن حق من حقوق الله ﷻ، ولا يصرف عن القيم الخلقية الصالحة، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾[المنافقون:٩]. فإذا ألهى العمل والكسب عن أداء فرض واجب من فرائض الدين، فإنه يوقف حتى يؤدي فرض الدين.

الثاني: أن يكون الكسب عن طريق مشروع، كي لا يضار الأفراد، ولا الجماعات، ولا يخل بالقانون العام، قال أحد العلماء:« ومن ثم فقد حرم الإسلام كل ما فيه ضرر بالفرد والمجتمع، وكل ما يخل بالأعراف العامة »[1]، ومن هنا حرم الإسلام الربا، والغش، والرشوة، والاحتكار، والميسر، والتطفيف في الكيل والميزان، والسرقة وغير ذلك وجماع ذلك قوله الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء:٢٩]. والمكاسب وإن كان لها أصول إلا أنها قابلة للتجديد والاختراع بمعنى أنه يمكن للإنسان أن يحقق للبشرية مصلحة تبلغ فيها حاجتها مبلغها.

وبعد أن يتعرف الفرد على الشروط العامة للكسب نشرع في بيان المكاسب والأعمال الأصلية التي يمارسها الإنسان ليخرج من بطالته، بل ويتفرع منها العديد من الأعمال الأخرى.

المطلب الثاني: (الزراعة وسيلة علاج ومواجهة للبطالة):

إن الإسلام الحنيف قد رفع شأن العمل حينما أمر به، وجعله سببًا لإعمار الأرض، وجعله مما يبتغي فيه الإنسان الأجر في الآخرة، مع العيشة الكريمة في الدنيا ، ومن خلال

---

(١) الشيخ سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، دار الفتح، العاشرة سنة ٢٠٠٠، ص ١٠٨.

المجالات العامة للكسب وما تفرع عنها يستطيع الباحث أن يتعرف على التدابير الإسلامية التي شرعت للتوسع في أعمال الخلق.

لقد تنوع الكسب في القرآن الكريم؛ فلم يكن في جهة واحدة، بل تعددت جهاته، وهذا التنوع يدل على انسجام التشريع الإسلامي مع اختلاف طبائع الناس؛ فالمكاسب لها أصول دل عليها دين الإسلام الحنيف، قال الله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[فصلت:١٠]. فالله جعل في الأرض أقوات العباد مركوزة فيها مهيأة بها، ولم يبق غير البحث عنها مع التنقيب عن مواردها؛ وقد سأل الله ﷻ، هؤلاء المتعطلين الذين لم يجدوا الوظائف التي يرضونها لأنفسهم هذا السؤال الذي يدفع المتعطل إلى استنفاد كل ما فيه من قوى ورادات فقال الله محفزًا على طلب الكسب الطبيعي:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾[المرسلات:٢٥،٢٦]. وها استفهام تقريري حتى يقر كل إنسان بهذه المنة الربانية، حيث خلقنا وخلق لنا أسباب حياتنا كذلك وفى التفسير:« إن الكفت هو الضم والجمع، والمعنى: ألم نجعل الأرض ضامة للأحياء على ظهرها والأموات في باطنها تضمهم وتجمعهم» [١]، قال الشعبي:«بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم، وكذا قال مجاهد وقتادة»[٢].

وإذا كان بعض أصحاب الإمام الشافعي ومالك قد ذهبوا على قطع يد النباش [٣]، بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتًا للأموات فكان بطنها حرزًا لهم [٤]؛ فإنه يستدل أيضا على معصية المتعطل في حق نفسه ومجتمعه إذا قعد ولم يبحث عن كسب يعمله بأن الله تعالى جعل

---

(١) الإمام الشوكاني، فتح القدير، تحقيق دكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء الثانية ١٩٩٧ (٥/ ٤٧٤)

(٢) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسر القرآن، دار الحديث ١٩٨٧، ٢٩ / ١٤٥ مجلد ١٢، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٦٠)، الزمخشري الكشاف، (٤/ ٢٠٤).

(٣) النَّبَّاشُ: هو من يسرق أكفان الموتى من المقابر.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق دكتور محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، سنة ٢٠٠٢، (٦/ ٥٢٣)، المجلد الثالث.

الأرض كفاتًا للأحياء وقدر فيها أقواتها للعباد والبلاد وفى مختلف أنشطة الكسب المختلفة من زراعة، وصناعة، وتجارة، وصيد، وسفر في أرض الله الواسعة، وكلما كانت الحاجة الداعية للعمل أقوى كانت البطالة أشد إثمًا، وأقوى جرمًا من الفرد المتعطل في حق نفسه وأهله وولده، ومن يعول.

إن الزراعة من أوسع الأنشطة الاقتصادية التي يقوم بها الإنسان على سطح الأرض ومن علماء الجغرافيا من أهل الاختصاص من أفاد بأنه:« يشتغل بالزراعة في العالم الإسلامي ٧٠٪ من مجموع القوى العاملة، والأرض لا تعطى هؤلاء المزارعين إلا القدر اليسير فالزراع أكثر نسبة من إنتاج الأرض، لهذا كان على الدول الإسلامية أن تفتح أبوابا جديدة للعمل لتمتص هذه الأعداد من المتعطلين» [1]، إما باستصلاح الأراضي وتوزيعها على الشباب الخريج، وإما بإحياء وإعمار الأرض الموات بأوجه التعمير المختلفة.

كما بيّن علماء جغرافية العالم الإسلامي أن:« الرقعة المزروعة في دول العالم الإسلامي تبلغ ١٩٠ مليون هكتار وهى لا تشكل إلا القدر اليسير من مساحة الدول الإسلامية لأن الغالبية من أراضيها صحراء فالأرض المزروعة في مصر ٣٪ من مساحتها، ونفس هذه النسبة توجد في تونس والجزائر والنيجر وتشاد والأردن، ونسبة الأرض المزروعة في السعودية ١٪ من مساحتها، ونفس هذه النسبة في اليمن وليبيا والصومال.

أما الأرض القابلة للزراعة ولكنها لا تزرع نتيجة لنقص في مياه الري أو لعجز الشعوب الإسلامية ماليًّا عن الإنفاق على إحياء مواتها وعمارتها، وزراعتها فتبلغ مساحتها ٦٠٠ مليون هكتار » [2]، مثل هذه الأراضي لو استغلت فإنها تفتح آلافًا من فرص العمل لأعداد من المتعطلين، كما تسد الفجوة في الغذاء.

كما بين العلماء أن:« المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز يمثل قطاع الزراعة بالنسبة لهم أهمية كبرى حيث يستخدم ما يقرب من ٤٠٪ من الأيدي العاملة ، والعاملون في القطاع

---

(١) دكتور محمود أبوا لعلا، جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، دار الفلاح، الكويت، ص ٢٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٤.

الزراعي أما إنهم يعملون في المؤسسات الحكومية الزراعية أو يعملون في جمعيات تشبه الجمعيات التعاونية الزراعية ولا شك أن هذا القطاع قد تأثر بالنظام الاقتصادي الاشتراكي مما عوق من التوسع الزراعي في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز في المجال الزراعي »[1].

الزراعة أصل الأعمال:

إن الزراعة أصل في مجالات الكسب والعمل نبه إليها القرآن في العديد من آياته ولأنها مورد الرزق والقوت الأول للإنسان والحيوان فقد كثر الحديث القرآني عن الزراعة فقال الله ﷻ : ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الشعراء:١٤٨]. وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥]. وقال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[يس:٣٣-٣٦].
وفي تلك الآيات دلالات على أن الزراعة مجال كسب وعمل؛ فهذا مقام تعديد نعم الله على الإنسان وبخاصة المتعطل حتى ينظر هذا المجال الذي يسره الله ﷻ له، فيخرج منه قوته وقوت عياله.

الدلالة الأولى: في قوله: ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[يس:٣٣] حيث أحيا الله الأرض بالنبات، وأخرج منها الحبوب التي يأكلونها وتقديم «مِنْهُ» للدلالة على أن الحَبَّ معظم ما يقوم به معاش الإنسان، وإذا قل جاء القحط ووقع الضر، قال الأصفهاني: « الزرع هو الإنبات وحقيقة ذلك لله ﷻ ؛ لأن الله نسب الحرث إلى البشر والزرع إليه »[2].

---

(١) الأستاذ مصطفى دسوقي كسبه، المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ٢٥٢، وقائع المؤتمر المنعقد تحت هذا العنوان الذي نظمه مركز الاقتصاد الإسلامي، بجامعة الأزهر، سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، الكتب العلمية، بيروت لبنان، بلا تاريخ، ص ٢١٢.

الدلالة الثانية: والذي يفيد في معرفة أن الزراعة مجال عمل الإنسان المتعطل، قوله: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[يس:٣٥]. قال الزمخشري: « فإن الذي عملت أيدي المزارعين من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه يعنى أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه، وفيه آثار من كد بني آدم »[1]، و ذلك على اعتبار أن «ما » في قوله «وما عملته أيديهم» موصولة بمعنى «الذي» وهذا يدل على أن الزراعة مجال تتعدد فيه الأعمال التي تتطلب الكثير من الأيدي العاملة وهذا ما دلت عليه صيغة الجمع في «أيديهم» مع مقابلة جمع الأيدي مع ضمير الغائب؛ وهو جمع أيضا، والقاعدة «مقابلة الجمع بالجمع تقتضى مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من ذاك»[2]، أي لابد أن يشتغل كل صاحب يد فيعمل بيديه ولا يعطل طاقته، ومجال عمله هذه الأرض التي سهلها الله لكل زارع يخرج ما فيها من خيرات وثمرات قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾[الرحمن:١٠-١٣]. فتعديد ما يخرج من الأرض ليس فارغًا من الحكمة لكن لينظر هذا المتعطل وينتقي ما يزرع من النبات سريع الحصاد، كالحب من قمح وشعير وذرة، أو يزرع شجر ينتظر ثمره سنين، كالأكمام للنخل[3]، أو أشجار الفواكه أو يزرع الريحان، وغير خافٍ أن الزراعة للحَبِّ هي لضرورة الحياة من الغذاء الأساسي والأولى لحياة الإنسان، وأن زراعة الريحان أو كل ما فيه رائحة طيبة «نباتات الزينة» هي كماليات يطلبها عدد قليل من الناس فهذه الآيات من سورة الرحمن أوضحت الزراعات الضرورية في زراعة الحب الذي به تحقق أقوات العباد، والتحسينية في غرس أشجار الفواكه والنخيل، والكمالية في زراعة نباتات الزينة والعطور كالريحان، فهناك فرق كبير بين الغرس والزرع، لذلك سوف أفصّل الحديث عن الزرع ثم الغرس وبيان دور كل منهما في علاج البطالة.

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الفكر بدون تاريخ، ٣/ ٣٢٢.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار التراث، تحقيق دكتور محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢/ ٣٠٥.

(٣) الأكمام: جمع كِم وهى أوعية التمر أو كل ما يغطى من ليف وسعف،انظر تفسير البيضاوي ٢/ ٤٥٢.

أولا: دور الزرع في علاج البطالة الاختيارية:

أما زراعة النبات وهي تمتاز بسرعة الحصاد من بدء العمل فيه، وتكرار الحصاد في العام أكثر من مرة، ووفرة الإنتاج، ومضاعفته وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك في كتابه الكريم، فقال: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة:٢٦١]. فالله سبحانه يسر للإنسان هذا الأمر حينما أنزل من السماء ماءً وبسط الأرض ويسرها للإنبات قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾[الأنعام:٩٩]. وقال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[السجدة:٢٧]. والأرض الجرز هي التي قطع نباتها وأزيل وتم حصاده، يعود العامل المرة تلو الأخرى لحرث الأرض وزراعتها مما يؤدى إلى دوام العمل في هذا المجال الزراعي في العام كله، وفى تلك الإشارة القرآنية إلى الأرض الجرز تنبيه إلى أصحاب الأعمال الزراعية – من يتعطلوا بعد موسم الحصاد – لأن يشرعوا في زراعة أخرى.

ولا يخفى أن هذا النوع من الزراعة يعالج القرآن به هذه المشكلة إذ تتصف بالعمل الدائم غير المنقطع ولذلك كان نبي الله يوسف عليه السلام، يقول معبرًا عن ذلك المعنى فيما أخبر القرآن المجيد: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾[يوسف:٤٧]. فالعمل الزراعي الدءوب الذي لا ينقطع يحقق دوام العمل للفرد المتعطل كما يتحقق منه الأمن الغذائي في السنوات لجميع أفراد المجتمع الإسلامي[1].

كما أن الزراعة يتحقق بها الحفاظ على معايش الناس، وهذا مطلب كل المتعطلين فلا خلاف أن الهدف الأساسي من طلب العمل الحصول على قوام من العيش، والعمل في الزراعة يحقق ذلك، بل ويبنى عليها العديد من الأعمال الأخرى المتعلقة بها مثل التجارات في الأسواق قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) دكتور عبد الهادي على النجار، الإسلام والاقتصاد، عالم المعرفة، ص٢٢٣.

﴿مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾[الحجر:١٩-٢٠]. فإن الزراعة لكل شيء موزون ترتب عليه إقامة الأسواق، التي يتجر فيها الناس، والمعايش في الزراعة وما ترتب عليها منة من المنن التي يبينها القرآن الكريم لكل متعطل لينظر إلى وجوه المكاسب وصنوف المعايش التي بها يتحقق إشباع الحاجات الأساسية وقد نبه ابن كثير على ذلك فقال: « ففي كل ذلك تنبيه إلهي للإنسان المتعطل إلى نعمة الزراعة وتيسير وسائلها له »[1]، فإذا قرأ المتعطل قوله الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾[الزمر:٢١]. سرعان ما يتوصل بخاطره إلى معرفة هذا المجال الذي تنوع لونه، وتعدد نوعه، واختلف وصفه وكثر العمل فيه.

ثانيا: دور الغرس في علاج البطالة:

وقد أشار القرآن الكريم إلى غرس الأشجار حيث تنعم البلاد بالأقوات والأرزاق فقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[النمل:٦٠]. هذا مجال زراعة أشجار الفواكه وهو من الزراعات التي تتسم باستدامة الإنتاج كل عام إن شاء الله تعالى الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات.

ولقد تنوعت الزراعة من حيث المنزرع على لسان رسول الله ﷺ، في الحديث النبوي حيث قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[2]؛ والحديث الشريف ظاهر يدل على فضل الغرس للأشجار حيث قدمه في الذكر وبالأخص إذا تعرفنا على سبب ورود الحديث وهو «أن النبي دخل نخلًا لأم مبشِّر – امرأة من الأنصار – فقال رسول الله ﷺ من غرس هذا النخل أمسلم أم

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ٢/ ٥٤٨

(٢) رواه البخاري كتاب البيع، باب فضل الزرع والغرس، ٢/ ٤٥، واللفظ للبخاري، ومسلم كتاب المساقاة والمزارعة، باب فضل الغرس والزرع ١٠/ ٢١٥.

كافر؟ قالوا مسلم فقال: لا يغرس مسلم » الحديث [1]، فهذا تنوع في الزراعة من بين غرس للأشجار وزرع للأقوات والنباتات.

١- دلالة الحديث:

الأولى: الفرق بين الغرس والزرع قال الفيومي:« إن الزرع ما استنبت بالبذر تسمية بالمصدر، قال بعضهم ولا يسمى زرعًا إلا وهو غض طري » [2]، والثانية: دلالة «أو» في قوله: «أو يزرع زرعًا» تفيد التنويع فيفيد ذلك أن الزرع مغاير للغرس، كما أن الأجر يحصل لمتعاطي الزرع والغرس ولو كان في ملك غيره لأنه أضاف النخل لأم مبشر ثم سألها عمن غرسه، الثالثة: دلالة النكرة في قوله «ما من مسلم» على العموم لوقوع النكرة في سياق النفي، والمعنى أي مسلم كان، لذلك ففي الحديث الحض والحث للمسلمين على الزرع والغرس، وخاصة المتعطلين منهم من لا يجدون العمل الذي يتكسبون به أقواتهم، الرابعة: دلالة الوصف بالإسلام للغلبة، وإلا فإن البشرية مخاطبة بعين هذه المعاني الغاليات.

وظهر موقف الخلفاء الراشدين ﷺ من الأرض؛ فأخذوا يعملون على عمارتها؛ فهيئوا زراعتها ليشتغل الناس بها، وما أخرجوا أحد المزارعين – من أهل البلاد التي افتتحوها – من أرضه؛ إنما أقروا الأرض لأصحابها مع وضع الخراج عليها، والجزية على أصحابها، وعظم الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من الولاة من دور الزراعة في تشغيل أفراد المجتمع، وقد سبق ما فعله عمر رضي الله عنه من وسائل سديدة في إصلاح الأرض وحفظها، وما يسجله التاريخ في ذلك ما قاله الإمام علي عليه السلام للأشتر النخعي في وثيقة طويلة جمعت أشتات الحرف والمكاسب والأعمال مع نصيحة له، وهو أحد عماله:« ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة » [3]، وقال كذلك الإمام علي رضي الله عنه للأشتر النخعي:« ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد » [4].

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي (١٠/ ص ٢١٥).

(٢) الفيومي المصباح المنير مادة (زرع) ص ١٥٣.

(٣) الإمام علي، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، مؤسسة المعارف بيروت ص٦٣٥.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ولقد شهد أحد المستشرقين للخلفاء المسلمين – على مدار تاريخ التحضر الإسلامي – بعمارة الأرض والرعاية لها، وتجديد نظم الري، فقال: «لقد نالت الزراعة العلمية رعاية وافرة من الخلفاء فتجدد نظام الري القديم الذي جعل من بين النهرين «دجلة والفرات» في فترة من الفترات، سلة خبز للعالم، واتسع نطاقه حتى غدت ضواحي بغداد أرضًا خصبة للحدائق المثمرة، ووضعت قواعد العدالة وأديرت مرافقها» [1]، فقد أقيمت السدود وحفرت الآبار واستخدم الأجراء في زراعة الأرض.

وهذا يدل على أن الزراعة مجال كسب شرعه الإسلام الحنيف للمسلمين، وقد اعتنى به المسلمون الأوائل فكانوا في وفرة من الأقوات والإنتاج الزراعي، وظهرت عنايتهم في بناء السدود وحفر الآبار وتنظيم وسائل الري، فلم تظهر البطالة، بل وجد القادر المكتسب ما يمارسه من عمل في الأرض بزراعة للأقوات أو غرس للأشجار.

٢ – طرق استغلال الأرض في الإسلام وأثر ذلك في علاج البطالة الاضطرارية:

أولاً: من يملك أرضاً زراعية:

لقد حدد رسول الله ﷺ من خلال طرق معينة أساليب استغلال الأرض الزراعية وعدم تعطلها عن الإنتاج لأن تعطيل الأرض عن الانتفاع بها أحد أسباب البطالة كما سبق، والأرض أحد الموارد الطبيعية التي ينتج الإنسان منها قوته ورزقه وكسبه، فإن في الأرض آيات ومنافع للمتعطلين وفى الحديث المرفوع الصحيح أنه: كان لرجال فضول أرضين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من كانت له فضل أرض فليزرعها أو ليمنحها خاه، فإن أبى فليمسك أرضه» [2]، ومن خلال هذا الحديث نستطيع التعرف على بعض الطرق التي يمكن استغلال الأرض من خلالها.

---

(١) ستانوود كب، المسلمون في تأريخ الحضارة، ترجمة محمد فتحي عثمان دار السعودية الثانية سنة ١٩٨٠ م، ص٣٧، دكتور حبيب الجنحاني، المجتمع العربي، ص ٥٧.

(٢) أخرجه مسلم كتاب البيوع، باب كراء الأرض، ١٠/ ١٩٧.

الطريقة الأولى:

أن يزرع المسلم الأرض التي يملكها بنفسه، أو يغرس فيها أشجارًا ويتولى رعايتها حتى توفى أكُلها وهذا مجال عمل صالح ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة كما دل عليه قول النبي ﷺ: «فيأكل منه إنسان أو بهيمة أو طير إلا كان له به صدقة»[1]، فلاشك أن تعطيل الأرض المملوكة مشكلة كبرى تخالف سنة الاستخلاف الإنساني.

وكان معظم أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يزرعون أرضهم ويقومون عليها بأنفسهم فهذا قول الرسول «فليزرعها»، والأمر للوجوب خاصة إذا كانت الزراعة لإنتاج أقوات العباد، أو لتأمين حاجة المجتمع للغذاء.

الطريقة الثانية:

ألا يتمكن المسلم من زراعة الأرض التي يملكها إما لضعف أو مرض أو قلة دراية بكيفية الحراثة، فيعيرها من يقدر على زراعتها بآلته وبذره وأعوانه ولا يأخذ المالك ممن يزرعها أجرًا، ويكون ذلك على سبيل فعل الخير والتعاون فيما بين الناس وخاصة إذا كانت إعارة الأرض لجماعة من شباب الأمة الذين يرغبون في العمل ولا يجدونه إعمالًا لقول الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾[المائدة:٢].

وإعارة الأرض ليس على سبيل الوجوب بل الندب والاستحباب ويدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ما كنا نرى بالمزارعة بأسا حتى سمعت رافع بن خديج رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ نهى عنها، فذكرته لطاووس فقال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ لم ينه عنها، ولكن قال: «لأنْ يمنح أحدُكم أرضَه خيرٌ من أن يأخذ عليها خراجًا معلومًا»[2]، وهذه طريقة مثلى في علاج البطالة من خلال إعارة ومنح الرجل أرضه – وهي ملكه لكنه

(١) أخرجه مسلم كتاب البيوع، ١٠/ ٢١٥.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب البيوع، باب في المزارعة ٣/ ٢٥٥، الحديث رقم ٣٣٨٩.

غير مستغل لها - لمن يزرعها، وهذا لا يخرج عين الأرض عن ملكية صاحبها بل القصد تشغيلها بطريقة أخرى شرعها الإسلام وفق مقصد التعاون والتواصي بالحق.

الطريقة الثالثة:

عقد المزارعة وهي أن يعطى صاحب الأرض أرضه لمن يزرعها بآلة المالك وبذره وحيوانه على أن تكون له نِسبة محددة مما يخرج من الأرض وفق اتفاقهما «ثلث الخارج أو نصفه أو ربعه» ويجوز أن يساعد العامل بالبذر، أو به وبآلته، أو بآلته وحيوانه، والمزارعة المنهي عنها هي التي بها جهالة تقضى إلى النزاع التي يشترط فيها على الزارع أن يكون له ربع مساحة معينة أو مقدار معين من القلة وقد يطلق على هذه الصورة مخابرة إذا كان البذر من العامل. وفى الأثر أنه: ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والربع، وزارع علي رضي الله عنه وسعد ابن مالك رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وآل أبى بكر رضي الله عنه وآل عمر رضي الله عنه وآل علي رضي الله عنه، وعامل عمر الناس على أنه: «إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا»[(1)]، وهذه صورة من صور المزارعة التي رآها الفاروق يدل على مشروعيتها.

وقد ورد في السنة «أن النبي ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع»[(2)]، وبهذا الحديث يحتج من أجاز المزارعة بهذه الطريقة، وأرى أنها إحدى وسائل الإسلام لعلاج البطالة، وأنها إحدى طرق استغلال الأرض الزراعية؛ فلا تتعطل حتى يتحقق عمل العديد من العمال الزراعيين يرفعوا عنهم البطالة، وقد أوضح الإمام النووي رضي الله عنه: « أن المزارعة بهذه الطريقة، قال بجوازها الشافعي رضي الله عنه تبعًا للمساقاة، وإن كانت المزارعة عند الشافعيين لا تجوز منفردة، فتجوز تبعًا للمساقاة فيساقيه على النخل، ويزارعه على الأرض، كما جرى في خيبر، وقال ابن أبى ليلى، وأبو يوسف، ومحمد، وسائر الكوفيين، وفقهاء المحدثين، وأحمد، وآخرون تجوز المساقاة والمزارعة مجتمعين، وتجوز كل

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب المزارعة بالشطر، ٢/ ٤٦.

(٢) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري ٢/ ٤٦، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

واحدة منهما منفردة وهذا هو الظاهر المختار لحديث خيبر »[1]، فالمزارعة عقد اتفق على مشروعيته الصحابة والتابعين والعلماء العاملين، وهي تشغل المتعطل بالزراعة التي هي أصل المكاسب.

هذه إحدى الطرائق التي يكتسب بها المتعطل من خلال الغرس والزرع التي سار عليها سلف الأمة الصالح في حالة ما لم يتمكن صاحب الأرض من استغلالها، وتدل هذه الطريقة على أن العمل الزراعي يحتاج إلى الأيدي العاملة الكثيرة الماهرة والفنية كما يحتاج إلى الأموال التي تنفق في هذا المجال ففي حديث ابن عمر ﷺ، عن رسول الله ﷺ دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها على أن يعتملوها من أموالهم ولرسول الله ﷺ شطر ثمرها، وفى ذلك بيان لوظيفة عامل المساقاة وهو أن عليه كل ما يحتاج إليه في إصلاح الثمر واستزادته مما يتكرر كل سنة كالسقي، وتنقية الأنهار، وإصلاح منابت الشجر، وتلقيحه، وتنحية الحشيش عنه، وحفظ الثمرة وجذاذها»[2].

الطريقة الرابعة:

الإجارة أن يعطى صاحب الأرض أرضه لمن يزرعها على أن يكون للمالك أجر نقدي معلوم، وقد أجاز هذه الطريقة كثير من الأئمة والفقهاء مستدلين ببعض الأحاديث والآثار وقد منعها آخرون مستدلين إلى ما صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن كراء الأرض جملة ، ولكن النهى كان لما فيه من الغبن الفاحش.

ودليل المجيزين الحديث الصحيح، فلما سئل الصحابي رافع بن خديج رضي الله عنه عن كراء الأرض بالذهب والورق فقال: «لا بأس به إنما كان الناس يؤاجرون على عهد النبي ﷺ على الماذيانات[3]، وإقبال الجداول وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك

---

(١) الإمام النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٠/ ٢١٠.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/ ٢١١، الإمام مالك الموطأ، عيسى الحلبي، سنة ١٩٥١ م ٢/ ٩٩، دكتور يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٤٦.

(٣) الماذيانات: بذال معجمة مكسورة ثم ياء مثناه ثم ألف ثم نون ثم ألف ثم مثناه فوق هي مسايل المياه، وقيل ما ينبت على حافتي مسيل الماء، وقيل ما ينبت حول السواقي، شرح النووي، ١٠/ ١٩٨، الخامس.

هذا فلم يكن للناس كراء إلا هذا فلذلك زجر عنه فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس به»[1]، فإجارة الأرض على الأجر النقدي المعلوم لا بأس بها فبذلك يجوز الجمع بين القولين[2].

إن هذه من وجوه الاستغلال والانتفاع بالأرض الزراعية في الإسلام حث الشرع على زراعتها ومع أن الأيدي العاملة في مجال الزراعة في انتقاص متزايد مع حاجة هذا المجال إلى العمالة وذلك بسبب قلة الأجور، ومشقة العمل في هذا المجال والاستغناء بالميكنة عن الأيدي البشرية في بعض البلدان المتقدمة، ولكن تبقى الزراعة أصل من أصول المكاسب التي شرعها الإسلام الحنيف لعمل المتعطلين لشدة حاجة المجتمع البشرى إلى العمل الزراعي.

ثانيا: إحياء الموات من الأرض

إن نظرة الإسلام الحنيف للأرض السواد على أنها مورد أساسي من الموارد الطبيعية، وتصوره لها على أنها مجال العمل الرئيسي والعنصر الأساسي في الانتفاع لافتتاح مجالات كسب أخرى من خلالها، لذا اعتبر الإسلام الأصل فيها هو إحياء مواتها وعمارتها من خلال إحياء موات الأرض التي لم تُعَمَّر.

وحجة الفقهاء في إحياء الموات حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «من عمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق» قال عروة رضي الله عنه: قضى به عمر رضي الله عنه في خلافته[3]، وقد أوضح أبو يوسف أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان يقول: «من أحيا أرضًا مواتًا فهي له إذا أجازه الإمام، ومن أحيا أرضًا مواتًا بغير إذن الإمام فليست له، وللإمام أن يخرجها من يده ويصنع فيها ما رأى من الإجارة والإقطاع وغير ذلك»[4]، وفرَّق الشيخ أحمد الدرديري[5]، بين إحياء الأرض القريبة والبعيدة فقال:« وافتقر إن قرب للعمران لإذن الإمام، وإن أحيا الرجل فيما قرب بغير إذن

---

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب البيوع، باب كراء الأرض (١٠/ ٢٠٦).

(٢) الأستاذ حمزة ألجميعي، عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي، ص٣٣٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب من أحيا أرضاً مواتا فهي له، (٢/ ٤٨).

(٤) أبو يوسف، الخراج، فصل في موات الأرض، ص ٦٤.

(٥) الشيخ أحمد الدرديري: من متأخري فقهاء المذهب المالكي.

الإمام، فللإمام إمضاؤه له فيملكه، أو جعله متعديا فيرد الأرض للمسلمين بخلاف إحياء البعيد فلا يفتقر لإذن الإمام »[1]، وقد اعترض يحيى بن آدم رَحِمَهُ اللهُ على اشتراط إذن الإمام فقال:« وقد جاءت الآثار وليس في الحديث إذن الإمام »[2].

وقد جمع القاضي أبو يوسف بين المذاهب مبينًا أن إذن الإمام فَصْلٌ فيما بين الناس من الخصومات، وإقرار بعضهم ببعض فيقول: «وأرى إذا لم يكن فيه ضرر على أحد، ولا لأحد فيه خصومة فإن إذن رسول الله ﷺ جائز إلى يوم القيامة[3]، أي من خلال حديثه السابق «من أحيا أرضًا مواتًا فهو أحق»، فإذا جاء الضرر والخصومة فهي على الحديث «وليس لعرق ظالم حق»[4]، فهذا الجمع بين الأقوال يَنُمُّ عن فقه القاضي أبي يوسف وهو أكثر ملائمة مع طبيعة الاجتماع الإنساني حيث تختلف إرادات الناس ومصالحهم؛ فلابد لهم من ضابط يضبطون به هذه التعديات والاختلافات، ومادام إذن الإمام مطلوبًا فإن هذا يدل على أن علاج البطالة موقوف على حسن تصرف ولاة الأمور في الأرض التي استخلفوا فيها لأن الأرض مورد أساسي للعمل الإنساني.

إن الأرض المملوكة للمجتمع الإسلامي ملكًا عامًّا، ليس لأحد فيها ملك خاص فالدولة الإسلامية إذا كانت عاجزة عن تعميرها كلها بنفسها جاز للأفراد أن يعمروها، خدمة لأنفسهم وخدمة للاقتصاد العام وتشغيلًا للمتعطلين الذين افتقدوا العمل مع رغبتهم فيه وهذا مناسب مع المقصد التشريعي العام من استخلاف الإنسان في أرض الله فيعمرها،

---

(١) الإمام أحمد الدرديري، الشرح الصغير، الإدارة العامة، للمعاهد الأزهرية١٩٨٥، (٣/ ٣٣٥).

(٢) يحيى بن آدم الخراج، المعرفة، بيروت، لبنان، ص ٨٩.

(٣) وذلك من خلال العموم المفهوم من لفظ (من أحيا) وهي صيغة تفيد العموم، فالأمر مشروع ومفتوح إلى يوم القيامة ولم يظهر ما يقيده لا زماناً ولا مكاناً اللهم إلا أرض الحرم، وما هو واقع في ملكية خاصة.

(٤) أبو يوسف الخراج، دار المعرفة بيروت، ص٦٤، وأخرجه مالك في الموطأ، (٢/ ١٢١)، وأخرجه أبو داود، كتاب الخراج، باب إحياء الموات (٣/ ١٧٤) رقم ٣٠٧٣، قال ابن حجر: وفى أسانيد الحديث مقال ولكن يتقوى بعضها ببعض، فتح الباري (٥/ ٢٤).

حيث لم يتيسر له ما يكتسبه في العمران فيسعى إلى إعمار الأرض الموات توسعًا في الأعمال من خلال التوسع في العمران قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[يس:٣٣]. وقال الله ﷻ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[هود:٦١].

إن هذا التشريع يدل على أن الإسلام الحنيف يحث المسلم على إصلاح الفاسد وإعمار الخراب من خلال المورد الأساسي للكسب والإنتاج ، هذا المورد هو الأرض وفي ذلك علاج لمشكلتين في آن واحد مشكلة البطالة من خلال التوسع في أعمال الإعمار وهي تحتاج الأيدي العاملة الكثيفة، ومشكلة سد الفجوة الغذائية ؛ فإن الزيادة السريعة في قوة العمل وأعداد المتعطلين كما أن العجز الغذائي عوامل هامة دافعة إلى الانتفاع بالأرض أيا كان وجه الانتفاع بها زراعة أو صناعة بإعمارها وإحياء مواتها. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٥]. وقال جل شأنه: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧].

أوجه إعمار الأرض:

إن إعمار الأرض يكون بأحد أمور عدة أوضحها الشيخ أحمد الدرديري فيما يلي:

١- بتفجير ماء لبئر أو عين فتملك به الأرض لأن الماء أصل الحياة قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء:٣٠].

٢- وبإزالة الماء من الأرض لو كانت غامرة به لتصلح للعمارة.

٣-وبناء بالأرض كدار سكني .

٤- وغرس شجر بها.

٥-حرث الأرض وتهيئتها للزراعة قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾[الواقعة:٦٣،٦٤].

٦- قطع شجر بنية وضع يده عليها وتعميرها.

٧- كسر حجرها مع تسوية الأرض [١].

ولا يخفي أن أوجه الإحياء مما يعود إلى عرف الناس؛ لأن الإحياء ما كان في العرف والعادة عمارة، فهذا باب تشريعي في الإسلام يساعد على تشغيل المتعطلين خاصة إذا ناسب ولى الأمر بين حجم العمل في الأرض، الموات وبين الطاقة البشرية ولو من خلال إقطاع الأرض فللإمام إقطاع الأرض الموات بدليل إقطاع النبي ﷺ لأصحابه وذلك لإحداث التوازن بين الطاقة البشرية وحجم العمل ففي الحديث الشريف: «أن النبي ﷺ دعا الأنصار ليقطع لهم بالبحرين فقالوا يا رسول الله إن فعلت فاكتب لإخواننا من قريش بمثلها فلم يكن ذلك عند النبي ﷺ فقال إنكم سترون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوني» [٢].

التوازن بين الطاقة البشرية وحجم العمل

إن أظهر صور هذا التوازن حيث يكون من خلال إحياء موات الأرض في الإسلام حيث إن إحياء موات الأرض هو تعميرها بأي وجه من وجوه التعمير ، حتى يتسع العمران، فتزداد الأعمال اللازمة له. وهذا التشريع الذي شرعه النبي ﷺ، يدل على مدى نظرة الإسلام الموضوعية لمشكلة البطالة مع واقعية العلاج، فلقد نظر الإسلام إلى الطاقة البشرية فإذا زادت على حجم العمل حث على التوسع في إحياء الأرض الموات ، حتى تكتفي الطاقة البشرية، فقد حقق الإسلام هذه المعادلة بين الطاقة البشرية وحجم العمل في توازن تام، بذلك يغلق أحد أسباب البطالة.

---

(١) الإمام أحمد الدرديري، الشرح الصغير (٣/ ٣٣٢)، السيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، دار الفتح، العاشرة، ٢٠٠١، ص ١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المساقاة، باب كتابة القطائع، ٢ / ٥٤، أبو عبيد، الأموال باب الإقطاع، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص ٢٨٦.

والحكمة التشريعية من إحياء الموات تعمير اكبر مساحة من الأرض، وتشغيل المتعطلين الذين ضاقت بهم المدن الكبرى، فيأخذون على عاتقهم التوسع في العمران الذي ينشأ عنه العديد من فرص العمل، والحديث السابق قد نص على ذلك بأسلوب الشرط والجزاء ففي رواية جاء نصه «من أحيا أرضًا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق»[1]، فكلمة «أحيا» تدل على أن الغرض هو التعمير والإحياء، والصيغة الشرطية تدل على أنه إذا تحقق الشرط تحقق الجزاء – والمراد به الأحقية بملكية رقبة الأرض ، وإذا تخلف الشرط والمراد به التعمير والإحياء للأرض، تخلف الجزاء؛ فالحكمة التشريعية إذن هي التعمير وإحياء موات الأرض، قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[يس:٣٣-٣٥].

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى الناس يضعون أيديهم على الأرض، ويقيمون الأسوار بالأحجار حولها، ثم يتركونها بلا إحياء أو تعمير، ولا يدعون غيرهم يعمرها وينتفع من خيراتها بالإحياء لمواتها، فقال رضي الله عنه: «من أحيا أرضا ميتة فهي له وليس لمحتجر حق بعد ثلاث»[2]، قال يحيى بن آدم رضي الله عنه: «جعل عمر بن الخطاب التحجير ثلاث سنين فإن تركها حتى تمضي ثلاث سنين فأحياها غيره فهو أحق بها»[3]، فقد رأى الفاروق أن الأرض مملوكة للمسلمين، فليس من الصواب أن تبقى معطلة في يد من أقام عليها الجدر، بل الصواب أن

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الأقضية، باب القضاء في عمارة الموات، ٢/ ١٢١، وأورده أبو يوسف في الخراج، ص٦٤، وأورده يحيى بن آدم، في الخراج، رقم٢٦٨، ص٨٤، وقال مالك: والعرق الظالم كل ما احتفر أو غرس، أو أخذ بغير حق، قال وعلى ذلك الأمر عندنا.

(٢) أبو يوسف، الخراج، بيروت لبنان، ص ٦٥.

(٣) يحيى بن آدم، الخراج، تحقيق دكتور أحمد محمد شاكر، ص٩١، رقم٢٨٨، بإسناد منقطع.

يتخلى المحتجر لغيره عما لا يطيق من تعمير للأرض»[(1)]، فهذا مجال يعمل فيه المتعطل وتعالج به مشكلة البطالة وقد أقره الإسلام الحنيف إذ هو علاج جذري للمشكلة.

إن الزراعة أصل من أصول المكاسب، وقد تفرع عنها الكثير من الأعمال والأشغال ومجالات عدة من مجالات العمل التي يكتسب المتعطل منها قوته، وإشباع حاجاته، يمكن أن ينتفع منها المتعطلون بالبحث والحصول على العمل المناسب ليرفع إصر البطالة، من هذه المجالات التي قد تتسم بالتوسع فيها وتكاثر أعدادها كمًّا ونوعًا وهذا يدعونا للتعرف على البحث عن دور الأعمال الملحقة بالزراعة في تشغيل الأفراد.

٣- دور الأعمال الملحقة بالزراعة في تشغيل الأفراد:

- **تربية الحيوانات النافعة والمنتجة:**

قد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال الله ﷻ، في بيان هذه الأعمال: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل:٥-٨]. فالذي يحرث الأرض بالزراعة، يعمل على تربية الأنعام، من الإبل، البقر، الغنم، الماعز، وهى ثمانية أزواج، مما يترتب على تربيتها صناعة منتجات الألبان وغيرها من أعمال تتسم بالاستمرارية فلن تظهر البطالة الموسمية ولا البطالة المؤقتة قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٢١﴾[المؤمنون:٢١]. كما تربى الحيوانات النافعة الأخرى كالخيل والبغال والحمير التي سخرها الله للإنسان في حمل الأحمال والأثقال عليها، ويركبها ليبلغ حاجته.

---

(١) محمد مُحمد المدني، نظرات في فقه الفاروق، المجلس الأعلى، ٢٠٠٥، ص ١٦٣، دكتور محمد البلتاجي، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، ط مكتبة الشباب، الثانية ١٩٩٨، ص١٩٧، دكتور أحمد مصطفى عبد الله، أصول الاقتصاد الإسلامي، عيسى الحلبي، الأولى ١٩٨٤، ص ١٣١.

- **الصناعات القائمة على الزراعة:**

الصناعات القائمة على الزراعة، مثل صناعة الأخشاب، وصناعة الزيوت والصابون القائمة على زراعة القطن والمستخرج من بذرة القطن، وزيت الزيتون المستخرج من ثمرة الزيتون، وزيت النخيل المستخرج من النخيل قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾[المؤمنون:٢٠].

وصناعة السكر القائمة على نبات البنجر والقصب، وصناعة الورق والخشب، بالإضافة إلى العديد من الصناعات التي تترتب على النباتات والأشجار التي زرعها الإنسان وأفاء الله ﷻ، عليه بها، وصدق الله إذ يقول في محكم التنزيل: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[عبس:٢٥-٣٢]. فهذه كلها مجالات عمل للمتعطل يشير إليها القرآن المجيد حتى ينظر المتعطل إلى ما يناسبه من الأعمال فيقضى على البطالة التي يكابدها، بعض أفراد الأمة.

فهذه هي الزراعة التي أكدها الإسلام، اعتبرها أصل المكاسب من حيث إنها تشمل إشباع الضروريات والحاجيات والكماليات للإنسان، كما تتسم بسرعة الناتج والإثمار، ودوام العمل فيها، فلا ينقطع طوال العام، فحتى البطالة الموسمية لا تصيب المشتغلين في المجال الزراعي، كما تتصف الزراعة بأنها تحقق تشغيل المتعطل سواء أكان من الإنسان أو الأرض فالبطالة للأرض مذمومة شرعًا، ومن أجل ذلك كانت طرق استغلال الأرض لمن يملكها أن يزرعها أو يمنحها أخاه أو يؤاجرها.

وبذلك تعددت طرق تشغيل المتعطل في الأرض، أما المعطل من الأرض فعن طريق إحياء الموات في ضوء الفقه العمري الذي قدمه للمتعطلين حتى لا يعطل الأرض، ويشتغل المتعطلون من الفقراء بالزراعة وفى كل الصناعات القائمة على النباتات والأشجار بالدرجة الأولى، ولولا الزراعة ما ظهرت تلك الصناعات فكل هذه مجالات عمل للمتعطل من أول المكاسب التي شرعها الإسلام للمسلم، وفى هذا علاج للبطالة، فعلى ولاة الأمر في الوطن

الإسلامي أن يحيوا الموات، ويسعوا في استصلاح الأرض، ويقطعوا الأرض للمتعطلين فيكتسبون أقواتهم فتتقدم الأمم ويزدهر العمران الإسلامي بأيدي أبناء الأمة.

وما دام أمر الصناعة مبنيٌّ على الزراعة في بعض ملامح الصناعة فمن المناسب أن يكون ثاني المكاسب في الإسلام متمثلًا في الصناعة والتصنيع.

المطلب الثالث: (الصناعة وسيلة علاج ومواجهة للبطالة):

الصناعة ثاني المكاسب التي شرعها الإسلام الحنيف ليجد المتعطل فيها علاجًا لبطالته، والصناعة سواء فردية كحرفة يحترفها المتعطل، أو جماعية كمهنة في مصنع، تقوم على توفير فرص العمل للمتعطلين فيتم من خلالها توفير العمل لأعداد كثيرة من الشباب الراغب في العمل والقادر عليه فهي مجال يقضي ويقلل نسبة البطالة الظاهرة بل والمقنعة التي تعانيها الدول في العالم الإسلامي وغيره.

وقد أوضح الماوردي أن: « الصناعة تنقسم إلى صناعة فكر، وصناعة عمل، وصناعة مشتركة بين فكر وعمل؛ فأشرف الناس نفسًا متهيئ لأشرف الصناعات نوعًا كما أن أرذلهم نفسًا متهيئ لأرذلها جنسًا؛ فطبع الإنسان يبحث عما يلائمه، وأشرف الصناعات صناعة الفكر وأرذلها صناعة العمل »[(1)]، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الأحقاف:١٩].

موقف الإسلام من الصناعة:

لقد حث الإسلام على الصناعة وشجعها الرسول ﷺ بجميع أنواعها مادامت في مصلحة الناس، وفى مادة غير محرمة شرعًا قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد:٢٥]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[هود:٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾[سبأ:١٠].

---

(١) الإمام الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الريان، الأولى سنة ١٩٨٨، ص ٢٥٨.

والله سبحانه وصف التصنيع الثقيل من خلال آيات الكتاب المجيد التي تحدد كيفية النفع من المعدن فيقول سبحانه: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ [الرعد:١٧]. فهذا تعليم للمتعطل كيف يستفيد من هذه المواد الأولية التي يصنع منها ما ينفعه من حلية أو متاع، وثم يصف القرآن عملية التصنيع نفسها فيقول واصفًا عمل ذي القرنين في السد: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الكهف:٩٦] وذلك لندرك موقف الإسلام من الصناعات الثقيلة المتمثلة في بناء السد على يد ذي القرنين والصناعات الخفيفة متمثلة في صناعة الدروع على يد داود عليه السلام، وفى كل مجال عمل للمتعطل.

دور السنة في تعظيم العمل اليدوي:

وفى السنة الشريفة ما فيها من تشجيع النبي ﷺ، لأصحابه على العمل اليدوي، واحتراف صنعة في اليد خير وأمان من الفقر والتعطل عن العمل والكسب، قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[1].

هذا التشجيع النبوي على تعليم الحرفة قد أتى أكله، إذ كان في أصحاب الرسول ﷺ أصحاب الحرف والصناعات فمنهم الصائغ، والنجار والحداد، والعطار، والحطاب، والجزار، فقد أخبرت أم المؤمنين عائشة -- رضي الله عنها -- عن واقع الصحابة رضي الله عنهم فقالت: «كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم، وكان يكون لهم أرواح فقيل لهم:لو اغتسلتم»[2].

إن العمل اليدوي قد يحتقره الإنسان فيكون ذلك الاحتقار سببًا من أسباب البطالة فقد رفع القرآن شأن العمل اليدوي فهذه آيات القرآن تعبر بما يفيد المدح لصاحب العمل، فيقول

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٢/ ٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، نفس الباب السابق والصفحة.

الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[فاطر:١٠].

إن الله ﷻ لا يضيع عمل العامل، ويتقبله منه، ويأجره عليه الأجر الطيب الحلال فقال عز من قائل: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾[آل عمران:١٩٥]. بل أثنى الله ﷻ على الأجر ما دام هذا الأجر للعامل فقال ﷻ: ﴿ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾[آل عمران:١٣٦] فأي عذر بعد ذلك للإنسان إذا حقر العمل خاصة بعد أن تولى الله رفع شأن العمل الصالح والعمال الصالحين رجالًا ونساءً، وأنه لن يضيع سدى بل يؤجر عليه صاحبه في الدنيا والآخرة إن أصلح العمل، فعلى المتعطل أن يتعلم الحرفة التي تفيده، فقد فتح الإسلام هذا المجال ليعالج به البطالة الإجبارية الظاهرة حتى يتسع العمران وتزدهر حضارة المسلمين وقد أوضح ابن خلدون أن:« الصناعة على قدر جودتها يكون مقدار عمران البلد وتحضرها »[(١)]، وسوف أبين وجه علاج الصناعة وموا-جهتها للبطالة من ناحيتين أساسيتين الأولى أسس قيام الصناعة، والثانية علاقة الصناعة بإشباع الحاجات الأساسية للإنسان.

الناحية الأولى: أسس قيام الصناعة في الإسلام وأثر ذلك في العلاج

نظر الإسلام إلى كسب الصناعة نظرة إصلاح وتشجيع، فلقد حث على التوسع في الصناعات التي أباحها لفتح العديد من فرص العمل للأفراد، ولن يتم هذا التوسع إلا من خلال العلماء المتخصصين، والعاملين المدربين، ومواد وموارد الطبيعة التي يستخدمها الإنسان في صناعته، فقد كانت نظرة الإسلام إلى الصناعة نظرة سابقة للثورة الصناعية في أوربا بمئات السنين، حيث هذه النظرة شملت العنصر البشرى ولم تهمله كما فعلت الثورة الصناعية، فلم يتعطل الإنسان في الإسلام لصالح قليل من أصحاب الأموال، ولذا أقام الإسلام الصناعة على الأسس التالية:

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المكتبة التوفيقية بدون تاريخ، ص ٤٤٤.

الأساس الأول: إعداد الكوادر العلمية المتخصصة:

إن العلم هو أول أسس الصناعة بمعناها الشامل إذ يدخل فيها الصناعة البدنية والفكرية، فلا بد من العلم وتعليمه حتى يتسنى للفرد أن يحكم الصنعة التي في يده قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]. وفي التفسير أن الذين يستنبطونه هم أهل العلم والعقول الراجحة الذين يرجع إليهم في الأمور العظام، وقيل هم الولاة عليهم[١].

دقة التخصصات:

والعلم أصبح ذا تخصصات دقيقة في الفرع الواحد، فعلى سبيل المثال: علم الطب أصبح فروعًا علمية متعددة، دقيقة دقة متناهية، فصار لكل من الإنسان طب بشري، وللحيوان طب بيطري، ثم صار الطب البشرى أقسامًا عديدة حسب أعضاء الجسم البشري، فهناك طب العين، وطب الإذن، وطب الأسنان وغير ذلك، كما أصبح الطب علاج ووقاية، وتلك التفريعات الدقيقة كلها تحت مسمى «صناعة الطب» كإحدى المهن التي شجعها الإسلام ولم يشترط لها إلا العلم الصحيح، الذي يفيد الكائن البشرى ولا يضره.

ولبيان أهمية الدراسة العلمية ليخرج الفرد من البطالة التي يعانيها قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾[الزمر:٩]. قال الإمام القرطبي:« فالذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، وأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به، فهو بمنزلة من لم يعلم »[٢]، فالإنسان الذي تعلم، فهو يمارس هذا الذي تعلمه سواء أكان علمه في الطبيعة والتجريب أو في غير ذلك، ودلالة ذلك على أن القرآن يدعو للعلم ويعتبر العلم أحد العناصر المساعدة على خروج الفرد من حالة البطالة، إنما يتذكر أولوا الألباب.

---

(١) فتح القدير، ١/ ٧٨٢، أنوار التنزيل، ١/ ٢٢٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٢٠٤، المجلد الثامن.

القرآن يحوى أصول العلوم والصنائع:

لقد أشار القرآن الكريم إلى أصول العلوم دون الخوض في تفصيلاتها؛ فليس القرآن كتاب تجريب وطبيعة إنما هو كتاب هداية وإرشاد لما في كون الله من سنن ونواميس لو اتبعها الكائن البشرى لوجد المخرج مما يعانيه أفاد ذلك الإمام السيوطي مستدلا بقول الله سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩]. كما احتوى القرآن على أصول الصنائع «دون الخوض في تفصيلاتها – التي تدعو الضرورة إليها ، كالحدادة في قوله سبحانه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾[سبأ:١٠]. والنجارة في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[هود:٣٧].وهكذا مما يحقق معنى قول الله سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]. إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن القرآن حث على تعلم كل ما يفيد الإنسان في حياته وما عليه إلا أن يتعلم ما يراه مناسبًا له ليكتسب قوته، والقرآن اشتمل على أصول العلوم الإنسانية التي غفل عنها كثير من الناس[1].

الفرد الإنساني يتعلم أصول حرفته:

إن الفرد الإنساني الذي يريد – إرادة صادقة – أن يخرج من البطالة فما عليه إلا أن يلم بقوانين صنعة من الصناعات، أو حرفة من الحرف إلماما تامًّا، حتى إذا ما مارس هذه الحرفة نجح في كسبه، وقد دلنا نبي الله يوسف ﷺ على ذلك؛ إذ عرض على العزيز أن يجعله على خزائن الأرض؛ فإذا بنبي الله يوسف يقول كما أخبر عنه القرآن: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[يوسف:٥٥]. إذ علمه قد أهله لطلب هذا العمل الرائد الذي يكون في فترة خطيرة تمر بها البلاد من مجاعة وقحط.

دور المجتمع في تحقيق هذا الأساس:

وحتى يتحقق هذا الأساس ينبغي على المجتمع أن يسعى في إنشاء مراكز تعليمية للصناعات الفكرية والحرفية والتطبيقية، من خلال فتح كليات الهندسة والطب والتجارة وكليات الزراعة والعلوم، وغيرها لتوسيع دائرة العمل التصنيعي مع تفعيل دور هذه

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القران، ٤/ ٢٤، النوع الخامس والستون.

الكليات في المجتمع من إنشاء المشروعات التي تقبل تشغيل هذه الكوادر العلمية من أطباء، ومهندسين، ومحاسبين، وفنيين، وبذلك تقل نسبة البطالة في المجتمعات، ويحيا الناس حياة طيبة.

الأساس الثاني: إعداد الكوادر العملية المدربة:

إن الصناعة كما تقوم بالعلم الصحيح، فإنها تحتاج إلى من ينفذ ما في هذا العلم من دراسات نظرية، ولا يتم ذلك إلا من خلال عمالة ماهرة مدربة تدريبًا تقنيًا، ولا بد لتحقيق ذلك من تضافر الجهود وقيام كلٍّ بدوره.

وللمجتمع دوره في إعداد الكوادر العملية لا يقل أهمية عن إعداد الكوادر العلمية، فيجب على ولاة الأمر والعلماء والمفكرين نشر ثقافة العمل التقني والفني وضرورته للعمران، كما يجب أن تنشأ مراكز للتدريب على الأعمال التي تحتاج إلى حرفية في الأداء، كما يجب التخطيط للدراسات التطبيقية التي تتمم تطبيق ما سبق وذلك لضمان إجادة الصناعة، ورواج سوقها.

لقد وردت قصة الرجل الذي طاف الأرض شرقًا وغربًا، وملك ما بينهما وهو من النماذج التي يحتذى بها في هذا المجال، وهو ذو القرنين ﷺ، لما أراد أن يبني الردم قال كما أخبر القرآن عنه فقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾[الكهف:٩٥]. فكان ذو القرنين بمثابة المهندس الاستشاري والمنظم لحركة العمل، وكان الناس بمثابة العمال المدربون على أمور عدة منها:

أولًا: جلب واستخراج قطع الحديد الصلب.

ثانيًا: العمل على إذابتها بتعرضها للنار من خلال النفخ فيها.

ثالثًا: إفراغ النحاس المذاب بين الصدفين «الجبلين»؛ فنفذ العمال ما طلب منهم مما دربوا عليه فإذا بالعمل الذي تم إنجازه آية في العمارة والتشييد، مما خلد الله ذكره في القرآن فقال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف:٩٨].

مما جعل في ذلك درس للمتعطلين على ضرورة التدريب والتأهيل على العمل، ودرس للمسئولين على أهمية تهيئة الأعمال كثيرة العمالة لتستوعب العدد العمالي، ودرس ثالث على أن مهما كان من تشييد العمارة الفخمة متينة الصنعة فإن لها موعدًا تنتهي فيه.

ومن ناحية أخرى فإن الواقع يشهد بأن العامل لا يضمن تحقيق النجاح في كسبه وعمله إلا إذا أتقن حرفته، ولن يكون الإتقان إلا بعد قضاء فترة تدريب يتمرس فيها العامل على عمله، وفى الحديث النبوي قال رسول الله ﷺ حين سئل أي الكسب الطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[1]، ولا يخفى أن عمل الإنسان لا يكون إلا بيده، ولكن النص عليها حتى يعرف الفرد الإنساني أن هذا العمل يحتاج إلى مهنة خاصة وحرفة خاصة لا تتحقق إلا بهذه اليد الجارحة الماهرة المدربة على حرفتها بالإتقان والبراعة ولن يتحقق ذلك إلا بتضافر الجهود وتعاون المؤسسات والهيئات التشريعية والإدارية والتنفيذية في المجتمع.

الأساس الثالث: الثروات الطبيعية واستغلالها في الصناعة:

كذلك من أسس الصناعة – كما تشير آيات كثيرة في كتاب الله تعالى – المواد الأولية والخامات المعدنية، والثروات الحيوانية والمائية والزراعية التي تقوم عليها الصناعات المختلفة «سواء خفيفة أو ثقيلة، كثيفة العمالة أو قليلة العمالة»، هذه الثروات قد قسمها الله سبحانه في أرضه والأصل فيها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[فصلت:١٠] ففي كل إقليم من الأقاليم ثرواته التي كفل الله بها للإنسان المجال الذي يكتسب منه قوته وهذا واضح قد صدقه الواقع.

أولًا: نجد بلادًا ثروتها بكثرة شواطئها، وهي يطلق عليها «الثروة المائية» وقد أشار القرآن الكريم إليها فقال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾[النحل:١٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه البزار وصححه.

ثانيًا: نجد بلادًا أخرى ثروتها في خصوبة أرضها، كما أشارت آيات القرآن الكريم إلى «الثروة الزراعية» وما فيها من إنتاج زراعي تقام عليه صناعات عديدة منها الغذائية والكسائية والدوائية وغيرها فعلى سبيل المثال أشارت سورة النحل إلى بعض ذلك فقال الله ﷻ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[النحل:٦٧-٦٩].

ثالثًا: نجد بلادًا ثروتها في كثرة معادنها المركزة في أرضها؛ فأشارت آيات القرآن الكريم إلى ما يطلق عليه «الثروة المعدنية» حيث قد رسخت المعادن في القشرة الأرضية أو في أعماق البحر، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[الرعد:١٧]. قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[الحديد:٢٥]. وقال الله ﷻ: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾[سبأ:١٢][1].

رابعًا: نجد بلادًا ثروتها في كثرة أنعامها ومواشيها، كما أشار القرآن أيضًا إلى الثروة الحيوانية قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾[النحل:٥]. وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[النحل:٦٦]. فالله سبحانه يشير إلى ما يطلق عليه «الثروة الحيوانية» وقد جاءت الآيات القرآنية التي تذكّر المتعطل بتلك الثروة، وجه منافعه منها فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس ٧١-٧٣].

---

(١) القِطر: هو النحاس المذاب وسيلان عين القطر معجزة من معجزات نبي الله سليمان عليه السلام

وقد أوضح الشوكاني أن:« هذه آيات صدرت بالاستفهام الإنكاري؛ للتعجب من حال هذا الإنسان والذي قد يعطل قواه وأمامه هذه المنافع ولا ينتفع بها »[1].

وأخيرًا نجد بلادًا ثروتها في كثرة كوادرها العمالية، وكوادرها العلمية، فلديها العامل والعالم فهذه أفاء الله ﷻ عليها بما يطلق عليه «الثروة البشرية». وما يمكن أن ينفع المتعطل من الحيوان حتى يتحقق له التكريم الذي من أجله سخر الله له الكون كله، وما نقص إقليم من ناحية استكمله من الإقليم الآخر عن طريق التبادل التجاري.

إن هذه الثروات التي أشار إليه القرآن المجيد قامت عليها العديد من الأشغال والأعمال الصناعية التي يكتسب منها الإنسان قوته، ومازال في كون الله تعالى الكثير من الموارد والثروات التي تحتاج لمن يحركها ويخرجها.

ولا يخفى على أحد أن كل ما في الطبيعة مجال عمل ينتفع به الإنسان؛ فالشمس يستخرج منها الطاقة ورمال الأرض تقوم عليها صناعات عديدة مثل الزجاج والفخار، ومعادنها تقوم عليها الصناعات التعدينية المختلفة، ونباتاتها تقوم عليها الصناعات العديدة من غذائية وكسائية ودوائية فكل الكون مسخر للناس وفى إمكان الفرد المتعطل أن ينتفع بها في حدود الإصلاح والانتفاع من نعم الله على الإنسان في الكون بره وبحره وجبله وسهله، والله تعالى وعد بترسيخ كل ما ينفع الإنسان في أرضه فقال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[الرعد:١٧]. والفعل «يمكث» فعل مضارع دال على الاستمرار، كما أن الحرف «ما» موصول دال على العموم، فكل ما ينفع الناس يمكث في الأرض وهذا وعد من الله ولا ضير على أحد بعد ذلك إلا أن يبحث عما يعمله في هذه الثروات.

---

(١) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية من علم التفسير، تحقيق دكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، الثانية ١٩٩٧،(٤/ ٥٠٤).

فمازال للمتعطل مجال عمل يكتسب فيه قوته لأن وعد الله ﷻ لا يتخلف ولم يبق إلا أن يأخذ الفرد بأسباب العمل، ويجمل في الطلب، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧]. فالعمل الذي يسد حاجة ضرورية للفرد يورثه طمأنينة تقر بها عينه.

الرسول والانتفاع بالثروات الطبيعية

لقد عَلَّم النبي ﷺ أصحابه كذلك كيف ينتفعون بما تحت أيديهم من ثروات طبيعية أو حيوانية؟ ففي الحديث أن رسول الله ﷺ مر بشاة ميتة فقال: «هلا استمتعتم بإهابها، قالوا: إنها ميتة؟ قال: إنما حرم أكلها» [(١)]، فهذا يدل على أن النبي الكريم ﷺ كان يعلِّم أصحابه ﷺ كيف ينتفعون بما فيه شبهة المنفعة المحتملة فضلا عما فيه منفعة محققة في موارد الكون وثرواته.

وفى حديث نبوي آخر يدل النبي على ما ينفع في الكون فيقول: «أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال» [(٢)]؛ فالنبي ﷺ يريد من المسلم أن ينتفع بكل ما تحت يديه من ثروات حتى ولو كانت قليلة أو محتملة النفع، وما على المتعطل إلا أن يستغل كل مورد لديه سواء طبيعي في الأرض أو غيرها فيقيم عليها الأعمال التي يقتات منها أو يتعلم الصنعة التي تنفعه يشبع بها الحاجات الأساسية في الحياة من مطعم ومشرب ولباس ومأوى.

لقد نظر الإسلام إلى الصناعة على أنها مجال كسب يتحقق به الإشباع للحاجات الأساسية فهل تنبه العاطلون إلى ذلك؟ فالصنعة كلما كانت تمثل ضرورة للإنسان ، كلما أقبل الناس على طلبها أكثر ، فإن تعلم المتعطل حرفة تمثل حاجة إنسانية زادت نسبة الطلب عليه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب جلود الميتة قبل أن تدبغ (٢/ ٢٧).

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لابن ماجه والحاكم في مستدركه وحكم بصحته (١/ ١٣).

فيضمن استمرارية العمل إن شاء الله؛ فما هي الحاجات الأساسية؟ وما مدى ارتباطها بالصناعة؟ وهل هي تمثل علاجًا للبطالة؟ هذا ما سيتصدى البحث ببيانه في الصفحات القادمة.

الناحية الثانية: علاقة الصناعة بإشباع الحاجات الأساسية للإنسان

لقد هدى القرآن الكريم الباحثين عن الحاجات الأساسية من خلال قصة أبي البشرية آدم عليه السلام حيث أسكنه الجنة وهى البيت الذي كان يكنُّ فيه قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥]. ثم بين الله تعالى لآدم أنه في الجنة سوف تتوفر لديه حاجاته الضرورية التي بها مقومات حياته فقال سبحانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[طه:١١٨،١١٩]. ولقد تنبَّه لصلة الحاجات الأساسية بالعمل والصناعة أئمة علماء المسلمين، مما يدل على العبقرية الإسلامية التي ربطت الحاجات الأساسية التي عليها قوام حياة الإنسان «وهى المأكل والمشرب والملبس والمسكن»، والحاجات المادية التي يحتاجها الإنسان ، ومدى علاقتها بالكسب والعمل والصناعة.

إن ارتباط الصناعة بتلك الحاجات يقوى بدرجة كبيرة حيث تشكل الصناعات الغذائية التي تشبع الحاجة إلى الطعام، والإنسان لا يستغنى عن الغذاء ما بقي، وتشكل صناعات المنسوجات والملابس ما يشبع الحاجة إلى الكساء، وتشكل صناعات البناء والتشييد ما يشبع الحاجة إلى المأوى، الذي يبيت فيه ويكنُّ فيه عن أعين الناس، وتشكل صناعة تنقية الماء وتحليته ما يشبع الحاجة إلى الري من العطش، وغيرها من الصناعات الضرورية لحياة الإنسان.

فكل صناعة مرتبطة بحاجة من حاجات الإنسان الضرورية المادية تعد مجال عمل للمتعطل إذا درسه بعناية ثم تمكن من العلم الكافي عن المشروع، وتمكن من العمال المهرة الذين يقومون به، وتوفرت مواده الخام فسوف يكتب له الاستمرار إن شاء الله وبذلك تعالج

الحاجات الأساسية البطالة الإجبارية، بل والمقنعة أيضًا؛ إذ يكون الأجر على قدر العمل فلا مجال للتظاهر بالعمل، ورحم الله العلامة ابن خلدون حينما قال:« إن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة، منها ما هو ضروري في العمران ، ومنها ما هو شريف بالموضوع، فأما الضروري فالفلاحة والبناء، والخياطة، والنجارة، والحياكة، وأما الشريفة بالموضوع فالتوليد والطب والكتابة »[1]، وإذا كان الإسلام الحنيف قد ربط مجال العمل بحاجة الإنسان، فقد سبق غيره، ولقد أقر بذلك المدير العام لمنظمة العمل الدولية سنة ١٩٧٨ م حيث قال:« إن تغيير الطلب في اتجاه الحاجات الأساسية سوف يؤدى إلى توليد مستويات أعلى من العمل المنتج إذا تميزت التوليفة الجديدة للناتج بكثافة اكبر للعمل»[2]، فالصناعات القائمة على إشباع الحاجات الإنسانية تنبه إليها الإسلام قبلما يتوصل إليه الغربيون، وتتضح هذه الصناعات القائمة على إشباع الحاجات الأساسية الإنسانية فيما يلي:

أولا: الصناعة القائمة على الحاجة إلى الغذاء:

إن الصناعة الغذائية أكثر من أن تحصى، ويكفى أن يعرف المتعطل أن ما يستخرج من النحل من مادة فيها شفاء للناس، ومادة الصمغ، ومواد دوائية أخرى، وأن يتعرف المتعطل على ما يستخرج من الأنعام من شراب تقوم عليه العديد من المنتجات الغذائية، «منتجات الألبان» وأن يتعرف المتعطل على ما ينتفع به من الأنعام من منافع أخرى في أشعارها، وأوبارها، وأصوافها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، فإن المتعطل الذي يريد أن يقيم صناعة غذائية وليقرأ سورة النعم[3]، ليتعرف على كل هذه الصناعات ، وخاصة إذا كان الإنسان لا يعمل

---

(١) مقدمة ابن خلدون، المكتبة التوفيقية ، ص٤٥١.

(٢)دكتورة منى مصطفى البرادعي، ورقة بحثية ضمن كتاب (البطالة في مصر)، ص ٨٤٠.

(٣) سورة النعم: هي سورة النحل المباركة أطلق عليها (سورة النعم) لقول الله تعالى فيها: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ ولتعديد نعمه فيها لابن آدم، قال السيوطي: قال قتادة تسمى سورة النعم أخرجه ابن أبي حاتم وقال ابن الغرس (لما عدد الله فيها من النعم على عباده)، الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٥٦).

فقد يتعرف على ما يخرج به من أزمة البطالة في السورة نفسها وهذا الذي يظهر كمال البيان القرآني أن جمع بين التشخيص للداء ووصف الدواء في سورة واحدة.

مشروعية صيد البر والبحر

إن النبي ﷺ قد شرع لأمته كل عمل يشبع الحاجة للغذاء فجاء من يسأله عن صيد البر وآخر يسأله عن صيد البحر فوسع على أمته في هذا المجال الذي يعالج البطالة ففي الحديث: أنه جاء رجل من بنى مدلج إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنا أصحاب هذا البحر نعالج الصيد على رمث فنعزب فيه الليلة والليلتين والثلاث والأربع، ونحمل معنا من العذب أشفاهنا [1]، فإن نحن توضأنا به خشينا على أنفسنا، وإن نحن آثرنا بأنفسنا وتوضأنا من البحر وجدنا في أنفسنا من ذلك فخشينا ألا يكون طاهراً ؟ فقال رسول الله ﷺ: «توضئوا منه فإنه الطاهر ماؤه الحلال ميتة» [2]، فقول الرجل (إنا أصحاب هذا البحر) أي فيه عيشنا وقوتنا وهذا كقول أحد الصحابة الكرام للنبي ﷺ (إنا قوم نصيد بهذه الكلاب) [3]، أي أنها سبب معيشتهم فكان جواب النبي ﷺ أعم من السؤال حيث تضمن بيان النبي ﷺ في وجوابه حكم ميتة البحر، وحكم ماء البحر، وحكم الصيد بالكلاب وكلها أشياء تنفع الفرد، وفى ذلك من التيسير على السائل ما ييسر عليه سبيل عمله وكسبه ما يحببه أكثر في العمل ويقبل عليه بجد ونشاط .

يقول الدكتور محمود أبو العلا:«هذه الصناعات الغذائية من أكثر الصناعات انتشاراً في دول العالم الإسلامي ويرجع البعض ذلك الانتشار إلى سرعة الزيادة في معدل النمو

---

(١) الرَّمْث: خشب يضم بعضه إلى بعض يُرْكَبُ عليه، فنعزب: نذهب، والعذب: الماء الفرات، أشفاه: جمع شفه وهى ما يكفى شرب أفواهنا والشفه لا تكون إلا من الإنسان، المصباح المنير، للفيومي.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك والدارمي، واللفظ له (١/ ٢٠١) كتاب الطهارة، باب الوضوء من ماء البحر.

(٣) بعض حديث رواه البخاري ومسلم واللفظ له (١٣/ ٧٥) وقد سبق تخريجه والقائل هو عدى بن حاتم.

السكاني في دول العالم الإسلامي، وإلى نمو المدن واتساع العمران فيها وكل هذا أدى إلى زيادة الطلب على هذه الصناعات»[1]، وتشمل هذه الصناعات طحن الغلال والمشروبات الغذائية، وتعليب التمور، وتعليب الأسماك، وصناعة حفظ الخضر والفاكهة، وصناعة السكر، والزيوت النباتية، وغيرها، إن الصناعة القائمة على توفير السلع الغذائية مجال عمل يمثل ضرورة للإنسان لذلك أكد القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا المجال تنبيهاً للفرد والمجتمع لاتخاذ مجال الصناعات الغذائية مجال عمل لكثرة الطلب عليها.

ثانيا: الصناعة القائمة على الحاجة إلى الملبس:

هذه صناعة أخرى تمثل الحاجة إلى الكساء ليقي الإنسان نفسه من العري، والبرد والحر، وهى كثيرة الانتشار بين الناس، وهى من الصناعات القديمة التي احترفها الإنسان، وتقوم حاليًا تحت مسمى صناعة الغزل والنسيج في مصانع كبيرة تضم مئات العمال وقد أوضح أهل الاختصاص مدى انتشار هذه الصناعة فقد جاء في كتاب جغرافية العالم الإسلامي أنها: «تنتشر في كل العالم الإسلامي وفى آسيا وأفريقيا ففي تركيا ٦٩٤ مؤسسة لصناعة النسيج والمنسوجات ويعمل بها ١٧٦٠٠ عامل أي ٢٥٧ عامل لكل مؤسسة وهذا يشير إلى أنها مؤسسات صناعية كبيرة، وعلى العكس الأردن التي تضم ١٩٩ مصنعًا يعمل بها ١١٩٦ عاملًا أى عشرة عمال لكل مصنع فهي مصانع صغيرة»[2].

فهذه الصناعة قابلة للتوسع بل وقد تخدم التجارة الخارجية أيضا في كل هذا ما يخدم المتعطلين بفتح مجالات وفرص للعمل، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف:٢٦]. وقال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل:٨١]. فإيراد

---

(١) دكتور محمود أبو العلا، جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، ص ٤١٦.

(٢) المرجع السابق ص٤٢٤.

كلمة سرابيل [1] في الآية الكريمة تشير للفرد المتعطل أن يتعلم صناعة النسيج أو الغزل أو حرفة الحياكة ، فإنه سيجد في ذلك ما يعينه على علاج بطالته، والخروج من مشكلته، خاصة إذا علم أن هذه الصناعة ضرورية بين الناس لحاجتهم، وسهولة تعلمها وإتقانها، ويسر الحصول على أدواتها.

ولقد حث النبي ﷺ أصحابه على احتراف مثل هذه الحرف فقد ورد في السنة النبوية المطهرة أنه «جاءت امرأة ببردة » قيل «: أتدرون ما البردة؟ فقيل: نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها» قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها فخرج إلينا وأنها إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله أكسنيها فقال: نعم فجلس النبي ﷺ ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه» [2]، فقوله «فأخذها النبي محتاجًا إليها» ثم خروجه عليهم وهى إزاره ما يدل على شدة الحاجة إلى هذه الصناعة، وفى قول الراوي الأعلى «أتدرون ما البردة» فأجابوا عليه بقولهم «هي الشملة منسوج في حاشيتها» ما يدل على مهارة الصنعة وأنها مما توافرت معرفة الناس بها لتوافر حاجتهم إليها.

وقد اعتبر علماء الإسلام وخاصة ابن خلدون أن:« صناعة الحياكة والخياطة من الضرورة في العمران مما يحتاج إليه البشر، واعتبر الحياكة صناعة بدوية، وأما الخياطة فهي صناعة حضرية » [3]، وكلاهما نوعان لجنس واحد هو ما يستر أبدان بني آدم من اللباس والثياب.

ثالثا : الصناعة القائمة على إشباع الحاجة إلى المأوى

وهذه صناعة ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم فقال الله ﷻ: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[الشعراء:١٢٨،١٢٩]. يخاطب الله بذلك قوم هود لما تقدموا في البناء والعمران كثيرًا، قال ابن كثير:« الريع مكان مرتفع يبنون عليه

---

(١) السرابيل : جمع سربال وهي القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان ، المصباح المنير.

(٢) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب النساح، ٢ / ٩، المجلد الأول.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٥٨ .

البناء العظيم كالقصور ونحوها ويعبثون ببنائها لأنه لا حاجة لهم فيه، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يسكنون الخيام، والمصانع قيل: هي القصور، وقيل بروج الحمام وقيل: مآخذ الماء »[1]، وإذا كان قوم عاد قد اتخذوا البنايات عبثًا وطلبًا للخلود وجحدوا فضل ربهم وعبدوا من دونه آلهة أخرى؛ فحق عليهم العذاب، فهذا لا يمنع المؤمن من أن يتخذ البناء والعمران والتشييد مجالًا للكسب والإصلاح لما في أرض الله ﷻ فلقد شيد ذو القرنين عليه السلام السد العجيب، كما شيد الخليل إبراهيم بيت الله الحرام، وشيد سليمان عليه السلام المسجد الأقصى، وبنى الرسول ﷺ لما هاجر إلى المدينة مسجده وبيته، فعلمنا من ذلك أن صناعة البناء والتعمير سنة الله في خلقه ومجال من مجالات العمل الصناعي الذي يمثل تلبية لحاجة من حاجات الإنسان الضرورية وهي الحاجة إلى السكن والمأوى فقال تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾[الأعراف:٧٤].

إن الله ﷻ قد ذكر بيوت أهل المدنية بكل ما فيها من أثاث وزينة كما ذكر ما يحتاجه أهل البادية كذلك من خيام فقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾[النحل:٨٠]. قال الشوكاني:« فالله تعالى ذكر بيوت أهل المدن، وهي للإقامة الطويلة والعمران الواسع، ثم عقبها بذكر بيوت أهل البادية والرحل وهي الأنطاع والأدم[2]، من جلود الأنعام بيوتًا مثل الخيام والقباب»[3]، وإذا كانت صناعة البناء تمثل الضرورة الملحة إلى المأوى، فإن ما بداخل هذا البيت السكني قد أشارت الآية الكريمة إليه فيما يسمى بـ «أثاث المنازل»، وإن كان هذا يمثل

---

(١) ابن كثير، قصص الأنبياء، بيروت لبنان، الأولى سنة ١٩٩٢، ص ١١٦.

(٢) الإمام الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٣/ ٢٩٩.

(٣) الأنطاع: جمع نطع وهو المتخذ من الأدم والجلد وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها، المصباح المنير، ص ٣٦٢.

الزينة الكمالية ولكن يفهم منه أنه من مجال الكسب الصناعي في العمران، وعلى المتعطل أن يقصد هذه الصناعة لإشباع الضروريات والكماليات.

رابعاً: الصناعة القائمة على إشباع الحاجة إلى الماء:

إن الماء به قوام الحياة ولولاه ما عاش إنسان ولا حيوان ولا نبات ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء:٣٠]. وقد أنزل الله من السماء ماءً عذبا فراتًا ولكنه قد ينزل في البحر المالح فيحتاج إلى تحلية ، وقد ينزل في الوديان فيحتاج إلى استخراج له من منابعه بالآلة وكلا الأمرين ذكرهما الله تعالى في كتابه ، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[الفرقان:٥٣]. وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[فاطر:١٢]. فقد يندر وجود الأنهار العذبة في بعض البلاد فتحتاج إلى تحلية مياه البحر المالحة للضرورة وهذا مجال عمل للإنسان المتعطل في بعض الدول.

وقد يكون الماء في أعماق الأرض فيحتاج إلى حفر وآلة لاستخراجه، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[الرعد:١٧]. فالماء الغائر في جوف الأرض يستخرج عن طريق حفر الآبار قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[الملك:٣٠].

هذه صناعات تقوم على إشباع الحاجات الأساسية وهى فرض كفاية على بعض أفراد المجتمع، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وهناك من الصناعات الترفيهية والكمالية الأخرى وهى صناعات كثيفة العمالة يعمل بها المتعطلون لكن لا يلتفت إليها إلا بعد الصناعات الضرورية التي تقوم على إنشاءها الدولة الإسلامية بهدف تشغيل المتعطلين، وإشباع الحاجة الضرورية للمجتمع.

المطلب الرابع: (التجارة وسيلة علاج ومواجهة للبطالة)

هذا ثالث أصل من أصول المكاسب، التجارة التي تعد من أهم الأبواب التي يسرها الله ﷻ للمتعطل واعتبرها طريقا من طرق الكسب الحلال.

والتجارة لا تقوم إلا على زراعة الحبوب والثمار قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾[الحجر:١٩]. فالحاصلات الزراعية هي من السلع التي يتاجر المتعطل فيها، أو تقوم على الصناعة المتقنة، فالمنتجات الصناعية أيضا من السلع التي يتاجر فيها المتعطل، وأن هذه المكاسب بعضها مترتب على بعض، وعلى المتعطل أن يتخير العمل المناسب له من بين ذلك ويزاوله.

وقد أوضح فقهاء الإسلام ذلك فقالوا:« إن اختلاف الأقاليم حرًّا وبردًا أدى لاختلاف الحاصلات الزراعية التي تتأثر بالمناخ وطبيعة التربة، فليس في كل إقليم كل حاجاته، وليست صناعات الأقاليم متحدة وليست جودتها واحدة ولذلك شرعت التجارة لما فيها من تبادل السلع والمنتجات والمحاصيل »[1]، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات:١٣].

إن التجارة وسيط نافع بين الصناعة والمستهلك، تقوم بترويج البضاعة وتسويقها، ومن ثم تحسينها وتيسير الحصول عليها معًا وهى خدمة للطرفين، «المنتج الصناعي والمستهلك » والانتفاع عن طريق هذه الخدمة يعتمد على المهارة والجهد، ويتعرض في ذات الوقت للربح والخسارة، والتجارة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم على أنها أحد المكاسب التي يكتسب منها الإنسان قوته فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر:٢٩]. كما دلنا عليها فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾[الصف:١٠]. ومن أجل ذلك أحل الله سبحانه المعاملات بين الناس بيعا وشراءً وسلَمًا وصرفًا وإجارة، كما حرم سبحانه الربا والغش والغبن والظلم وقد بين ذلك القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[النساء:٢٩]. قال أهل التفسير:« وأكل أموال الناس بالباطل يشمل كل طريقة

---

(١) دكتور محمد طلعت أبو صير، مع النظم والثقافة الإسلامية، دار الطباعة المحمدية، الأولى ١٩٨٧، ص ٦٩، سيد قطب، في ظلال القرآن، الشروق سنة ١٩٩٥، (٢/ ٦٣٩).

قد نهى عنها الله، ومنها الغش والرشوة، والاحتكار للضروريات لغلائها، وجميع أنواع البيوع المحرمة» [(١)]، ويتضح دور التجارة في علاج البطالة ومواجهتها من خلال التدابير والوسائل الآتية:

١ - تيسير العمل في التجارة:

إن القرآن الكريم يسر سبيل العمل في مجال التجارة، وراعى حقوق المتعاملين في آية تسمى بآية المداينة من حيث المكاتبة للدَّين والإشهاد عليه حتى ينقطع دابر الخصام بين المتعاملين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[البقرة:٢٨٢]. أوضح العلماء أن الله سبحانه:« قد استثنى من الأمر بالكتابة ما إذا كانت تجارته حاضرة أي بحضور البدلين «تديرونها بينكم»: أي تتعاطونها يدًا بيد، فالإدارة هي: التعاطي والتقابض، والمراد البيع الناجز، يدًا بيد فلا حرج عليكم إن تركتم كتابته » [(٢)]، وهذا في السلع الصغيرة التي تباع بالمعاطاة قال الفقهاء: «إن المعاطاة تقوم مقام الصيغة بحسب العرف المتبع» [(٣)].

إن المتعطل حينما يرى هذا التيسير في التجارة بلا تكلف ولا تعسف فيندفع إلى العمل بالتجارة وخاصة إذا تبين له أن النبي ﷺ كان تاجرًا وعلم أصحابه أحكام التجارة وآدابها، فضلا عن كونها موردًا من موارد الكسب الذي يؤجر عليه المتعطل الذي لا يجد أرضا يزرعها، ولا حرفة يحترفها.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق (٢ / ٦٣٩)، دكتور محمد طلعت أبو صير، مع النظم والثقافة الإسلامية، دار الطباعة المحمدية، الأولى سنة ١٩٨٧، ص ٦٩.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٥١٠، البيضاوي، أنوار التنزيل ١/ ١٤٥.

(٣) دكتور محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، دار المنار الثانية سنة ١٩٩٧، ٣/ ٧.

ومما يشجع المتعطل على الاكتساب بالتجارة علمه أن:« الأصل في العقود والشروط الصحة إلا ما أبطله الشارع أو نهى عنه، والأصل في المعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم »[1]، وقد بين ذلك الإمام ابن القيم مستدلًا بقول الله - تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[المائدة:١].

الرسول يعلم أصحابه أحكام التجارة:

لقد كانت التجارة أكثر المكاسب انتشارًا في أرض العرب وخاصة مكة المكرمة – وقد امتن الله ﷻ على قريش بذلك، فأوضح الله بيان فضله عليهم واستحقاق عبادته فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾[سورة قريش]. فهذه الرحلة التجارية الصيفية من اليمن إلى الشام، وتلك الرحلة التجارية في الشتاء من الشام إلى اليمن كانتا تتهان لأهل مكة في أمن وسعة في الرزق لهم، بينما كان الناس في خوف من حولهم، قال تعالى في إبراز هذه المنة لأهل البلد الحرام: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾[العنكبوت:٦٧]. فلما بعث رسول الله ﷺ ضبط المعاملات التجارية وأقر الحلال منها وبين حكم الحرام ففي الحديث المرفوع: «أن البراء بن عازب رضي الله عنه وزيد بن أرقم رضي الله عنه سُئلا عن الصرف فقالا: كنا تاجرين على عهد رسول الله ﷺ فسألنا رسول الله ﷺ عن الصرف فقال: «إن كان يدًا بيد فلا بأس وإن كان نساءً فلا يصلح»[2]، فهذا جواب النبي ﷺ لمن سأله عن حكم المعاملة بالصرف، قال ابن دقيق العيد «والواجب هنا أمران أحدهما: التناجز في البيع أعنى لا يكون مؤجلًا والثاني: التقابض في المجلس وهو الذي يؤخذ من قوله «يدًا بيد»[3].

---

(١) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العاملين، دار الحديث بدون تاريخ ١/ ٢٩٩.

(٢) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب التجارة في البحر ٢/ ٥ وباب بيع الذهب بالورق نسيئة ٢/ ٢١.

(٣) ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت ٣/ ١٨٧.

كما وضع النبي ﷺ القواعد الأخلاقية لكل من احترف التجارة فقد ورد أن التجار كانوا يسمون على عهد رسول الله ﷺ السماسرة حيث قد مر بهم رسول الله ﷺ فسماهم باسم هو أحسن منه فقال النبيذ ﷺ: «يا معشر التجار إن البيع يحضره الحلف واللغو فشوبوه بالصدقة»[1]، فجعل اسم من يتعامل بالتجارة تاجرًا والجماعة منهم تجارًا، وناداهم النبي بهذا الاسم.

وقد كان أكثر المهاجرين تجارًا، هذا ما أخبر به الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: «وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق[2]، بالأسواق»[3]، فهؤلاء هم السابقون الأولون من المهاجرين كانوا يشتغلون بالتجارة وهم قدوة للمسلم التاجر بجهده أو بماله، فهذا مجال عمل يكتسب منه قوته وقوت عياله دون الاحتياج إلى الناس وسؤالهم أعطوه أو منعوه، فالتجارة من أصول المكاسب الذي أنشأت من أجلها الكليات العليا حديثًا، ولقد أقرها الشرع الحنيف، واشتغل بها سلف الأمة الصالح ﷺ فبها تعالج البطالة.

والنبي ﷺ أراد للمسلم التاجر أن يتأدب بالخلق الحسن فالتجارة في الإسلام ذات شقين: شق مادي يراعى فيه الحقوق والواجبات ، والآخر شق أخلاقي تحل به البركة ، ظهر هذان الشقان للتجارة فيما ورد في السنة النبوية المطهرة مما يشهد لذلك ، قول رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا – أو قال حتى يتفرقا – فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»[4]، فالخيار حق من حقوق البيعان، والصدق والبيان لما في السلعة من عيوب، لذلك جمع النبي ﷺ بين التاجر الأمين الصدوق المسلم والشهداء يوم

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه كتاب التجارات، باب التوقي في التجارة ٢/ ٧٢٥ وشوبوه: اخلطوه.

(٢) الصَّفْق: ضَرْب يد البائع على يد المشترى عند وجوب البيع، ثم استعمل في العقد، المصباح المنير، ص ٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب، البيوع بعض حديث لأبى هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، ٢/ ٧ المجلد الأول.

القيامة، فقال: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة» [1]، وذلك لأن التاجر إذا غلب الجانب الأخلاقي الإيماني – عنده بالصدق، والأمانة – على الجانب المادي، فقد جاهد نفسه التي تحب المال حبًا جمًّا، وقد قرن الله تعالى ذكر الضاربين في الأرض للتجارة بالمجاهدين في سبيل الله فقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠].

ولقد حبب النبي ﷺ العمل التجاري إلى أصحابه فإذا به يدعو لأهل المدينة قائلًا: «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم» [2]، ويأمرهم بالتعامل بالوزن والكيل حفاظًا على العدل في المعاملات وتحقيقًا للمساواة فيقول: «كيلوا طعامكم يبارك لكم» [3]، حتى لا يؤدى البيع جزافًا إلى المنازعة.

(٢) عقود المعاملات وأثرها في العلاج وهى كما يلي:

إن المتعطل عن العمل إذا نظر فلم يجد مجال الكسب بالزراعة ولم يتقن حرفة صناعية ففي المجال التجاري ما يكفيه فيغنيه عن مسألة الناس، فهو كالمجاهد في سبيل الله تعالى إذا صدق وبر وأنفى واتقى أن يتعرف المتعطل على وجوه الاكتساب في التجارة التي تفيد في علاج البطالة الإجبارية وهى من الوجهة الشرعية كثيرة ،فإن عقود المعاملات التي لا تنفك المكاسب عنها ومنها: «البيع، والمضاربة، والسلم، والإجارة، والشركة، والقرض» [4]، وقد بين العلماء والفقهاء أن هذه التصرفات عليها مدار المكاسب بالتجارة شرعًا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه كتاب التجارات، رقم ٢١٣٩، ٢/ ٧٢٤، قال محمد فؤاد عبد الباقي محقق السنن وأصل الحديث رواه الترمذي من حديث أبي سعيد.

(٢) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ومده، ٢ / ١٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل، ٢/ ١٥

(٤) على اللبودي، فضل الاكتساب وأحكام الكسب، تحقيق دكتور سهيل زكار، دار الفكر، الأولى سنة ١٩٩٧، ص ١٤٩، الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة التوفيقية، بدون تاريخ (٢/ ٩٦).

(أ) عقد البيع:

إن الغرض من هذه الجزئية في البحث ليس بيان الأحكام الفقهية لعقود التجارة بقدر ما هو بيان وجه إفادة هذه العقود في تشغيل المتعطلين وحكمة مشروعيتها.

إن أول هذه العقود هو البيع وهو مقابلة شيء بشيء، والله قد أحل البيع فقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾[البقرة:٢٧٥]. والبيع عقد تعامل به الناس قديمًا في الجاهلية، ولما جاء الإسلام أقره، ومن المعلوم أنه لا يكون البيع إلا وفي مقابلته شراء، قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾[يوسف:٢٠،٢١]. فالآية فيها ما يدل على التبادل بيعًا وشراءً؛ فشرى بمعنى باع، وابتاع بمعنى اشترى.

إن المتعطل إذا اشتغل بالتجارة بالمعاملة «بيعًا وشراءً» لا يكون مثل من يتعامل بالتجارة لظرف خاص، فالذي يكتسب قوته من التجارة لا بد أن يشتري بالرخيص ويبيع بالغالي، وأوضح ابن خلدون ذلك حين قال:« فالتجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيا كانت السلعة من زرع أو حيوان أو غير ذلك مما أحل الله التعامل فيه، وذلك القدر النامي يسمى ربحًا من غير احتكار أو غبن »[(١)]،ولقد بين النبي ﷺ أحكام البيع بما يقطع المنازعة بين المتبايعين عن طريق الكيل والوزن للأقوات، ونهي عن تلقي الركبان، عن الغش ففي السُّنة النبوية المطهرة عن النبي ﷺ قال: «لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد»[(٢)]، فظهر من تلك الآداب أن التجارة بالبيع والشراء من أفضل المكاسب ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده[(٣)]، وقد اعتبر علماء الإسلام: «أن العبارة «بيع مبرور» كلية من الكليات الشرعية تحمل معنى الإباحة والكسب الحلال، وما يترتب عليه من تبادل المنافع بين الناس، وتحقيق التعاون

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، التوفيقية بدون تاريخ، ص ٤٣٦.

(٢) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر؟ ٢/ ١٩ المجلد الأول.

(٣) أخرجه السيوطي، الجامع الصغير، وعزاه إلى أحمد في مسنده والطبراني في الكبير وحسنه (١/ ٥١).

فينتظم بذلك معاشهم»[1]، وعلى ذلك يكون البيع والشراء «التجارة» من أكبر الدعائم الباعثة على العمل في دنيا الناس.

فالبيع والشراء من أهم عقود التجارة يزاوله الفرد ليذهب عنه إصر البطالة ومن الملاحظ أن البطالة المقنعة لا تظهر في العمل التجاري في الأسواق حيث يكتسب الإنسان وبقدر عمله يجد العائد، وكلما كانت التجارة في ما يفيد الناس في مصالحهم ومنافعهم كلما كانت سوقها أنفق وعائدها أربح، فلا مجال للكسل في مجال التجارة فالتاجر الكسول تجارته تبور ويتعطل عن الكسب.

والمتعطل إذا توافرت لديه البضائع التي يتاجر فيها من زرع أو منتجات صناعة فبها ونعمت وإلا ففي مجالات المعاملات الأخرى كفاية له عن ذل المسألة.

٢ - القرض الحسن:

إن توفير رأس مال له من خلال «القرض الحسن» يشتري به السلعة التي تمثل حاجة الناس في مجتمعه ليتاجر فيها، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة:٢٤٥]. ووصف القرض بالحسن، لأن فاعله يبتغي فيه الثواب الحسن من الله ﷻ، فإن في إقراض المتعطل رأس مال ليشتري به بضاعة يتاجر فيها في صورة قروض ميسرة الأداء، بلا فائدة مما تعالج به البطالة الإجبارية.

إن القرض الحسن من خير ما يعان به المتعطل ليتاجر به، وهذا أحد عقود المعاملات التي تعالج البطالة وعلى ولاة الأمر في الإسلام أن تيسره بإنشاء الأسواق، ومراقبة، وتعليم أوجه التعامل العادلة، وإقراض رأس مال للمتعطل يكفى لبداية عمل تجارى يقتات منه حاجته.

---

(١) دكتور أمين مصطفي عبد الله، أصول الاقتصاد الإسلامي، عيسى الحلبي الأولى ١٩٨٤، ص ٢٦٥.

٣ - الإجارة :

ومن العقود التي تعالج البطالة الإجارة التي أحلها الشرع الحنيف، والتي تعالج البطالة الإجبارية، خاصة إذا علم الفرد أن الإجارة لا تتطلب منه إتقان حرفة من الحرف ، أو إجادة علم من العلوم ، ولكن عليه فقط أن يبذل الجهد البدني في الأسواق ليكتسب قوته ، ولقد أشار القرآن إلى قصة نبي الله موسى ﷺ وكيف كانت الإجارة سببًا من أسباب الخير له؟ حيث اكتسب قوته، وتزوج بابنة الرجل الصالح شعيب ﷺ، وفي وصف هذا الموقف لكليم الله ونبيه موسى قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾[القصص:٢٧، ٢٨] ففي الآية قبول نبي الله موسي ﷺ العمل بالإجارة فرعى الغنم للرجل الصالح، في مقابلة طعامه وإيوائه، وكان في ذلك الكفاية والهناء.

وكذلك كان النبي الخاتم ﷺ يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط [١]، لأهل مكة» [٢]، فالإجارة إحدى مكاسب الفرد وعليه أن يقتدي بهؤلاء الكرام الأشراف من الأنبياء – عليهم صلاة الله وسلامه – لذلك «فإن إتعاب النفس من خلال بذل الجهد لتحصيل قوام العيش لا يعد دناءة حتى وإن كان المستأجر غير ذلك والأجير من أشراف الناس» [٣].

يقول الإمام علي رضي الله عنه: «جعت يومًا فخرجت لطلب العمل في عوالي المدينة فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرًا فظننتها تريد بله فقاطعتها كل ذنوب على تمرة فمددت لها ستة عشر

---

(١) القراريط: جمع قيراط وهي دراهم يأخذها الأجير أجرة على عمله، وقيل هو المكان الذي يرعى فيه.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإجارة، باب رعى الغنم على قراريط، ٢/ ٣٣.

(٣) الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، مكتبة دار التراث ٥/ ٢٩٣.

ذنوبًا حتى مجلت [(١)]، يداي ثم أتيتها فعدت لي ست عشرة تمرة فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأكل معي منها» [(٢)]، وأكل رسول الله من التمر الذي اكتسبه علي، يدل على أنه رزق حلال لا شبهة فيه، وفى ذلك عظة للمتعطلين ألا يحقروا من الأعمال شيئًا مهما كانت، حتى يعالجوا ما هم فيه من تعطل عن الكسب.

إن أجرة المعلم، والطبيب، وصاحب الحرفة مما تعالج البطالة ببذل الأفراد أنفسهم كل جهد ممكن كُلٌّ في مجال تخصصه فيما يستطيعه من عمل؛ فلا ينتظر المتعطلون من يبحث لهم عن عمل وإنما يسعون في أرض الله تعالى سعيًا في طلب الرزق الحلال عن طريق الإجارة التي أباحها الشرع الحنيف قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[آل عمران:١٧١،١٧٢] .

٤ - المضاربة :

ومن عقود المعاملات التي تعالج البطالة المضاربة، وهى عقد يجمع بين العمل والمال، والمضاربة في اللغة مأخوذة من الضرب، وسميت بذلك لأن كل واحد من العامل وصاحب المال يضرب في الربح بسهم، أو لأنه كان العامل يضرب في الأرض ويسافر بالمال ليتاجر به في مختلف البلدان ولقد استدل الفقهاء عليها بقول الله سبحانه: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[المزمل:٢٠].

والمضاربة لغة أهل العراق، والقرض لغة أهل الحجاز وهما اسمان لمسمى واحد وفى الحديث النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ: «لا يبع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض» [(٣)]، وقوله «يرزق الله بعضهم من بعض» دلالة على أن المضاربة مشاركة

---

(١) الذَّنوب بفتح الذال هو الدلو المملوءة، والمدر: التراب المتلبد، قال الأزهري المدر قطع الطين، ومجلت يداي أي خشنت وانتفخت، المصباح المنير.

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والبيهقي وصححه ابن السكن، الإمام الشوكاني، نيل الأوطار.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للباد (١٠ / ١٦٥).

المال مع العمل على أن يكون لكل من صاحب المال وصاحب العمل رزقه المعلوم من قبل؛ ففي المضاربة رزق بعضهم من بعض، وهذه المضاربة هي عين المتاجرة في المال.

وذكر الفقهاء للمضاربة أركانًا ثلاثة: الأول: رأس المال النقدي المعلوم المسلم إلى العامل «المضارب» والثاني: الربح المعلوم بالشرط على الثلث أو النصف، والركن الثالث: العمل الذي على العامل، وشرطها أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين، وتوقيت، والعامل وكيل يتصرف تصرف الوكلاء [1].

إن المتعطل يضارب بالأموال فيشترى بها البضائع ويبيعها بأغلى فيربح ويكتسب وهذا العقد من العقود التي أباحها الشرع الحنيف، به يشتغل المتعطل من أفراد الأمة، كما يدور المال ويعمل فإن تعطيل الناس في الإسلام حرام وفى هذا العقد بعد تعاوني إلى حد بعيد حيث يتعاون صاحب المال مع المتعطل في قرضه المال مع الاتفاق على الربح فيما بينهما قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾[الحديد:٧].

المضاربة على حرفة العمل:

لقد توسع بعض الفقهاء في مفهوم المضاربة بما يفيد في علاج البطالة من القول بجواز المضاربة على حرفة العمل، وأدوات العمل، قال الدكتور عبد الوهاب حواس:« إن فقهاء الحنابلة ذهبوا إلى جواز المضاربة على حرفة العامل جاء في المغنى:» أن من دفع غزلا إلى رجل ينسجه ثوبًا بثلث ثمنه أو ربعه جاز، وعلَّل ابن قدامة ذلك بقوله «بأنها عين تنمى بالعمل فيها فقد دفعها»، ومذهب الحنابلة أنسب لحاجة كثير من الناس إلى التعامل المجاز عندهم وإن خالفوا جمهور الفقهاء الذين قالوا بعدم جواز المضاربة على حرفة العمل [2].

---

(١) على اللبودي، فضل الاكتساب وأحكام الكسب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر الأولى سنة ١٩٩٧، ص ١٦٦، دكتور عبد الوهاب السيد حواس، من أصول الاقتصاد الإسلامي المضاربة للإمام الماوردي، ص ٩٨ وبعدها.

(٢) دكتور عبد الوهاب حواس، من أصول الاقتصاد الإسلامي، ص ١٢٣ نقلا عن ابن قدامه في المغنى.

إن المتعطل قد يكون صاحب حرفة ولكن حرفته تحتاج إلى مواد تقوم عليها كالقماش للخياط، والخشب للنجار، والذهب للصائغ وإذا كانت مادة الحرفة متوفرة مع شخص غير مؤهل للعمل فيها فإن جواز عمل المحترف في مادة غير المؤهل للعمل، مع الاتفاق فيما بينهما على الربح بالثلث أو النصف أقرب لروح الشرع الحنيف الذي حث على الكسب الحلال، مع انتشار المعاملة بذلك في صورة من ملك سيارة أجرة، وهو لا يجيد قيادتها لجهله أو لعذر من الأعذار، وقد أعطاها لسائق يكتسب منها الربح مناصفة بينهما - وهذه الصورة منتشرة بين أوساط السائقين - وهذا من استثمار اختلاف الفقهاء في علاج مشكلة البطالة الاضطرارية، وفي ذلك تحقيق لقول رسول الله ﷺ «يرزق الله الناس بعضهم من بعض».

٥ - الشركة:

من عقود المعاملات عقد الشركة التجارية التي ظهر فيها بجلاء تشغيل المتعطلين وهى في اللغة خلط أحد المالين بالآخر بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر، وعقد الشركة له أنواع مختلفة كلها تصب في علاج مشكلة البطالة وقد بين هذه الأنواع دكتور أمين مصطفى عبد اللاه وَعدَّ منها:

أ - شركة العقود:

وهى عبارة عن اتفاق اثنين فأكثر على أن يدفع كل واحد مبلغًا من المال لاستثماره بالعمل فيه، ولكل واحد منهما جزء معين من الربح، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[ص:٢٤]. وهذه الآية الكريمة دليل على مشروعية عقد الشركة؛ فالخلطاء جمع خليط [١]، والمراد بهم الشركاء الذين خلطوا أموالهم بعضها ببعض، وفى الحديث القدسي يقول رسول الله فيما بلغ عن ربه تعالى: «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإن خانه خرجت من بينهما» [٢].

---

(١) الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢/ ٣١٠.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب البيوع، باب في الشركة، ٣/ ٢٥٣.

ب- شركة الأبدان (أو الأعمال):

وهى عبارة عن اتفاق صانعين فأكثر كنجّارين أو حدّادين أو أحدهما نجار والآخر حداد أو أكثر من اثنين يتفقوا على أن يشتركوا من غير مال على أن يتقبل الأعمال ويكون الكسب بينهم حسب الاتفاق، وحكم هذه الشركة أن يصير كل واحد منهما وكيلًا عن صاحبه في تقبل الأعمال ويصلح هذا النوع من الشركة لتشغيل أصحاب الحرف والصناعات الصغيرة في بداية الحياة العملية للفرد، كما تصلح لتنظيم حالهم وارتباطهم بسوق العمل.

جـ. شركة الوجوه:

وهى أن يشترك اثنان ليس لهما مال، ولكن لهما وجاهة عند الناس توجب الثقة بينهما على أن يشتريا تجارة بثمن مؤجل، وما يربحانه يكون بينهما وبذلك يكون رأس المال هو السمعة الطيبة والثقة.

هذه عقود المكاسب التجارية من خلال عقود الشركة [1]، التي تفيد في علاج المتعطل عن طريق تيسير العمل التجاري سواء كان المتعطل لديه المال الذي يتاجر فيه بالبيع والشراء أو لم يكن لديه رأس المال فيعمل بجهده في الإجارة، أو بسعيه وعمله في المضاربة، أو بحرفته أو وجاهته في الشركة، وهناك عقود أخرى تفيد في علاج البطالة تيسيرًا على المتعطلين كالبيع بالأجل وغيره مما هو مدون في كتب الفقه الإسلامي.

ظهر من خلال التشريعات الإسلامية السابقة مدى ما للإسلام من نظرة شاملة للحياة والأحياء تناسب جميع البشر من بدو وحضر، من هم في إقليم زراعي أو صناعي أو اشتهر أهله بالتجارة فأباح الإسلام للمسلم أن يكتسب رزقه من زراعة أو صناعة أو تجارة وسخر له الكون كله للعمل فيه، قال تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾[الملك:١٥]. فالإسلام حث على استغلال الأرض، فالأرض العاطلة لا يرضى بها فحث على إحياء الموات وإعمار الخراب وفى كل ذلك علاج للبطالة.

---

(١) دكتور أمين مصطفى عبد اللاه، أصول الاقتصاد الإسلامي، ص ١٧٠ وما بعدها.

كما رضي الإسلام للمسلم أن يستغل الموارد الطبيعية في ما ينفعه من صنائع وحرف، وأن يتعلم المسلم الحرفة التي يكتسب منها رزقه خاصة الحرف التي يحتاج إليها الإنسان في إشباع ضرورات الحياة.

ويسَّر الإسلام أيضًا سبيل التجارة والمتاجرة، فاعتبر التجارة بالمال أو بالجهد أو بالخبرة أو بالحرفة أو بالسمعة الطيبة إحدى المكاسب التي يكتسب منها المسلم قوته ومن يعول والإسلام بذلك يعمم دائرة العمل، حتى للإنسان الذي لا يملك قوت يومه إن كان لديه الجهد أو العلم أو الثقة فإن كل هذه الأسباب يتمكن بها المتعطل من العثور على فرصة عمل في مجال التجارة، فإن تحقق معه المال فهذا خير كثير، وإلا ففي بذل الجهد كفاية للحصول على الرزق.

ويتم تحقيق تلك النظرة الإسلامية الشاملة للحياة والأحياء على أرض الواقع من خلال فرد قد تهيأت له التربية الروحية والتحفيز النفسي الذي يؤهله ذلك إلى السلوك المستقيم الذي به يعالج الفرد المتعطل معالجة تامة إن شاء الله.

وفرد مثل هذا قد أتاح له الشرع وقتا للعمل، وجهدًا للكسب، ودافعًا يستحق بذل الجهد من أجله وواقعا لا يناهض الكسب بل يشجعه، ولا يتحقق له ذلك إلا من خلال عبادات الإسلام ودورها في تربية الفرد المسلم تربية سلوكية خاصة.

المطلب الخامس: (أثر العبادات في تربية الفرد المسلم على الكسب)

إزالة إشكال:

لقد خلق الله الإنسان ليعبده وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦]. فهذا حق الله تعالى على عباده فإن أدوا ذلك له، فإنه قد كفل لهم أرزاقهم في معاشهم، فقد قال سبحانه: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[الذاريات:٥٧،٥٨].

والعبادة في الإسلام محلها البدن مع قصد القلب بالنية، ففي الصلاة هيئات بدنية من قيام وقعود وركوع وسجود وهى هيئات بدنية، وفى الزكاة عمل على جمعها وحصرها وعدها وكذلك إخراج قدرها وكل ذلك عمل البدن، وفى الصيام إمساك عن المفطرات التي فيها نفع للبدن، وفى الحج إلى بلد الله الحرام طواف وسعى ورمى ووقوف بعرفات وهى كلها حركات بدنية يقوم بها الشخص لنفسه تعبدًا لله تعالى.

ولما كان العمل والاكتساب للمعايش مطلب من مطالب الشرع الحنيف من الإنسان، محله البدن أيضا فقد يشكل على البعض وجود تنازع بين العبادة في الإسلام والعمل، فيظن إن عبادة العابد تكون على حساب العمل أو إن عمل العامل يكون على حساب العبادة، من أجل هذا الإشكال كانت هذه النقطة لبيان أن العلاقة بين العبادة والعمل في الإسلام ليست علاقة تنازع في المحل، بل علاقة تباين إذ لكل من العبادة والعمل مشروعيته خاصة فإذا أدى الشخص القدر الواجب عليه من أي منهما فقد أسقط المسئولية الملقاة على عاتقة فلا يسأل عنها، كما أن لكل منهما وقته.

إن عبادات الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج كلها لا تصادم طبيعة العمل والاكتساب بل قد تستلزم الاكتساب وتحث عليه ليتوافر لها شرائطها مثل الاكتساب لجمع نفقة الحج أو شراء ما يستر العورة أثناء الصلاة، وسوف يبين الباحث مدى حث العبادات على العمل والاكتساب، عبادة إثر أخرى.

١ -دور الصلاة في إتاحة الوقت للكسب:

إن الصلاة فريضة الله تعالى على عباده المؤمنين، قد حدد لها الأوقات المعلومة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء:١٠٣]. وجاء في التفسير أنه لكل صلاة من الصلوات الخمس وقتا معلومًا محددا ببداية الوقت ونهايته فالصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها [(١)].

---

(١) المنتخب في التفسير، المجلس الأعلى الثامنة عشر سنة ١٩٩٥، ص ١٢٨.

تحقيق واتاحة الوقت للكسب:

ولقد أوضح القرآن الكريم أوقات الصلاة، فقال سبحانه: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[الروم:١٧،١٨]. أوضح أهل التفسير المراد من التسبيح في هذه الآية بأنها هي الصلوات الخمس فقوله: «حين تمسون» صلاة المغرب والعشاء، وقوله: «حين تصبحون» صلاة الفجر، وقوله: «وعشيًّا» صلاة العصر، وقوله: «حين تظهرون» صلاة الظهر، فهذا قول سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما[(١)].

فإذا كانت الصلاة لها الأوقات المحددة فكذلك العمل والاكتساب قد حدد الله تعالى له وقته الذي لا يتعارض مع فريضة الصلاة،فقال ﷻ :﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾[النبأ:١١] أي وقت معاش «والمعاش: العيش، وكل شيء يعاش به فهو معاش، والمعنى: أن الله جعل لهم النهار مضيئًا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الرزق»[(٢)]، ويؤكد ذلك قول الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾[الإسراء:١٢].

الموازنة بين مطلب الدين ومطلب الدنيا

إن الصلاة لا تتعارض في وقتها مع العمل وإذ هي فرض عين فإنها تقدم في الأداء ثم ينظر الإنسان ما يصلح شئون دنياه، لذلك فقد شرع الله ﷻ للأمة في سورة الجمعة هذه الموازنة الكاملة بين إشباع مطلب الشرع في الدين مع مطلب الشرع في الدنيا فقال الله سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي

---

(١) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق دكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، الثانية ١٩٩٧، ٤/ ٢٨٨.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٥/ ٤٨٣.

ﭐلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١ ﴾

[الجمعة٩ -١١].

إن المطلب الديني هنا متمثل في الأمر بحضور الجمعة والسعي إلى المساجد عند مجرد سماع النداء للصلاة، ومطلب الدنيا متمثل في البيع، فلما كان الوقت للصلاة فوجب الاشتغال بها لا غير حتى إذا انقضى أداؤها رجع مطلب الدنيا فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله.

وإذا تم اشتغال بأحد الواجبين في وقت لآخر فقد أخطأ المسلم فقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً ﴾[الجمعة:١١] وهي إحدى مكاسب الإنسان فلا يدع المطلب الديني قبل أن يتم أداؤه فإن أتمه فيفعل الفرد المسلم بعد ذلك ما يشاء من تجارة واكتساب، فهذا التوازن بين المطلب الديني والمطلب الدنيوي وكلاهما أقرهما الشرع الحنيف يدل المتعطل على أن الصلاة فريضة لا تخالف الاكتساب بل تقره.

ومن أجل ذلك لم تحمد الرهبانية في الإسلام والانخلاع عن الدنيا بالكلية واعتبره العلماء من الأمور المكروهة ابتداءً لأنها تؤدي لأمور أخرى منهي عنها، كما أنها تتغافل المطالب الدنيوية، وهذا غير محبب في الدين الصحيح وقد بين الإمام الشاطبي ذلك من خلال ما يلي:

١- إن الله ﷻ أهدى في هذا الدين التسهيل والتيسير وإن ذلك الملتزم بها ليس واجب يشبه من لم يقبل هديته.

٢- خوف التقصير والعجز عن القيام بما هو أولى وآكد في الشرع.

٣-خوف كراهية النفس لذلك العمل الملتزم به؛ لأنه قد فرض من جنس ما يشق الدوام عليه، فتدخل المشقة بحيث لا يقرب من وقت العمل إلا والنفس تشمئز منه. لذلك

ورد في الحديث «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**»[1]، والمتفرغ للعبادة لا يأخذ من الزكاة لأن الإنسان مأمور بالعمل وهو من أفضل القُرَب.

قد يحتاج المسلم إلى الاكتساب كي يتمم شرطًا من شروط صحة الصلاة متمثلًا ذلك في ستر العورة بشراء ثوب يستر به عورته وهو يصلي، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف:٣١]، لذلك فإن عبادة الصلاة تحث المتعطل على إيجاد عمل يكتسب به قوته وأيضا ما تحقق به شرائط الصلاة ومندوباتها.

٢- دور التصدق في تحفيز الفرد على الكسب وإعادة التأهيل:

إن التصدق بالمال أحد القربات والطاعات التي شرعت في الإسلام التي يظهر فيها أثر فاعل في علاج المتعطل نفسيًّا، لأن الصدقة لها أركان هي: «المتصدق، والمُتصدَّق عليه، والصدقة نفسها» ولقد أوضح النبي ﷺ أن المتصدق – وهو صاحب اليد العليا – خير من المتصدق عليه – وهو صاحب اليد السفلى – وذلك حيث قال ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة**»[2].

الكسب من أجل التصدق:

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالتصدق، وكان هذا الأمر دافعًا قويا لكثير من الصحابة إلى بذل الجهد في العمل حتى يكتسب ما يتصدق به اتباعا لما أمر النبي ففي حديث أبو مسعود الأنصاري: أنه كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فتحامل، فيصيب المد ، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف[3]؛ فالحديث نص على أن النبي ﷺ كان يأمر

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن أحمد في مسنده وصححه (١ / ١٠٠).

(٢) الحديث متفق عليه،انظر اللؤلؤ والمرجان، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ١٨٥، رقم ٦١٢.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ١/ ٢٤٦.، والحديث موقوف على أبى مسعود الأنصاري وله حكم المرفوع حيث يصف أمراً من أوامر النبي ﷺ لأصحابه.

أصحابه بالصدقة، ومنهم من لم يكن لديه من المال ما يتصدق به، فكان الواحد منهم يكتسب في السوق حتى يجد ما يتصدق به.

ولكن السؤال، هل كان النبي ﷺ يأمر بالصدقة من أجل كثرة الفقراء فقط أو أن هناك سببًا آخر؟

لاشك أن هناك سببًا آخر، هو إظهار روح التعاون والبذل والتواصي بالخير والحق بين الصحابة أجمعين، وأيضا من أجل أن نشر ضرورة الاشتغال بالمكاسب بينهم، وأن ذلك أفضل من التفرغ لنافلة العبادة، لذلك لما سئل النبي ﷺ أي الصدقة أفضل؟ قال: «**جُهْد المقل، وابدأ بمن تعول**»[1]، قال السندي: جهد المقل بضم الجيم أي قدر ما يحتمله حال من قل له المال، والمراد ما يعطيه المقل على قدر طاقته، ولا ينافيه حديث «**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى**» لعموم الغنى للقلب، واليد [2].

إن الفقير الذي لا مال له، أو معه مالا يكفيه قد دله رسول الله ﷺ على الكسب والسعي وبذل الجهد في العمل والاكتساب حتى يتصدق فصدقته خير عند الله تعالى، وفي ذلك ما فيه من حث على العمل من خلال الأمر بالصدقة لذلك قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة:٧٩]، والشاهد في الآية الكريمة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ ذلك أن أهل النفاق على عهد رسول الله ﷺ كانوا يعيبون على الفقراء من المؤمنين الذين كانوا يتصدقون مما فضل عن كفايتهم، ويحتقرون صاحب القليل لأنه بذل القليل [3]، فلقد كان المجتمع المسلم كله يتصدق غنيهم بما وجد من يسر ورغد، وفقيرهم بما وجد من جهد مبذول، وسعي مشكور.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك ٢/ ١٣٢، حديث رقم ١٦٧٧ وأخرجه النسائي كتاب الزكاة، باب جهد المقل، ٥/ ٥٨،

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي، ٥/ ٥٨، بتصرف واختصار.

(٣) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير، ٣/ ٥٤٧، سيد قطب، في ظلال القرآن ٣/ ٢٦٨.

وفى ذلك خروج من الحالة النفسية المتأزمة التي يكون فيها الفرد المتعطل فإذا تسامى فوق مشكلته وعلا بهدفه كان ذلك مواجهة قوية لحالة الاغتراب الاجتماعي التي يعيش بها، ولذلك فإن كل حديث يأمر فيه النبي ﷺ بصدقة على اليتيم أو الأرملة أو ذوى القربى غالبًا يكون فيه ما يدفع الفرد إلى بذل جهد أكثر ويعينه نفسيًا على الخروج من محنة البطالة إلى منزلة عليا طيبة عند الله وعند الناس إلا وهى الجهاد في سبيل الله، قال رسول الله ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار**» [١]، ولفظة الساعي تدل على حدوث السعي بالفعل مع ما فيه من الحركة والسرعة، وما فيه أيضا من دلالة مرادفة لكلمة العامل المكتسب، ولقد فقه العلماء المسلمون هذه الإشارة إلى أهمية السعي فقالوا: «الاشتغال بالكسب أفضل من التفرغ للعبادة – أي للانقطاع لنافلة العبادة – وذلك لأن منفعة الاكتساب أعم، وما كان أعم نفعًا فهو أفضل» [٢]، ولأن منفعة الاكتساب للإشباع حاجة من يعول المتعطل، ولتحقيق ضرورة متعدية إلى الآخرين، لذلك فهو متقدم في الاعتبار شرعًا على نافلة العبادة.

وبناءً على ذلك كانت الصدقة التطوعية ذات أثر فاعل في علاج الفرد المتعطل نفسيًا من خلال تهيئته للاندماج في المجتمع مرة أخرى في عمل الخير للآخرين.

دور صدقة الفطر في إعادة تأهيل المتعطل للعمل

إن الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه وهو من فقراء المسلمين سأل النبي ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: «**جهد المقل وابدأ بمن تعول** » [٣]، ففي الجواب دلالة قوية على اهتمام النبي ﷺ بالعنصر البشري؛ إذ في العمل والكسب ازدهار الحياة وارتقاء البشر ، وتضييق لدائرة الفقر فلو تصدق الفقير لرفع عن نفسه وصف الفقر؛ إذ الصدقة على النفس ألزم

---

(١) الحديث متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٦٧٥ رقم (١٨٧٨)

(٢) محمد بن الحسن الشيباني، الكسب تحقيق دكتور سهيل زكار، دار الفكر، ص ٥٥.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود والنسائي، قد سبق تخريجه ص٢٢٥.

وأوجب ثم على من يعول الفرد «**وابدأ بمن تعول**» والفقر أحد الآثار السلبية للبطالة ثم يرتفع وصف الفقر عن باقي أفراد المجتمع.

وفى جواب النبي ﷺ إثبات واجب مالي على الفقير، وهذا ليس من التكليف فوق الطاقة إذا علم أن الكسب قد ينزل منزلة الفرض، ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة**»، فقالوا: يا نبي الله: فإن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق**»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فليعمل بالمعروف، ويمسك عن الشر؛ فإنها له صدقة**» [1]، ولذلك ذهب جمهور الفقهاء إلى أن صدقة الفطر، أو زكاة رمضان واجبة على الرؤوس، حتى وإن كان المسلم فقيرًا بشرط أن يكون لديه ما يزيد على قوته، وقوت عياله يوم العيد وليلته، خلافًا لأبى حنيفة الذي اشترط لوجوب زكاة الفطر بلوغ النصاب من زكاة المال، ولكن الجمهور استدلوا بالحديث الشريف الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**صاع من بر أو قمح على كل اثنين صغير أو كبير، حر أو عبد، ذكر أو أنثى؛ أما غنيكم فيزكيه الله، وأما فقيركم، فيرد الله عليه أكثر مما أعطاه**» [2]، وأوضح فقهاء الإسلام هذا العطاء من الفقير [3]، ويبقى البيان الذي أوضحه النبي ﷺ إذ أثبت في حديثه من ذلك على الفقير عطاء تعبدي.

إن البطالة مهما كانت تؤدى إلى فقر الإنسان فالشرع الحنيف يقول: «إن الفقير القادر على الكسب عليه أن يكتسب لأداء ما عليه من واجبات من نفقة على الأهل والولد، ومن صدقة للفطر، وفى هذا التشريع الحكيم ما لا يخفى من إشعار الفرد بكيانه بين الناس، إذ يصبح من أصحاب اليد العليا، وبذلك يزداد ثقة ويصير ذا دور إيجابي فاعل في مجتمعه» [4]،

---

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، ١/ ٢٥١.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب من روى نصف صاع من قمح، ٢/ ١١٧، رقم ١٦١٩.

(٣) دكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، مكتبة وهبة، ٢/ ٩٧٨، ٩٨٢.

(٤) دكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ٢/ ٩٨٤. دكتور محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، المنار ٢، سنة ١٩٩٧، ١/ ٥٠٨

وهذا هدف تربوي وأخلاقي إذ فيه تدريب الفرد المسلم على الإنفاق في السراء والضراء، والبذل في السر والعلن.

ومن أدل الدلائل على أن صدقة الفطر تساعد الفرد على مباشرة العمل، وتؤهله له، ما قاله معاذ بن جبل رضي الله عنه لأهل اليمن لما أراد أن يجمع الصدقة منهم، ففي الحديث «أن معاذ ابن جبل قال لأهل اليمن: ائتوني بعُرُضٍ ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة، أهون عليكم، وخير لأصحاب النبي ﷺ بالمدينة»[1].

بداية لقد طلب معاذ الثياب من أهل اليمن لاشتهارهم بصناعة الثياب وفى هذا الطلب تشجيع على مباشرة ما برعوا فيه أكثر وقد أوضح شراح الحديث معاني هذه المصنوعات التي اشتهر بها أهل اليمن، فالعرض: ما عدا النقدين، والخميس: بالسين المهملة هو الثوب الذي طوله خمسة أذرع، وفى رواية «خميص» الصاد مكان السين قال القاضي عياض: «قد يكون المراد ثوب خميص أي خميصة والخميصة: كساء أسوَد مربَّع له علمان، «ولبيس»، أي ملبوس، والمراد به ما يلبس»[2].

لقد شجع الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه بذلك أهل اليمن وهم من الفقراء على إخراج الصدقة من جنس ما برعوا فيه واشتهروا بصناعته، فصاحب الحرفة ينبغي عليه أن يمارسها لينفع نفسه ومن يعول وليتصدق منها على فقراء المسلمين.

وبذلك تكون التصدق عمومًا، وصدقة الفطر خصوصًا من التدابير التي شرعها رسول الإسلام الحنيف لتأهيل الفرد تأهيلًا نفسيًّا، وعمليًّا يجعله مكتسبًا ساعيًا، عاملًا لا يتعطل عن العمل ولا يقعد عن الواجب، ومما لاشك فيه أن في ذلك تقارب الفرد من مجتمعه حتى لا يشعر بالاغتراب الاجتماعي.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب العرض من الزكاة، ١/ ٢٥١، وذكر ابن حجر: أن تعلق الحديث إلى طاوس صحيح الإسناد، ولكن طاوس لم يسمع من معاذ فهو منقطع، فتح الباري ٣/ ٣٦٦

(٢) دكتور سعد سَعد جاويش، سنن الزكاة، دار الطباعة المحمدية، الأولى سنة ١٩٨٤، ص ٤٢.

٣-دور الصوم في توفير الجهد :

الصوم أحد العبادات التي فرضها الله تعالى على الأمة الخاتمة، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة:١٨٣، ١٨٤].

وحدد الله - سبحانه - أيام الصيام فى العام بأنها شهر واحد منه - هو شهر رمضان - فتقليل أيام الصيام يؤدى إلى حالة من التوافق بين حق الله تعالى على العبد وهذا العمل والاكتساب لذلك قال - سبحانه - في وصف هذه الأيام ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ قال الشوكاني:« أي معينات بعدد معلوم، ومن المحتمل أن يكون في هذا الجمع لكونه من جموع القلة إشارة إلى تقليل الأيام »[١].

الصوم وتوفير الجهد للكسب والعمل:

ولما كان من المقاصد العامة للشريعة التيسير على العباد [٢]، رخص الله للمريض والمسافر، الفطر في رمضان ثم يقضيها بعد زوال العذر وذلك لئلا يجمع الله على العبد مشقتين: مشقة الصوم من ناحية، ومشقة المرض أو السفر من ناحية أخرى، ولما كان التيسير على العباد مقصدًا تشريعيًّا فإنه لما شق على المسلمين صوم النهار كله خفف الله عنهم، ذلك أنه كان في بداية تشريع الصوم إمساك في النهار والليل ولا يباح الفطر إلا عند الغروب وكان ذلك يضر بالاكتساب والعمل فنزل التخفيف والتيسير للتوازن بين حق الله تعالى في أداء الصوم وبين واجب الاكتساب ففي الحديث الشريف «أنه كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن قيس بن صرمة الأنصاري رضي الله عنه كان صائمًا فلما حضر الإفطار، أتى امرأته فقال لها أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، ١ / ٣٣٠.

(٢) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٠، ص ٢٣٨.

رأته قالت: خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ»[1]، فنزلت هذه الآية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]، ففرحوا بها فرحًا شديدًا ونزل قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧]؛ فالحديث يدل على أن الصوم قد جعله الله تعالى متناسبًا مع طبيعة الاكتساب الإنساني فلا توجد مشقة فيه مهلكة للإنسان، كما في أول عهده وفى الحديث أيضًا ما يدل على إن التيسير جاء بسبب قيس بن صرمة رضي الله عنه الذي كان يعمل في يومه.

وقد أفادت رواية هذا الحديث «**أنه كان يعمل يومه في أرضه**»[2]، ودلالة ذلك على تناسب شرعة الصوم مع طبيعة العمل الإنساني، ومن أجل ذلك نهى الشارع عن الوصال في الصوم، كما نهى عن صيام الدهر وما ذلك إلا للمحافظة على قوة المسلم ليقوى على العمل والاكتساب لئلا يقال: إن الصوم يؤدي إلى تعطيل المسلم عن كسبه وعمله، فإذا كانت الصلاة تتيح للمسلم الوقت الذي يكتسب فيه، فإن الصوم يتيح له الكفاءة البدنية التي تهيئه للاكتساب وبذل الجهد والعمل.

هذه هي نظرة الإسلام الحنيف المتوازنة بين عبادة الصوم والاكتساب؛ بينما كان في العهد القديم ما يدل على أن الامتناع عن العمل واجب من الواجبات في يوم السبت ، ففي سفر الخروج من العهد القديم: «احفظوا يوم السبت لأنه مقدس، فكل من يقوم فيه بعمل تستأصل تلك النفس من بين قومها، كل من يقوم بعمل في يوم السبت يقتل حتمًا»[3].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى مخالفتهم لذلك الأمر فقال الله سبحانه: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصوم، باب قول الله (أحل لكم) الآية ١/ ٣٢٨، وأخرجه الدارمي وأبو داود والنسائي.

(٢) هي رواية لأبى داود، كتاب الصوم، باب مبدأ فرض الصيام (٢/ ٣٠٥).

(٣) سفر الخروج الإصحاح ٣١ : ١٤ – ١٦.

﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٥٤، ١٥٥]، والله ﷻ لم يتعبدنا بترك العمل في أي يوم من أيام العام[١]، فضلا عن أن يكون اليوم متكررًا كل أسبوع مرة، فقد سبق الحديث عن التوازن بين صلاة الجمعة وبين المتاجرة بالبيع والشراء ومدى ما في ذلك من توازن يؤدي إلي تسهيل أمر الاكتساب على المتعطل وأثر ذلك في تشغيل المتعطلين.

٤- دور الحج في تيسير المكاسب وتشجيع الحرف:

الحج خامس عبادات الإسلام، وهو فرض على كل مسلم عاقل بالغ مستطيع ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، ومن شروط الحج الاستطاعة وتتحقق بأمور هي الصحة ووجود المال الكافي لذهابه، فاضلا عن قوته وقوت عياله من وقت سفره إلى وقت عودته، كما تتحقق الاستطاعة بتوافر الراحلة، وأمن الطريق.

فالمسلم الذي يذهب لأداء فريضة الحج لابد أن يكون لديه ما يكفيه ويكفي من يعول وهذا الشرط دافع على الاكتساب لجمع نفقة الحج والعمرة ولا غرو، إذ أمر النبي بالمتابعة بين الحج والعمرة فقال رسول الله ﷺ: **«تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث[٢]، الحديد والذهب والفضة»** [٣]، ومعنى المتابعة أي اجعلوا أحدهما تابعا للآخر واقعًا على عقبه، ومعنى نفي الذنوب بسبب الحج والعمرة مفهوم، حيث يؤدي المسلم فرضاُ عليه يكون مكفرًا لذنوبه، أما نفي الفقر بالحج فهذا ما يلفت الانتباه، وما دام الحج ينفي الفقر فهو إذن فيه الاكتساب الذي يغنى صاحبه عن السؤال، فما الذي في الحج من كمالات بها علاج للبطالة؟ يتضح ذلك من خلال ما يلي:

---

(١) دكتور علي الخطيب، الصيام من البداية عن الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، ص ٢٠٩.

(٢) الكير: آلة الحداد، والخبث: الوسخ، شرح السدي على سنن النسائي.

(٣) أخرجه النسائي كتاب الحج باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (٥ / ١١٥).

(أ) إباحة المتاجر للحاج وتيسير المكاسب:

في فريضة الحج أمور كثيرة تساعد المتعطل على العمل فقد أقر الإسلام ما كان يفعله الناس في هذا الموسم – قبل الإسلام – من عقد أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز، يتاجرون فيها، ففي الحديث الشريف «أنه كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية؛ فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة:١٩٨]، في مواسم الحج»[١]؛ ففي فريضة الحج وعبادته يجوز أن يباشر المسلم البيع والشراء ما دام قد انضبط بضوابط الحج وآدابه، قال الله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٩٧]، وضوابط الأخلاق في البيع ألا يغش البائع ولا يكذب ولا يدلس، وقد كان أهل اليمن يحرمون بالحج ولا يتزودون له، ويسألون الناس فأمرهم الله بالتزود، فقال الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٩٧]، وذلك يدل على إباحة المتاجرة للحاج والمعتمر، وهو علاج واقعي لبطالة الأفراد المتعطلين.

(ب) إنشاء الأسواق العالمية:

في فريضة الحج أعمال دولية، فقد امتن الله ﷻ على أهل مكة – وهم أهل تجارة – بمنة الأمن، وجباية الثمرات إلى بلد الله الحرام والرزق من لدنه فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:٥٧]، وكانت هذه إحدى دعوات أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام كما أخبر ربنا في كتابه العزيز فقال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧]، ثم جاء الإسلام وأقر العمل التجاري في الموسم، وأقر الأسواق التي كانت في الجاهلية ونزل قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٨]، وفي

---

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع ٢/ ٣، وفي الحديث قراءة شاذة تعتبر البيان التفسيري للآية الكريمة.

ذلك إشارة إلى أن الله ﷻ أباح الكسب أثناء أداء المناسك، حيث توسطت هذه الآية أحكام المناسك ويمكن أن نستفيد من ذلك أمورًا تعالج بها البطالة منها ما يلي:

١- إنشاء الأسواق العالمية بالحرم المكي، حيث كثر الوافدون عليه مما يساعد على ترويج العملية التجارية لزيادة المستهلكين.

٢- التنوع في الأسواق، فلا تكون الأسواق في السلع الصغيرة فقط، بل وفي السلع المعمرة لتكتسب شهرة عالمية كبقية الأسواق العالمية الأخرى.

٣- أن تقيم الدول الإسلامية فيما بين بعضها البعض تعاونًا سِلَعيًّا وتجاريًّا في هذا المجال، مما يعالج بطالة كل دوله في مجال عمل تجوده وتتقنه.

٤- فتح مجالات كسب أخرى من نقل وشحن ومواصلات وفي ذلك كله تبادل خبرات يفيد جميع دول العالم الإسلامي.

٥- في إقامة هذه الفكرة تعميم للمنفعة، حيث تضمن كل دولة تصنع وتنتج البضائع التي تكدست وتضخمت بها أسواقها لقلة المستهلكين، أن تباع صناعتها وتروج بضاعتها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج:٢٧، ٢٨].

(جـ) الحج وتشجيع الحرف التقليدية:

في أداء مناسك الحج شعيرة الحلق أو التقصير، وشعيرة ذبح الهدي، وشعيرة الإحرام بملابس الإحرام الخاصة للرجال من إزار ورداء، كما أنه في أيام التشريق سنه الأضحية، وفي كل هذه الشعائر أعمال ومكاسب تقوم على حرف ومهن أكدها الشرع، فعلي سبيل المثال شعيرة الحلق تحتاج من يحلق للرجال وهي مهنة يزاولها البعض، ويكتسبون بها قوتهم، وكذا الجزارة، والحياكة من المهن التي شجعتها فريضة الحج حيث لا تتم المناسك إلا بها، ولذلك يفضل النبي ﷺ المحلقين على المقصرين حيث دعا لهم ثلاثًا فقال: «اللهم ارحم

المحلقين»[1]، بينما دعا للمقصرين مرة واحدة، ويفضل للمسلم أن يباشر ذبح هديه بيده وإلا فليشاهده وهو يذبح تشجيعا منه علي تعليم الحرفة ففي ذلك بعد تعليمي، ولا أرى النبي ﷺ بين تلك الأعمال إلا فهمًا للوصف الذي وصفه الله لفريضة الحج فقال: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[الحج:٢٨]، فإنني أرى من هذه المنافع المادية تلك الأعمال المرتبطة بالشعائر والمناسك فيها العمل على تشغيل المتعطلين من خلال ابتغاء فضل الله الذي أباحه الله للحاج والمعتمر.

(د) نفقة الحج وتوفير رأس المال لتشغيل الشباب:

من الممكن أن يعمل المسلم على تشغيل الشباب إذا وفر نفقة الحاج، خاصة إذا كان تطوعًا ونافلة وأعطاها للمتعطل كرأس مال يبدأ به مشروعًا تجاريًا أو صناعيًا أو زراعيًا، وقديما عاب الإمام الغزالي على المتدينين من أرباب الأموال «أنهم ربما يحرصون على إنفاق المال في الحج، فيحجون مرة بعد أخرى، وربما حاجة جيرانهم إلى المال لسد الجوع أو ستر العورة ضرورية فذاك أولى بالإنفاق»[2]، وإن نفقة الحج إذا وفرها المسلم ووهبها أو منحها للمتعطل تعد لونًا من ألوان القربات التي يأجره الله ﷻ عليها أجرًا حسنًا؛ إذ فيها حسن التعاون على الخيرات، وإقالة للعثرات، وفك للكربات، وإذا تحقق ذلك نضمن رأس المال المتداول بالتجارة وهو أحد ركائز التجارة، وقلته إحدى آثار البطالة الاقتصادية.

هذا هو دور العبادات المفروضة في الإسلام في تنشئة الفرد المسلم على طاعة ربه في دينه ودنياه، وطلبه الأجر الأخروي من العمل الدنيوي في موازنة وانسجام لم يوجد لها مثيل في أي دين من الأديان، وسبحان من أمر العباد بالاستمساك بحبله، والاهتداء بهديه فقال ﷻ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الزخرف:٤٣].

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين. ٣/ ٥٦٥، دكتور يوسف القرضاوي، فقه الأولويات، مكتبة وهبة الثانية ١٩٩٦، ص ٢٤٨.

المبحث الثالث

الوسائل الأخلاقية في علاج مواجهة البطالة

المطلب الأول: الوقاية من عوامل الهدم:

إن المراد من عوامل الهدم الأخلاق والصفات الأقوال التي تحبط المتعطل، وتجعل من نفسيته عامل هدم للمجتمع ومعاداة له، وفي الحقيقة من نظر في الإسلام يرى أن جميع العوامل المثيرة للبطالة قد نهى عنها، في حين قد دعا لكل ما يؤدي للتحقيق عوامل البناء.

ومنزلة الأخلاق في الإسلام بمنزلة القلب من الجسد، وهى أساس للبعثة النبوية قال الرسول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» [(١)]، والأخلاق كوسيلة من وسائل علاج ومواجهة البطالة، تظهر أهميتها في تهيئة المرء نفسيًا واستعداده للإقبال على الكسب والعمل، وذلك بعد أن يتجرد من الأخلاق الذميمة التي أقعدته عن العمل، واتقى تلك الخلال التي تبرر له البطالة، أو تزين له سوء عمله.

كما تدرك أهمية الأخلاق من خلال علاقة الخلق بالسلوك الإنساني، فقد اعتبر علماء الأخلاق أن السلوك أثر للخلق، قال الدكتور محمد ربيع الجوهري: «فالخلق صفة النفس الباطنة، وهو يدرك بالبصيرة، والسلوك من صورة النفس الظاهرة ، وهو يدرك بالبصر ، فإننا نستطيع أن نقول: إن العلاقة بينهما هي علاقة الدال بالمدلول، إذا كان سلوك الإنسان حسنًا محمودًا كان خلقه حسنًا محمودًا» [(٢)].

ولما كانت الأخلاق منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم، كان البحث عن الأخلاق التي تساعد على تفشى البطالة بين أفراد المجتمع ضروريًا ليتجنب المسلم تلك الأخلاق،

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، في البخاري، بالأدب المفرد، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه ١/ ١٠٣.

(٢) دكتور محمد ربيع الجوهري، أخلاقنا، دار الطباعة المحمدية، الأولى ١٩٨٥، ص ٧٤.

أو يتخلى عنها لو كان متخلقًا بها، كما أن معرفة الأخلاق التي تساعد على علاج البطالة ضروريًا حتى يكتسبها الفرد ويتهيأ بها باطنيًا لمواجهة البطالة لينال المرء نصيبًا من قول الرسول ﷺ: «**إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا**»[1]، لذا فإننا بصدد مقامين مقام تخلية عن أخلاق تساعد في نشر البطالة، ومقام تحلية بأخلاق تساعد في مواجهتها وعلاجها، وأشار لذلك الإمام الغزالي رضي الله عنه في إحياء علوم الدين[2]، ومن مقام التخلية ما يلي:

١-التواكل :

التواكل صفة ذميمة حين يظن المتواكل أنه يفعل ما فيه مرضاة الله ﷻ بينما هو في واقع الأمر يخالف دين الله وشرعه جاء في الحديث أنه: «فلما كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون؛ فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧]، والتواكل أحد الأسباب الأخلاقية للبطالة، ولقد فطن الفاروق عمر رضي الله عنه لخطورة التواكل إذ رأى قومًا جالسين في المسجد بعد الصلاة، بدعوى التوكل على الله، فعلاهم بدرته، وقال: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠].

فالتواكل من الأخلاق التي عاقب عليها عمر رضي الله عنه لندرك أن ترك الكسب جريمة يعاقب عليها المجتمع، وأغلب الظن أن نهى النبي ﷺ عن المسألة كان بسبب تلك الصفة الذميمة، لذا قال ﷺ: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من يسأل أحدًا فيعطيه**

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٤/ ٥٦.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، ٣/ ٧٩، ابن قدامة المقدسي منهاج القاصدين، ص ١٥١.

أو يمنعه»[1]، فالتواكل خلق ذميم لم يرضه الإسلام لأي مسلم، حتى يعيش عيشة الكسب والعمل ففي ذلك عزة للنفس، وتحقيق لكرامة النفس الإنسانية كما خلقها الله تعالى.

٢ - صفة الكسل

قال الأصفهاني عن الكسل: «هو التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه، ولأجل ذلك صار مذمومًا» [2]، فالكسل عن أداء الصلاة وصف ذم الله به المنافقين فقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]، والكسل عن أداء الكسب الواجب كذلك مذموم، ولذا كان التنديد والتهديد للقاعدين الذين لم يخرجوا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك.

والفرد قد يقعد عن الكسب تكاسلًا فالمسلم الحق لا يكسل عن أداء الواجب، ولذلك كان من دعاء الرسول ﷺ: «**اللهم أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين، وغلبة الرجال**» [3]، فمن جملة ما تعوذ منه النبي هذا الخلق، وما تعوذ منه إلا لسوء منقلب أهله، ولخطورة الكسل على أداء صاحبه يحرص الآباء على مجانبة أبنائهم لهذا الخلق الذميم ومما قيل في ذلك أن أحد العلماء كان له ولد لزم منزل أبيه، وقعد فلم يزرع، ولم يطلب رزقًا، فعاتبه أبوه في ذلك، فقال له الولد: «إن كان لي رزق فسيأتيني» فإذا بأبيه يوجهه إلى ترك الكسل والاتجاه للعمل ، فقال له:

وما طلب المعيشة بالتمني	ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئ بملئها طوراً وطوراً	تجـيء بحمأة وقليـل ماء [4]

(١) الحديث متفق عليه اللؤلؤ والمرجان،، فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي ص١٨٨، رقم ٦١٨.

(٢) الراغب، مفردات غريب القرآن، ص٤٣١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الدين وقهر الرجال، ٤/ ١٠٧.

(٤) محمد عطية الإبراشي، عظمة الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب سنة ٢٠٠٢، ٢/ ٣٣٩ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢٦١.

إن الكسل صفة ذميمة لها علاقة بحالة بطالة المرء، خاصة إذا طالت فترة البطالة حيث يصاب المرء بحالة من إلف القعود، وصعوبة القيام إلى أداء مهام الحياة فيصير عبئًا ثقيلًا على أسرته ومجتمعه، كَلٌّ على والديه، فإذا علم الإنسان أن الكسل صفة ذم وخلق سيئ تنزه عنه، وتبرأ منه، وتهيأ لكسب رزقه بيده.

(٣) السخط والجزع عند المصائب:

قد يكون الرضا عند السراء، والسخط عند المصائب والضراء من صفات النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج:١٩-٢١]، ولكن ليس كل إنسان بهذه الصفة فقد استثنى الله تعالى عباده المؤمنين من التخلق بهذا الخلق فقال ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج:٢٢]، وقد سبق أن البطالة ابتلاء من الله ومصيبة من المصائب قد تصيب الفرد في فترة من الفترات فيسخط ويجزع حتى يكون كمن يعبد الله على حرف، كما قال ربنا في كتابه العزيز: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١]، فسخط الفرد الذي تعطل عن الكسب لن يزيده إلا بعدا من الله ﷻ ولن يصيبه إلا ما كتبه الله له، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١]، فعلى المرء أن يتجنب هذا الخلق لمصادمته مع العقيدة، والشريعة.

أما مصادمة ذلك مع العقيدة، إذ الواجب على الفرد أن يؤمن ويرضى بقضاء الله وقدره، وهو أحد أركان الإيمان، وأما مصادمة ذلك مع الشريعة، إذ الواجب عليه أيضا أن يأخذ بأسباب المكاسب التي بينها الله ورسوله في أحكام ديننا الحنيف، لذا يعتبر السخط على البطالة خلق ذميم إذ يزيد سخط الفرد على الحال الذي هو فيه قلقًا ،واضطرابًا يجعله لا يضبط أموره ، ولا يحكم تصرفاته إلا إذا تخلق بالرضا والصبر، ولم يسخط على قدر الله تعالى عليه.

(٤) اليأس والقنوط:

هذه الصفة تصور الفرد في صورة لا يرضاها الشرع الحنيف فقد ورد النهى عن اليأس صريحًا في كتاب الله مما يدل على تحريمه، فقال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وقد سبق ما للبطالة من آثار سلبية على الفرد تظهر على سماحته الشخصية، وانفعالاته، واليأس من روح الله خُلُقٌ يمثل القمة من هذه الآثار، من أجل ذلك ورد النهي عنه صريحًا، حيث إنه يمثل ذهولًا عن فضل الله عليه بأمر تدبير الكسب، واليأس: «انتفاء الطمع» [١]، أما القنوط «فهو اليأس من الخير» [٢]، قال الله ﷻ: ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٥،٥٦]، وقد ذكر الله سبحانه حالة الإنسان عندما يمسه الضر، فقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس:١٢]، حتى إذا اشتد عليه أذي الضر، أو طالت فترته فإنه يصاب بالقنوط واليأس، فقال عز شأنه: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩]، وبين جار الله الزمخشري ذلك فقال: قد بولغ في اليأس والقنوط في الآية الكريمة من طريقتين: من طريق بناء اليأس على فعول «وهي صيغة مبالغة» «ومن طريق التكرير» [٣]، فقد عطف صفة القنوط على اليأس لتأكيده ولمزيد بيانه؛ فالقنوط «أن يظهر على الفرد أثر اليأس فيتضاءل وينكسر: أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه» [٤]، مع ما فيه صيغة المبالغة، وعطف البيان من دلالات على الشدة.

ولما كان القنوط من رحمة الله، واليأس من روحه من الأخلاق الذميمة التي لا تليق بعباد الله الصالحين، ولا تليق بالكائن الذي كرمه الله ﷻ لذلك نهى الله عنه في كتابه، فقال:

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٥٥٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٤٥٧، وانظر البيضاوي ٢/ ٣٥٦.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]، وبذلك يعرف تحريم اليأس والقنوط على الفرد إذا أصيب بهما جراء حالة تعطله عن العمل مع البحث عما يخرجه من هم البطالة وكربها.

المطلب الثاني: تفعيل عوامل البناء

إن المراد من التفعيل هنا تعلم المرء هذه الأخلاق التي تمثل عوامل نفسية ودينية دافعة ومحفزة على الخروج من البطالة إلى العمل والاكتساب، والنظر في توجيه العلماء والمربين، ففي ذلك أخذ بأسباب البناء النفسي.

إن الأخلاق التي يجب أن يتحلي بها المسلم – عمومًا – أكثر من أن تحصى أو تُعَدَّ، ولكن إذا وصف الفرد بالبطالة فإن الأمر يختص بصفات وأخلاق معينة إذا ما تخلق بها الفرد واكتسبها خلقًا له، إلا كانت بمثابة الأخذ بأسباب العلاج الوقائي المساعد في مواجهة البطالة كصفة عامه تسود المجتمعات، وقد يقلد إنسان الآخر في خلقة، لذلك فإن الفرد إذا خرج من حالة الكلال والملال الذي يحيا فيه إثر تبطله عن العمل، واعتبر من نفسه قدوة للآخرين، فيتوكل على الله، ويتحرك باحثًا عن الكسب المناسب، ويرضى بقضاء الله، ويصبر على البلاء، ويتجلد ويتحمل ويثابر في مواجهة هذه المشكلة، فلا شك أنه سينال أجرًا حسنًا عند الله ﷻ وكيف لا؟! والله يقول في محكم التنزيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

١- خلق التوكل على الله:

إن المسلم يجب عليه أن يتوكل على الله ، الذي يرجع إليه الأمر كله في هذه الدنيا ، وإليه يرجع الناس في الآخرة ، فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، والمسلم يتوكل على الله اقتداءً بأنبياء الله، ورسله الكرام، فأخبر الله عنهم حيث قال: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم:١٢]، والإنسان يتوكل على الله لأنه سبحانه هو الذي يكشف البلوى قال الله سبحانه: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[النجم:٥٨]، كما أن الله تعالى هو الذي له مقاليد كل شيء في السموات

والأرض وصدق ربنا حين قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٢، ٥٣]، ومن هنا يدرك المسلم أهمية خلق التوكل على الله ﷻ في مواجهة البطالة؛ فالخير والشر بإرادته وهو يفعل ما يشاء ويختار، ولذلك أمر الله عباده بالتوكل عليه فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة:١٠].

والرسول ﷺ توكَّل على ربه حق التوكل، في أموره كلها: وللإنسان المسلم قدوة في الرسول ﷺ حينما اشتد عليه أذى قومه لم يجزع، بل ازداد توكلًا على الله فقال: «**يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري**»[١]، كما حث النبي ﷺ أمته على التوكل على الله في أمر الأرزاق خاصة فقال: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»[٢].

لذلك كان خلق التوكل من أجل الأخلاق التي حرص العلماء والمرشدون والمصلحون والمربون على تنشئة تلامذتهم، وأتباعهم، وأبنائهم عليها، والتوكل يظهر تأثيره في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده، «وسعي العبد باختياره قد يكون لجلب نفع هو مفقود عنه كالكسب، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار، أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع السارق، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض»[٣]، فخلق التوكل أول ما يلزم الفرد الذي لم يجد العمل، خاصة إذا علمنا أنه لا يتنافى مع الأخذ بأسباب المكاسب، فمن توكل واكتسب

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، ٢/ ٢٦٥.

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن أحمد في مسنده، والترمذي، وابن ماجه في السنن، والحاكم في مستدركه، وصححه ٢/ ١٢٩، مسند الفاروق، (٢/ ٦٣٦).

(٣) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤/ ٣٦٨، ابن قدامه المقدسي، منهاج القاصدين الدعوة، بدون تاريخ، ص٣٣٣.

بالعمل كان بمنزلة عظيمة عند الله تعالى ، وعند الناس، وهو من أقوى عوامل بناء نفسية المتعطل في سبيل مواجهة صعاب الحياة، ومقارعة الأبطال في المكاسب.

(٢) خلق الصبر على البلاء.

إن العبد المؤمن يصبر على ما أصابه الله تعالى من مصائب ومحن حتى يخرج من المصيبة بالأجر والمثوبة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر:١٠]، جاء في الجامع لأحكام القرآن أن:« الحسنة الأولى: الطاعة، والحسنة الثانية: الثواب في الجنة، وقيل: المعنى للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في الدنيا، ويكون ذلك زيادة على ثواب الآخرة، والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة»[١]، ويدخل في ذلك أيضا تيسير الله للمسلم، الصابر على البلاء والآخذ بأسباب الكسب الذي يناسبه.

ولقد أمرنا الله بالصبر فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، فالتخلق بالصبر على ضر البطالة ضروري، حتى لا يصاب الفرد بالإحباط من شدة معاناة البطالة من فقر وجوع واحتياج ، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥].

وقد نصح النبي ﷺ أصحابه ﷺ إذ اشتكوا إليه أذى قريش، «وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقالوا: ألا تستنصر لنا؟ إلا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»[٢]، ففي الحديث حثٌ علي الصبر على ما أوذوا به من قريش وتذكير بشأن

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٢٠٤، المجلد الثامن.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل على الكفر ٤/ ٢٠٠.

السابقين، وبشارة بأن ما بعد الصبر إلا الظفر والنصر والخير إن شاء الله، وهو وعد الله تعالي في كتابه المؤمنين وعدًا – ووعده لا يتخلف – فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥،٦]، فعلى الإنسان أن يدرك علاقة هذا الخلق بمواجهة بطالته ، وما فيه من بشارة نبوية وقرآنية بعد الصبر إن شاء الله.

وكيف يذهل الإنسان المتعطل عن هذا الاستفهام الإنكاري الذي يؤكده الله له في القرآن حقيقة ماثلة شاهدة عليه، فيقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة:١٦]، فهذا تقرير للفرد على ضرورة الصبر عند ملاقاة النوائب وأهمية بذل الجهد وفى ملاقاة الحياة وما فيها من عداوات ومصائب تهون بالصبر وبذل الجهد مع إخلاص القصد، والنية في ذلك لله رب العالمين.

(٣) خلق المصابرة:

هذا الخلق يحتاج إليه الإنسان إذا ما طالت فترة بطالته فلا يجزع ولا ييأس من روح الله، لذلك عطف الأمر بالمصابرة على الأمر بالصبر فقال تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران:٢٠٠]، لأهمية المصابرة إذا قلت الأسباب أو ضاقت السبل، أو طالت فترة البطالة، أو عظم الاحتياج إلى ضرورات الحياة.

(٤) خلق الإنجاز والنشاط في قضاء العمل:

على الإنسان أن يقوم بإنجاز ما أسند إليه من أعمال بسرعة مناسبة؛ وإلا فإنه يجب عليه أن يتحرك وينشط في البحث عن العمل حتى إذا وجده تحرك ونشط في إتقانه وتنفيذه أو في التدريب عليه، أو تنمية مهارته في الحرفة التي يزاولها.

وخير قدوة في الحركة والنشاط والتفاعل مع كون الله تعالى تأثيرًا وتأثرًا خاتم الأنبياء ﷺ حيث تاجر وربح «واشترى طعامًا من يهودي إلى أجل ورهنه درعًا من

حديد »[1] ، كما جاهد في سبيل الله ﷻ وأحل الله له الغنائم، فإن لحركة العامل الأثر الإيجابي الذي يظهر صدق الفرد مع نفسه في علاج البطالة، سامعًا مطيعًا لله في أمره بالمشي في الأرض وجوانبها إذ علم أن ترتيب الأكل من رزقه على المشي في مناكب أرضه إشارة إلى أهمية الحركة في علاج البطالة فقال عز شأنه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥].

ولا يقال إن الحركة أمر ظاهري والخلق أمر باطني وذلك لأن:«العلاقة بين الخلق والسلوك علاقة الدال بالمدلول كما قلنا، وإذا ساء سلوك الفرد كان دالا على سوء خلقه »[2]؛ فالحركة والانتقال في أرض الله طلبًا للكسب دليل على صدق الإنسان مع نفسه في مواجهة البطالة، وتظهر الحركة في أظهر معانيها في كسب التجارة حيث تجلب السلع من أقاصي البلاد لتباع في بلاد أخرى بدافع الحاجة، وقد ذكر علماء الاجتماع أهمية الحركة في علاج البطالة[3].

إن هذه الأخلاق ذات الدور المؤثر في تربية الفرد على الكسب والعمل هي الوسيلة الثالثة في الإسلام التي تعتبر من التدابير التي أقرها الشرع الحنيف لعلاج ومواجهة البطالة، وبذلك يظهر أن الإسلام بعقيدته وشريعته، وعباداته ومعاملاته، وأخلاقه التي أمر بها والتي نهى عنها في كل ذلك علاج جذري للبطالة من بين جنبات المجتمع الإسلامي.

❋❋❋❋

(١) أخرجه البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون، باب من اشترى بالدين وليس عنده ثمنه، ٢/ ٥٥.

(٢) دكتور محمد ربيع الجوهري، ص ٧٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، مكتبة التوفيقية، ٤٣٦.

الفصل الرابع

الجانب العملي

من علاج الإسلام للبطالة

- الزكاة في الإسلام.
- الوقف في الإسلام.



المبحث الأول

الزكاة في الإسلام

في هذه النماذج التطبيقية سوف أقف على نموذجين اثنين من الشريعة الإسلامية السَّمحة، أحدهما: فرض إجباري على أغنياء الأمة، والثاني: ندب الشارع الحكيم الأمة إليه.

أما النموذج الأول: فهو الزكاة بمصارفها ومقاصدها وعلاقتها المباشرة بالبطالة من حيث تدبير كفاية للمتعطلين بالعمل والتشغيل وذلك بتحقيق المكاسب الأصلية فى المجتمع من زراعة ، وصناعة ، وتجارة ؛ فالزكاة تتدخل فى كل ما يؤدى إلى التنمية الشاملة في المجتمع الإسلامي.

وقد أطلت الحديث حول الزكاة لأنها تتسم بالفرضية الإسلامية والعبادة الربانية التي لها صفة الإلزام.

وأما النموذج الثاني: هو الوقف وما له من دور مؤثر في علاج البطالة إذا قام فانتبه أصحاب رؤوس الأموال لخطورة المشكلة وضرورة إنفاق المال في سبيل تشغيل المتعطلين وتفعيل خلق الإيثار وعمل البر، والخير من الوقف على جماعة المتعطلين ولو فى مجال من المجالات، والوقف مثال من عديد النماذج التي ندب الشرع الإسلامي الحنيف الأمة إلى تعاونهم به وتكافلهم.

المطلب الأول: (مدخل إلى فريضة الزكاة)

من الأفضل قبل الشروع في هذا الفصل من الدراسة أن أقوم ببيان أن الإسلام لم يرتض بالبطالة حالًا لأحد من البشرية سواء من اتبعه من المسلمين أو من غيرهم، فاعتبر التعطل عن العمل معصية، وأن الرسول ﷺ عاون، وهيأ، ودرب المتعطلين على بذل الجهد، ثم سار على هديه الخلفاء الراشدون، وأن علماء الإسلام؛ لما فهموا ذلك فقاموا يبينون وجوب الكسب وأخذوا يبحثون للأمة عن المكاسب وطرقوا سبلها، ويتوسعون في دروبها وطرقها.

ولا يخفى على كل مسلم ما للزكاة من دور هام في علاج ومواجهة هذه المشكلة، وما تتسم به هذه الفريضة من واقعية عند علاج المشكلات، ولكن دورها يأتي بعد أن يبذل المتعطل الجهد فى البحث عن الكسب أو بذل الجهد في عمل ما من الأعمال سواء عثر الفرد المتعطل على العمل من بحثه بنفسه، أو بتوفير المجتمع العمل له، فبذل الجهد غاية خطيرة في علاج البطالة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة:٧٩]، فإذا تم بذل الجهد من قبل المتعطل ومازال على نفس حالة البطالة هنا تدخل الزكاة بدورها لعلاج البطالة، لذلك سوف نجد أن الزكاة لا يستحقها كل متعطل.

وفى هذا الفصل بيان أثر الزكاة كعبادة من العبادات في علاج البطالة، وأود أن أبين أن هذا الفصل ليس تكرارًا لما سبق قوله، فهناك أخذت المفهوم الشامل للصدقة التي تعم الفريضة والنافلة بصفة عامة كهدف يسمو بالمتعطل، أما في هذا الفصل فأفصل فيه أمر الزكاة المفروضة خاصة ودورها في علاج ومواجهة مشكلة البطالة، كنموذج من النماذج العملية الواجبة والدائمة للأمة، وخير معين في علاج مشكلات الأمة.

ولقد نادى بعض العلماء الغربيين:«بضرورة المساعدات الخيرية للمتعطلين الذين يمثلون أعدادًا كبيرة من سكان العالم، وذلك لدمجهم في المجتمع وذلك على سبيل الطواعية والاختيار» [1]، لكن الإسلام ذهب إلى ذلك بصورة أرقى، وعلى سبيل التكليف الشرعي والالتزام الخلقي والعقدي من خلال اتخاذ البذل المالي بين العباد حق الله ﷻ على عباده جعله واجبًا ماليًا على الغني للفقير.

(أ) التعريف بالزكاة:

الزكاة لغة: النماء والزيادة، والطهارة، وبكلٍّ من هذين المعنيين جاء استعمال العرب في لغتهم، وأدلة الشرع الحنيف، فمن الأول قولهم زكا الزرع أي نما وزاد، ومن الثاني، قوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وسمى هذا الحق زكاة بالاعتبارين زيادة وطهارة [2].

---

(١) هانس بيتر وزميله، فخ العولمة، ص ٤٠.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت لبنان ص٢١٣، الفيومي، المصباح المنير ص ١٥٤، ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٢/ ١٨٢.

واصطلاحًا: «عبارة عن مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص إذا بلغ قدرًا مخصوصًا فى زمن مخصوص يصرف فى جهات مخصوصة»[1].

والزكاة كأحد أركان الإسلام الخمسة، وإحدى العبادات التي تعبَّد الله ﷻ بها الأمة الخاتمة من خلال بذل المال، فكانت خير ما يعبر عن طهر النفس من البخل والشح، وطهرها من الذنوب مع أن النفس الإنسانية جبلتها مفطورة على حب المال حبًّا جمًّا.

وهى واجبة على كل مسلم بلغ ماله النصاب وحال عليه الحول ، فرضت في العام الثاني من الهجرة المباركة. وقد بين الله تعالى مصارفها. كما بين النبي ﷺ مقاديرها، وتكون في الماشية، والزروع، والنقدين، وعروض التجارة، والركاز، وفى القرآن الكريم العديد من الآيات التي قرنت بين الأمر بالصلاة والزكاة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] ، وقال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣]، وقد كثرت الآيات التي تحث على الصدقة وتبين عظيم جزاء المتصدقين، وفى ذلك الأمر كفاية دالة على الوجوب.

وثبت من السنة النبوية العملية أن رسول الله ﷺ بعث صاحبه معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن وقال له: «**فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم، وترد على فقراءهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس**»[2].

والزكاة ثالث ركن من أركان الإسلام الخمسة، بعد شهادة التوحيد، وإقامة الصلاة، طلبها الرسول ﷺ من الأغنياء، وأرسل عماله فطلبوها ليضعها فى الفقراء، ثم جاء الصديق

---

(١) أبو الحسن علي المالكي، المقدمة العُزِّيَّة للجماعة الأزهرية، مكتبة المشهد الحسيني، ص١١٨، عبد الله محمود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ١/ ١٣١.

(٢) الحديث متفق عليه، اللفظ للبخاري، كتاب الزكاة ١/ ٢٥٤، محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان، حديث رقم ١١، ص١٤.

أبو بكر رضي الله عنه فطلبها ليضعها فيما وضعها فيه رسول الله فامتنعت بعض القبائل عن أدائها، وفي الحديث الشريف أنه لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر رضي الله عنه، نادى يقاتل مانعي الزكاة وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»**؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا [1]، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها» قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق»[2].

فقد جاء الخلفاء الراشدون الهداة المهديين جميعًا بعد الرسول يقتدون به ﷺ في جمع الزكاة من أغنياء الأمة في ربوع القبائل العربية المسلمة، وتوزيعها بين فقراء الأمة في ربوع القبائل العربية المسلمة؛ فكانت هذه الفريضة المالية، مواساة للفقراء والمساكين، ومعونة للمحتاجين، وبلاغًا لأبناء السبيل، ومظهرًا من مظاهر التكافل في الدين الإسلامي في أرقى صوره التعاونية وأسمى درجاته؛ إذ يأخذ الفقير حقه من الغني بلا مَنّ من غنى، ولا مذلةٍ في فقير، وكيف يمن الغنى، أو يذل الفقير وقد جعل الله الزكاة حقًّا معلومًا للسائل والمحروم؟! فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[المعارج:٢٤،٢٥].

والزكاة المفروضة لها شروط تجب بها في مال المسلم ، بينها دكتور يوسف القرضاوي وهى: «الملك التام، والنماء، وبلوغ النصاب الذى بينه رسول الله ﷺ في سنته من نصاب النقدين، والإبل والغنم، والزروع والثمار، وأن يكون المال فائضًا عن الحوائج الأصلية، والسلامة من الدين، وضرورة مرور الحول على النصاب»[3]، وللعلماء مزيد تفصيل لهذه

---

(١) العناق: هي الأنثى الصغيرة من الماعز.

(٢) الحديث متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص ١٥، حديث رقم ١٣.

(٣) دكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، مكتبة وهبة، سنة ٢٠٠٣، ١/ ١٤٦ وبعدها.

الشروط مبسوطة في كتب الفقه الإسلامي، وبذلك تجب الزكاة بصورة حكيمة تدفع إلى زيادة المستوى الاقتصادي للأمة إذ في هذه الشروط ما يعين المسلم على بلوغ الطمأنينة والوفرة، والرخاء، وإنماء رأس ماله، وعمله.

(ب) الزكاة دخل دائم للأمة:

إذا تحققت هذه الشروط في المال المرصود للنماء فقد وجبت فيه الزكاة كحق من الحقوق المتعلقة بالأموال ، والمال الحاصل من الزكاة يصير حقًّا لأحد المصارف الثمانية التى بينها القرآن الكريم فى قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

إن الأموال التي تؤخذ منها الزكاة لابد أن تكون نامية بالفعل، أو قابلة للنماء فالمقصود من شرعية الزكاة مواساة الفقراء، والإيجاب في المال الذي لا نماء له أصلا يؤدى إلى خلاف هذا المقصود عند تكرر السنين، وبهذا النماء يتحقق قول رسول الله ﷺ: **«ما نقصت صدقة من مال»** [(١)]، والمعتبر في هذا الشرط أن يكون المال معدًّا للنماء، فالأنعام نامية برعيها نماءً طبيعيًّا، وعروض التجارة مال ينمو بالربح واعتبره الإسلام نماءً شرعيًّا حلالًا، والنقود أموال نامية لأنها بديل السلع، فإذا استخدمت فى الصناعة والتجارة ونحوها أنتجت دخلًا، يقول الرسول ﷺ: **«ليس على المسلم فى عبده وفرسه صدقة»** [(٢)]، قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا الحديث أصل في أن أموال القنية – أي الاقتناء – لا زكاة فيها، إذا لم تكن للتجارة» [(٣)].

يتضح مما سبق أن الزكاة دخل دائم مستمر كل عام للأمة، الحكمة منه نماء الاقتصاد الإسلامي من ثروة حيوانية، وزراعية، ونقدية لذلك أمر الرسول ﷺ، الوصي على مال اليتيم

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، عن أحمد ومسلم والترمذي، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه، ٧/ ٥٥.

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ٧ / ٥٥.

أن يتاجر فى ماله فقال ﷺ: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة»[1]، كما يكون للزكاة دورها الفعال فى علاج مشكلة كالبطالة إذ تستثمر أموال الزكاة فى فتح المشروعات الضخمة كثيفة العمالة سواء فى الصناعة الثقيلة أو الخفيفة ، أو فى التجارة والمشروعات الصغيرة، أو في تهيئة الأراضي للزراعة ففي كل ذلك تثمير لأموال الأمة المتمثلة في الزكاة التي تعتبر دخلًا ماليًا ذاتيًا دائمًا للأمة الإسلامية فيه العلاج الأكيد لمشكلة البطالة.

المطلب الثاني : (العلاقة المباشرة للزكاة في علاج البطالة)

لاشك أن علاقة الزكاة كمورد مالي للأمة له العلاقة الواضحة المباشرة في خلق المزيد من الأعمال، وإلا التوسع في الأشغال المعتادة المتبعة من أصول المكاسب التي سبق بيانها، ويتضح ذلك فيما يلي من نقاط:

(أ) استحقاق الفرد المتعطل (القادر المكتسب) الزكاة:

من المتفق عليه أن الزكاة تُستَحق بالحاجة، وبقدر شدة الحاجة وضرورتها يكون الاستحقاق أولى، ولما كان المتعطل عن العمل بطالة إجبارية – أي بعد القدرة والبحث عن العمل دون العثور عليه – من أصحاب الحاجات حلت له المسألة ولا تحل إلا لضرورة.

إذا جرت العادة بالمسألة ولم يستنكف الناس عنها وكان ذلك سببًا لإهمال الاكتساب الذي لابد منه أو تقليله وتضييقه على أهل القدرة على العمل – بغير حق – فاقتضت حكمة الشارع الإسلامي الحكيم النهى عن المسألة إلا عند الضرورة، فقد أوضح النبي ﷺ ذلك وبين حل المسألة في صور ثلاث معينة لأحد أصحابه رضي الله عنه إذ تحمل حمالة فأتى رسول الله يسأله فيها[2]، ومما يقاس على تلك الحالة الشخص القادر على العمل والراغب فيه والباحث عنه، ولزيادة البيان لمفهوم الحاجة لابد من معرفة حد الغنى، والمراد من الغنى ، الغنى بالمال التي تسد به الحاجات الأساسية وقد قسم العلماء هذا الضرب إلى أنواع هي:

---

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب الزكاة، باب زكاة اليتامى والتجارة لهم فيها، ١/ ١٩٢، وأخرجه السيوطي في الجامع مع الصغير عن الطبراني في الأوسط، وصححه، ١/ ٧، فقه الزكاة ١/ ١٥٨.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، ٧/ ١٣٣، وأخرجه أبو داود والنسائي.

الأول: غنى يوجب الزكاة: وهو أن يملك نصاب الزكاة زائدًا عن الحاجة الأصلية.

الثاني: غنى يُمنع السؤال: وهو من يملك قوت يومه.

الثالث: غنى يُمنع أخذ الزكاة: وقد اختلف العلماء في حده.

حد الغنى المانع من أخذ الزكاة

اتفق الفقهاء على أن الغنى لا يعطى من سهم الفقراء والمساكين فى الزكاة لقوله ﷺ: «**لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوى**»[1]، لأن أخذ الغني من مال الزكاة يمنع وصول الزكاة إلى أهلها، ثم اختلفوا فى حد الغنى المانع من أخذ الزكاة، فذهب جمهور الفقهاء إلى أن الغنى معتبر بالكفاية؛ فلا يجوز دفع الزكاة إلى من كان قادرًا على كفاية نفسه ومن يعول، لذا يجوز دفعها إلى غير القادر على كفاية نفسه ولو كان يملك نصابًا لا يكفيه لكثرة عياله جاز له الأخذ من الزكاة قدر ما تتم به الكفاية، والدليل على ما ذهبوا إليه حديث عبيد الله بن عدى الخيار: «أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه من الصدقة، فقلَّب فيهما البصر فرآهما جلدين فقال: «**إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب**»[2]، وفي الحديث دلالات منها: أولًا قوله: «**لقوي مكتسب**» يدل على أن القوة في الإنسان نعمة ينبغي أن يستغلها في طلب الرزق الحلال؛ فالقدرة على العمل كالقدرة على المال، ثانيًا: أن المكتسب يكتسب قدر كفايته الزكاة لا تحل، لأن حرفته صيرته في حكم الغنى.

وقد استدل الفقهاء أيضا بالحديث النبوي الذي قال فيه أحد الصحابة رضي الله عنه: «تحملت حمالة فأتيت رسول الله أسأله فيها فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها**» ثم قال: «**يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حماله فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك أصابته ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا**

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة؟ ٢/ ١٢١ رقم (١٦٣٤).

(٢) أخرجه أحمد أبو داود والنسائي وقال أحمد: هذا أجودهما إسنادا، سبل السلام (٢/ ٥٥٠) رقم ٦٠٢.

من العيش، ورجل أصابته فاقة، حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا[1]، من قومه: قد أصاب فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش، أو قال سدادًا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها» [2]، فالقوام والسداد بمعنى واحد: هو الكفاية، أو ما تسد به الحاجة.

وذهب الحنفية إلى أن الغنى هو من ملك النصاب من أي مال كان، فلا تدفع الزكاة إلى من ملك النصاب، ولو لم يكفه، واستدلوا لما ذهبوا إليه بما ورد من إطلاق الغنى على من وجبت فى ماله الزكاة البلوغ النصاب، ففي الحديث الشريف، أن رسول الله ﷺقال: «أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» [3].

وذهب أحمد فى رواية عنه، والثوري، وابن المبارك، والنخعي وإسحاق، إلى أن حد الغنى هو ملك خمسين درهمًا فمتى ملكها أو قيمتها لا يجوز له أخذ الزكاة ولو لم تكفه واستدلوا بحديث الرسول ﷺالذي قال فيه: «من سأل وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة مسألته خدوشًا في وجهه»، قالوا: يا رسول الله وما غناه؟ قال: «خمسون درهمًا، أو حسابها من الذهب» [4].

وذهب الحسن البصري وأبو عبيد: إلى أن حد الغنى هو ملك أوقية وهي: أربعون درهمًا واستدلا بما روى عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف[1]»[2].

---

(١) الحجا: العقل، أبو بكر الرازي مختار الصحاح ص ١٢٥.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة ٧/ ١٣٣، والصحابي المخاطب بالحديث هو قبيصة ابن مخارق الهلالي، والمراد كل من وقع في مثل ما وقع فيه.

(٣) الحديث متفق عليه – محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الحديث سنة ٢٠٠٥، ص ١٤، رقم ١١.

(٤) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، ٢/ ١١٩، وكتاب السنن لأبى داود من مظان الحديث الحسن.

(٥) الإلحاف: هو الإلحاح في مسألة الناس.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب من يعطي من الصدقة وحد الغنى ٢/ ١٢٠ رقم ١٦٢٨.

وذهب بعض العلماء إلى أن حد الغنى هو ملك قوت يومه: أي يجد ما يغنيه في يومه، واستدلوا بقول رسول الله ﷺ: **«من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم»** قالوا: وما يغنيه؟ قال: **«ما يغدِّيه ويعشِّيه»**[1][2].

الرأي الراجح:

والراجح من بين هذه الآراء هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء وهو ارتباط أخذ الزكاة بكفاية الشخص سواء بلغ ماله النصاب أو لم يبلغ حيث جمع الإمام الدهلوى بين جميع هذه الأحاديث والآثار فبين: «أن هذه الأحاديث السابقة غير مختلفة لأن الناس على منازل شتى، ولكل واحد كسب لا يمكن أن يتحول عنه ، فمن كان كاسبا بالحرفة فهو معذور حتى يجد آلات الحرفة ، ومن كان زارعًا فهو معذور حتى يجد آلات الزرع، ومن كان تاجرًا كذلك حتى يجد البضاعة؛ فالضابط فيه أوقية أو خمسون درهمًا، ومن كان كاسبًا بحمل البضائع وحاجات الناس فى الأسواق، أو احتطاب الحطب وبيعه، وأمثال ذلك؛ فالضابط فيه ما يغديه فى يومه»[3].

وقد ذهب معظم الفقهاء إلى أن الفرد المتعطل إذا كان قادرًا على الكسب ولا يجد العمل الذى يكفيه – حتى ولو كان جمع الحطب – حلت له الزكاة، قال النووي: «إذا لم يجد الكسوب من يستعمله حلت له الزكاة، لأنه عاجز» [4]، أما إذا استحب المتعطل البطالة وهو قادر على الكسب وأتيح له العمل المناسب لا تحل الزكاة، ولقد اشترط العلماء المعاصرون شروطًا إذا توافرت في الفرد القادر على الكسب حرمت عليه الزكاة وهى كالتالي:

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى ٢ / ١٢٠، رقم ١٦٢٩

(٢) أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة تأليف دكتور محمد عثمان شبير وآخرون، دار النفائس، الأردن، الثالثة سنة ٢٠٠٤ ١/ ٣٤٦ وبعدها.

(٣) شاه ولى الله بن عبد الرحمن الدهلوي، حجة الله البالغة، دار التراث القاهرة، (٢/ ٤٦).

(٤) فقه الزكاة دكتور يوسف القرضاوي، (٢/ ٥٩٨)، الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الفكر، سنة ٢٠٠٢، ص ١٢٢

١ -أن يجد العمل الذي يكتسب منه.

٢ -أن يكون العمل حلالا شرعًا ، فإن العمل المحظور في الشرع بمنزلة المعدوم.

٣-أن يكون قادرًا عليه من غير مشقة شديدة فوق المحتمل عادة.

٤ -أن يكون ملائما لمثله ، ولائقا بمروءته ومنزلته الاجتماعية.

٥ -أن يكتسب منه قدر كفايته وكفاية من يعولهم[1]، ويظهر مما سبق من الدلالات ما يلي:

أولًا: أن المتعطل الذي لا تحل له الزكاة، من قدر على الاكتساب، وتهيأ له العمل المناسب، لكنه لم يرتضه، أي من يقعد عن العمل المتاح له تكاسلًا، لذلك قال الماوردي: «مراتب الغنى المعتبر بحسب أحوال الناس فمنهم من يصير بالدينار الواحد غنيًّا، ومنهم من يكون ذا جلد يكتسب بصناعته قدر كفايته لا يجوز أن يعطى وأن كان لا يملك درهمًا»[2].

ثانيًا: والمتعطل الذي لا يجد كسبًا أصلا، أولا يجد من يشغله في كسب حلال يليق به ، فهو في حكم المستحق للزكاة، يعطى قدر كفايته.

ثالثًا: إن المتعطل لو قلنا باشتراط لياقة العمل له فإننا نجد هذا الشرط مخالفا لنظرة الشرع الحنيف، لأن اشتراطها فيه تضييق على الأمة وهو خلاف مقصد الشريعة من التوسعة على العباد والشرع اعتبر العمل قيمة في ذاته قال رسول الله:«لأن يأخذ أحدكم حزمة على ظهره خيرا من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه»[3]، والكسب في الأصل مشروع بصرف النظر عن لياقته أو غيرها عند الحاجة إليه، وقد سبق ما صنعه الصديق ﷺ والفاروق ﷺ والإمام علي رضي الله عنه من الاكتساب في أعمال ليقتدي بهم الناس؛ لبيان أن الكسب لا ينقص قدر

(١) فقه الزكاة مكتبة وهبة سنة ٢٠٠٣، ٢/ ٦٠٠.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب كسب الرجل، ٢/ ٦.

الأشراف في شيء فإن اشتراط لياقة الكسب للفرد محل نظر خاصة إن كانت البطالة اضطرارية.

رابعًا: والمتعطل إذا وجد كسبًا لا يكفيه ومن يعول تحل له الزكاة أيضا فالمعتبر الكفاية، لأن أقرب مصرف زكوي أشبه حالًا بحالة البطالة هو مصرف الفقراء والمساكين وقد كان الفقر أحد آثار البطالة، وبذلك تبين مما سبق أن اشتراط لياقة العمل للفرد المتعطل مما تحفظ عليه الباحث – خاصة – لمن أراد علاج بطالة نفسه.

(ب) المصرف الزكوي الذي يستحق منه المتعطل:

لقد حدد الله ﷻ مصارف الزكاة، ولم يتركها لنبي مرسل ولا لملك مقرب، فقال سبحانه ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٠]، فاتضح أن مصارف الزكاة ثمانية أصناف، فمن أي هذه المصارف يستحق المتعطل بالزكاة؟ ، كما وضح أن الزكاة تستحق بالحاجة حتى تصل بالإنسان إلى حد الكفاية وأن المتعطل أحد المحاويج الذين يستحقون الزكاة ، هذا إذا لم يجد الكسب الذي يكفيه ، فإن القدرة على الكسب كالقدرة على المال ، أو وجد الكسب ولكن لا يكفيه فحينئذ يستحق الزكاة وهناك اتجاهان للعلماء فى المصرف المستحق:

الاتجاه الأول: من خصَّ عطاء المتعطل في مصرِفيّ الفقراء والمساكين.

الاتجاه الثاني: من جعل المتعطل مستحقًا للعطاء من أي المصارف على سبيل العموم.

الاتجاه الأول: ذهب إلى هذا الاتجاه أكثر العلماء قديمًا وحديثًا ذلك أن الرجل المكتسب الذي لم يجد العمل حلت له الزكاة من سهم الفقراء والمساكين، لأنه مضطر إلى البطالة، أو في حكم العاجز، إذ لا اعتداد بالقدرة الجسمانية ما لم يكن معها كسب يغنى أو يكفى فهو مضطر، قال دكتور يوسف القرضاوي:«الفقير هو من ليس له مال ولا كسب حلال يكفيه ويكفى أهله وولده، والمسكين من قدر على كسب حلال، أو له مال لا يكفيه؛ فالمستحق

للزكاة باسم الفقر أو المسكنة هو أحد ثلاثة، **الأول**: من لا مال له ولا كسبًا أصلًا ، **الثاني**: من له مال أو كسب لا يقع موقع كفايته فلا يبلغ نصف كفايته، **الثالث**: من له مال أو كسب يسد ٥٠٪ أو أكثر من كفايته ولكن لا يجد تمام الكفاية» [١].

وهذا ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد في معنى الفقير والمسكين وليس بموطن خلاف إذ هما يستحقان الزكاة فلا فائدة لهذا الخلاف في باب الزكاة.

وجوه استحقاق المتعطل من سهم الفقراء والمساكين :

الوجه الأول: (إعانة المتعطلين):

بين الدكتور محمد عبد الله مغازي قائلا: «تتوجه الزكاة لسد حاجة المتعطلين الضرورية التي تعينهم على الحياة، فإن ذا البطالة سواء من المتعلمين أو غير المتعلمين ماداموا عاجزين عن الحصول على فرصة عمل وليس عنده ما يسد حاجته الضرورية استحق فى هذا السهم» [٢]، وعندما تتكفل الزكاة بهذا الجانب الضروري من حياة المتعطلين تتقى الكثير من الآثار السلبية الناجمة عن البطالة، وهذا جانب يظهر عظمة الإسلام، وكيف أن كفالة الدولة للفرد واجب عليها أن تنهض به اعتمادًا على مواردها ومن بينها الزكاة لتصل برعاياها إلى الكفاية.

الوجه الثاني: (تمويل فرص العمل):

إن الزكاة تساعد هؤلاء المتعطلين على العمل عن طريق تمويلهم بما يحتاجون من رأس مال عينًا أو نقدًا وبالشكل الذي يتناسب وحرفة كل منهم ، ومن ثم فإن الزكاة تقوم بتمويل مشروع لكل واحد من المتعطلين فيدخلون ميدان النشاط الاقتصادي وبذلك ينمو الاقتصاد، وأوضح الدكتور مغازي مميزات تمويل الزكاة للمتعطلين من خلال ما يلي:

- التمويل الزكوي للمتعطل يتم دون مقابل بل كلما توافر شرط الحاجة كان التمويل.

---

(١) دكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ٢/ ٥٨٧ وما بعدها.

(٢) دكتور محمد عبد الله مغازي، البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية سنة ٢٠٠٤، ص ١٥١.

- التمويل الزكوى يتم دون حد أقصى ، حتى يصل به الدخل إلى الكفاية التي تغنيه.

- إن عدم تحميل المتعطل عبء سداد الأصل والفائدة دافع للمتعطل على إنجاز أقصى جهده مما ينعكس على التنمية بوجه عام.

-إن التمويل الزكوي يعتمد على معيار واقعي هو الحاجة [1]؛ فلا دخل للأهواء في هذا التمويل؛ قال الماوردي: «يدفع إلى كل واحد منهما – الفقير والمسكين – إذا اتسعت الزكاة من يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى وذلك معتبر بحسب حالهم، فمنهم من يصير بالدينار الواحد غنيًّا إذا كان من مهرة أهل الأسواق يربح فيه قدر كفايته لا يجوز أن يزداد عليه، ومنهم من لا يستغنى إلا بمائة دينار، فيجوز أن يدفع إليه أكثر منه ، ومنهم من يكتسب بصناعته قدر كفايته فلا يجوز أن يعطى وإن كان لا يملك درهمًا» [2].

الوجه الثالث: القادر المكتسب وتأمين كفاية العمر:

لقد ذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه إلى تأمين كفاية العمر غالبًا، وذلك من خلال توفير أدوات الحرفة، أو الأصول الثابتة ليعيش من دخلها، فالفرد له حالات بينها أحد العلماء المعاصرين فيما يلي: «إما أن يكون الفرد يحسن الكسب بحرفة أعطى آلاتها ، بحيث يحصل له من ربحها ما يفي بكفايته غالبًا، ويراعى في ذلك حال الشخص ومن يعول ، والزمان والمكان، فالنجار يعطى آلات النجارة من الزكاة، والتاجر يعطى رأس مال يفي بكفاية متاجرته، وإذا كان الفرد لا يحسن أصلًا كالمريض بمرض مزمن مثلًا ويعطى ما يشترى به عقارًا يستغله ، بحيث تفي غلته حاجته ومن يعول» [3].

---

(١) دكتور محمد عبد الله مغازي، البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها ص ١٥٤

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٢٢.

(٣) دكتور محمد عثمان شبير وآخرون، أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة، ١/ ٣٦٨.

الوجه الرابع: التأهيل الإنتاجي:

إن بعض المؤسسات الزكوية في العالم الإسلامي[1]، تقيم مشاريع لتأهيل الفقراء وتعليمهم بعض الحرف والمهن، كمشروع تعليم الخياطة، أو النجارة، أو الطباعة وغير ذلك، بما يحقق للفقير المتعطل، القدرة على العمل وتعليمه وتدريبه، بحيث يكتسب بنفسه فهل تنفق الزكاة فى هذه المشاريع الإنتاجية؟

إن هذه المسألة مبنية على فهم الفقهاء لمعنى اللام التي في قوله «للفقراء» في آية المصارف فقال القرطبي: «هي للتمليك كما فهم الإمام الشافعي أو هي لبيان مصارف الصدقات ومحله كما فهم أبو حنيفة ومالك»[2]، أما القول بأنها للتمليك، فلا يجوز إنفاق الزكاة فى تلك المشاريع لأن الزكاة عنده تَمَلُّكٌ فرديٌّ لكل فقير والقول بأنها للبيان يجوز صرفها فى تلك المشاريع خاصة إذا كان المشروع فى صالح جماعة الفقراء المتعطلين عن الكسب، واشترط بعض الفقهاء شروطًا لتضمن مشروعيتها وتضمن وضع المال الزكوي في مصرفه الذي خرج له فاشترطوا لذلك هذه الشروط التالية:

١- أن تتحقق المصلحة للمستحقين من ذلك المشروع وبعد دراسة للمشروع دراسة مستوعبة لجميع جوانبه.

٢-أن يكون المشروع التأهيلى مملوكًا لمؤسسة الزكاة ، وأن يبقى في ملكيتها ، وللغرض الذى أنشأ من أجله.

٣-ألا ينتفع بذلك المشروع غير الفقراء «والمتعطلين»[3].

---

(١) مثل صندوق الزكاة في البلاد الإسلامية الأخرى كالأردن والكويت وقطر وغيرها.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ٥٠٠ المجلد الرابع، محمد عثمان شبير، ١/ ٤٤٧.

(٣) محمد عثمان شبير، ١/ ٤٤٨ وقد ذهب لذلك الرأي فقهاء معاصرون منهم الشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دكتور يوسف القرضاوي، ودكتور عبد العزيز الخياط، ودكتور عبد السلام العبادي، ٢/ ٥١٦، ٥١٧ .

الاتجاه الثاني: ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى عموم نفع المتعطلين من جميع مصارف الزكاة، وعددها مصرفًا تلو الآخر مع بيان علاقة كل مصرف بمواجهة البطالة؛ فذهب الدكتور محمد عبد الله مغازى في كتابه «البطالة ودور الوقف والزكاة فى مواجهتها» إلى مسلك عموم نفع المتعطل من جميع المصارف وذلك فبين ذلك على النحو التالي:

فأما سهم الفقراء والمساكين لا خلاف بين أحد في استحقاق المتعطل من هذا السهم لحاجته. أما سهم العاملين عليها فهو يفتح بابًا لفرص العمل الحقيقية من خلال عملهم فى الزكاة ، ومن ثم فيتم تمويل رواتبهم من خلال مورد حقيقي [1].

وأما سهم المؤلفة قلوبهم وفى الرقاب فيقول في توجيهه «لما كان حال الدولة الآن قد وصل إلى ضعف لا يقارن بحال الدولة في صدر الإسلام، فإنه يجوز القول بأن هذا السهم يجوز توجيهه إلى توفير فرص عمل للمتعطلين، سواء بكفالة حاجتهم الضرورية، أو تمويل حرفتهم وصناعاتهم التي تتناسب تخصصاتهم، وهذا الكلام ينطبق على سهم في الرقاب، فيمول هذا السهم «الرقاب» نفقات تشغيل ذوى البطالة»[2]، وكأن المتعطل كالرجل الذي وقع في رق العبودية وذلها.

أما سهم الغارمين وهم من ثقلت عليهم الديون لدرجة عدم القدرة على سدادها ؛ فإن له آثاره العظيمة في مواجهة البطالة أوضحها من خلال ما يلي:

١ – أن هناك كثير من الديون معدومة على أصحابها، ومن ثم فإن قضاء هذه الديون يدفع أصحاب الأعمال إلى الاستمرار في مشروعاتهم وأعمالهم فيظلون محتفظين بدورهم فى التنمية، كما أن أصحاب الأعمال قد يضطروا إلى تصفية أعمالهم، أو فصل العمال أو تسريحهم مما يزيد من حدة مشكلة البطالة، وبالتالي فإن سهم الغارمين يحول دون زيادة المشكلة.

---

(١) دكتور محمد عبد الله مغازي، البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها، ص ١٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٩، ١٦٠.

٢- إن قضاء الدين عن المدين يدفعه إلى الاستمرار في عمله، والعودة إلى ميدان الإنتاج، وخلق فرص عمل جديدة[١].

٣- في ظل دوران النشاط الاقتصادي تتعرض بعض الشركات للخسارة فإن توجيه هذا السهم لمواجهة هذه الظروف تظهر عظمة فريضة الزكاة، خاصة إذا لوحظ أن الإمام أبا حنيفة أجاز صرف الزكاة في صنف واحد[٢].

وأما سهم «في سبيل الله» فإنه يمكن الاستفادة بهذا السهم فيما بينه دكتور مغازي قائلًا:«تمويل إنشاء المرافق العامة التي تحتاجها الدولة فى جميع أقاليمها، وهذا ينعكس على التنمية. ومن ثم ازدهار سوق العمل»[٣] ، وكذا يمكن الاستفادة من سهم ابن السبيل في تمويل حاجات ذوى البطالة ، فحالهم أشد من حال من انقطع به الطريق ، وهذا يعتبر من السعة التي أوردتها الشريعة الغراء في نصوصها ، حتى تحيط الأحكام بظروف المسلمين في كل زمان ومكان».

الرأي الراجح:

إن في الاتجاه الأول علاج حاسم للبطالة، حيث يتم تمويل الفرد الذي لا يجد العمل بما يكفيه سواء أكان التمويل لحرفة يحترفها، أو بإعطائه ما يكفيه وولده من المال، وقلت علاجًا حاسمًا حيث إن أقرب المصارف الزكوية حالا ووضعا ومشابهة بحال ووضع المتعطل هو مصرف الفقراء والمساكين، وهو أول سهم ننفق فيه الزكاة، ومع ذلك فإن الاتجاه الثاني له وزنه حيث إن البطالة تواجه من طرق عدة، وبوسائل شتى من خلال مصارف الزكاة وهذه من التدابير الواقية للبطالة، وإن كان الاتجاه الأول أولى عندي بالقبول لأسباب منها:

---

(١) البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها ص ١٦١.

(٢) أبو يوسف الخراج،ص ٨١، وقد روى آثار عن ابن عباس وحذيفة تفيد ما ذهب إليه الإمام.

(٣) دكتور محمد عبد الله مغازي،ص ١٦٣.

١ - ليسر قياس حالة البطالة على الفقر والمسكنة بلا تكلف [١].

٢ - لأن الفقر أول مصرف يعطى من الزكاة ولا يترك الفقراء حتى يكفوا، وقد سبق أن الفقر أحد آثار البطالة فالعلاقة واضحة بينهما.

٣- ملاءمة الاتجاه الأول مع روح الشريعة الغراء إذ تحديد مصرف للمتعطلين أولى من تعميمها.

إن هذه سمة الشريعة الإسلامية الغراء فيها من الأحكام الخالدة ما إذا التمس فيها المصلحون طرق العلاج لمشكلاتهم لانفرجت الأزمات ولقضي الأمر بكل يسر فيما يصلح أمر العباد وصدق الله سبحانه إذ يقول: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨] فإيراد الاجتباء [٢] في الآية الكريمة يفيد نظرة الإسلام الرفيعة لتكريم الإنسان والسعي في علاج مشكلاته.

المطلب الثالث: (مقاصد الزكاة في مواجهة البطالة)

إن المقاصد الشرعية من فريضة الزكاة هي دائمًا في مصلحة المسلم لخلق مجتمع يتسم بالتراحم والتعاون، فضلا عن درجة الرقي الحضاري التي يصل إليها هذا المجتمع من خلال فريضة الزكاة.

والمعجز في فريضة الزكاة أنها علاج للعديد من المشكلات التى تواجه المجتمعات الحديثة وبخاصة مشكلة البطالة ، والمتأمل فى مقاصد فريضة الزكاة يجد أنها تصب فى خط واحد هو الارتقاء بالإنسان حتى يصل إلى حد الكفاية ومن هذه المقاصد: **أولا**: التكافل الاجتماعي، **ثانيا**: التنمية الاقتصادية، **ثالثا**: الاكتفاء «حد الكفاية».

---

(١) القياس: أحد أدلة الشرع وهو عند أهل الأصول: إبانة مثل حكم المذكورية بمثل التي في الآخر واختيار لفظ الإبانة دون الإثبات : لأن القياس مظهر للحكم،ا الجرجاني – التعريفات، دار التراث تحقيق إبراهيم الإبياري ص ٢٣٢.

(٢) واجتباكم: أي اختاركم لدينه ونصرته.

أولا: التكافل الاجتماعي:

إن من مقاصد الزكاة التكافل الاجتماعي، حيث يكفل الغنى الفقير ومدار استحقاق الزكاة موقوف على الحاجة وبما أن المتعطل عن العمل – باعتباره – من أصحاب الحاجة والافتقار فلابد أن يكفى من الزكاة بتوفير آلات حرفته لو كان محترفًا أو بتوفير فرصة عمل لائق به.

والتكافل الاجتماعي يتحقق من خلال الزكاة قال دكتور جودة أحمد «إنما هو تفاعل مستمر يتضمن مسئولية متبادلة بين الأفراد عن رعاية الرخاء وتنميته، بحيث يشعر كل منهم – وجدانيًا وعمليًا – أن هذا الرخاء العام موصول بحياته الخاصة، وأن ما يصل أخاه من خير أو شر عائد عليه لا محالة»[1]، قال الله ﷻ مبينا أهمية التكافل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[المائدة:٥٥]. وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢]. وقد حثَّ الرسول الخاتم ﷺ على التكافل الاجتماعي فقال: «على كل مسلم صدقة، قيل أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال: قيل أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: قيل له أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة»[2]، فهذا هو التكافل الاجتماعي العملي الواقعي الذي يهدف إلى تحقيق التوازن الاجتماعي بين الأفراد، وتأمينهم من الهلاك والضياع ولا أشد من هلاك البطالة إذا تحكمت في الفرد، ومن ثم شرع الإسلام الحنيف لهذا التكافل موارد متعددة منها المورد الثابت الواجب المتمثل في الزكاة، ومنها المورد المتغير المستحب كصدقات التطوع، والقراض، والهبة وغيرها، لأنه قد يضيق مال الزكاة بالمستحقين، فتنفذ أموال الزكاة، ومازال بالمجتمع أهل احتياج واستحقاق فيبقى التطوع مجالًا أوسع لتحقيق التكافل.

---

(١) دكتور جودة أحمد جودة، محاضرات في النظام المالي في الإسلام، مطبعة العمرانية سنة ١٩٩٣، ص١١١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم وهو صحيح، كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة ٧/ ٩٤.

ومن العلماء من اعتبر أن في المال حقًّا سوى الزكاة، حرصًا على رفع الحرج عن أهل الحاجة واعتناءً بتكافل الأغنياء للفقراء، يقول الفاروق في بيان حق الأفراد في عطاء المال: «والله الذي لا إله إلا هو، ما أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدكم، ولكنا على منازلنا من كتاب الله ﷻ وقسمنا من رسول الله ﷺ؛ فالرجل وتلاده [1] في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناه في الإسلام، والرجل وحاجته في الإسلام، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه، يعني في طلبه» [2]، فهذا يدل على أن التكافل الاجتماعي من مقاصد الزكاة يتم بعطاء أهل الحاجة حقهم، ولا شك في أن المتعطلين مستحقين لفقرهم واحتياجهم حتى يكفوا، أو يشتغلوا.

لقد فهم أصحاب النبي ﷺ هذا المقصد الزكوي فأجيزت زكاة المرأة إذا أخرجتها لزوجها وأولادها فقد قالت امرأة عبد الله من مسعود رضي الله عنه له: «إنك رجل خفيف ذات اليد وأن رسول الله ﷺ، قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم فقال لي عبد الله بل ائتيه أنتِ، فانطلقت حتى سألت النبي حاجتها، فقال لمن سأله لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة» [1].

فالمرأة مطالبة بأن تقف بجوار زوجها المتعطل بجميع ألوان المعاونة النفسية والمعنوية، والمساعدة المادية، فامرأة عبد الله - رضي الله عنها - كانت تعرف قدر زوجها وتجله، كما

---

(١) الرجل وتلاده: أي قدمه في الإسلام، ويقال: التلاد كل مال قديم، المصباح المنير ص ٥٠ .

(٢) أبو يوسف الخراج، فصل:كيف كان فرض عمر لأصحاب رسول الله ص ٤٦، دكتور محمد طلعت أبو صير، مع النظم والثقافة الإسلامية، مرجع سابق، دكتور عبد القادر سيد عبد الرءوف، أضواء على النظم الإسلامية، مرجع سابق، دكتور محمد عبد الله مغازي، البطالة ودور الوقت والزكاة في مواجهتها.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الأقربين والزوج، شرح النووي ٧/ ٨٦، والجواب بصيغة المثنى لأن الذي سأله امرأتان إحداهما فاطمة امرأة عبد الله بن مسعود.

تعرف عنه أنه «خفيف ذات اليد» وهذا يدل على أنه قليل العمل بيده، ويبدو أن هذا بسبب حالة الفقر العامة التي أصابت جماعة المهاجرين، فلم تترك المرأة زوجها بل عاونته بالمال والمشورة، والصبر، وهذا لون من ألوان التكافل الاجتماعي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾[البقرة:٢١٥].

ثانيا: التنمية الاقتصادية:

الزكاة تؤخذ من المال النامي بالفعل أو القابل للنماء، ومعنى النماء أن يكون من شأن المال أن يدر على صاحبه ربحًا أو دخلًا، أو يكون هو نفسه نماء، وهذا شرط لوجوب الزكاة في الأموال موافق لمدلول كلمة "الزكاة " اللغوي.

ولقد قرر الفقهاء «أن النماء نوعان: حقيقي وتقديري، فالحقيقي: الزيادة بالتوالد والتناسل في زكاه الأنعام إذ تتكاثر فتكثر أعدادها فهذا نماء والتجارات بزيادة رأس المال بالربح، والتقديري: تمكنه من الزيادة وإمكانيتها بأن يكون المال القابل لذلك في يده أو يد نائبه »[1]. لذلك فإن من المقاصد الشرعية للزكاة تحقيق التنمية الاقتصادية في المجتمع عامة وفى كلا جانبي الزكاة: جانب المزكي والمزكي عليه، أو الغنى والفقير، أو المكتسب والمتعطل خاصة.

أما التنمية الاقتصادية في جانب الغنى فالزكاة تحفزه على استثمار أمواله كيلا تأكلها الزكاة ومن ثم فهي تحارب الاكتناز، ثم إن الاستثمار - وهو أحد الأهداف الرئيسية للنشاط الاقتصادي - يؤدى إلى خلق الكثير من فرص العمل التي مـــا كانت لتتوفر: إذا لم نخرج هذه الأموال إلى مجال الاستثمار، ولذلك وجبت الزكاة في المال القابل للنماء.

أما التنمية التي قصدت إليها فريضة الزكاة في جانب المزَكّى عليه أو الفقير المتعطل فتتمثل في: «إن الزكاة تدفع المتعطل إلى الاكتساب والعمل كيلا يظل عالة يستحق الزكاة كل

---

(١) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي ١/ ١٥٨.

عام، بل يسعى، وساعدته الزكاة على ذلك بتوفير آلات حرفته لو كان صاحب حرفة وصنعة، أو بتوفير رأس مال يستغله في شراء عقار تفي غلته حاجته لو كان المتعطل لا يحسن الكسب أصلًا، ومن ثم يغدو المتعطل بيديه قوة شرائية تغذى جانب الاستهلاك في الاقتصاد، وهو ما يساهم في دوران عجلة الاقتصاد، وخلق فرص عمل جديدة»[1].

هذا بالإضافة إلى ما سبق التنويه إليه في وجوب زكاة الفطر على كل مسلم مهما كان غنيا أو فقيرًا ففي ذلك تنمية للعنصر البشرى حتى يندمج مع المجتمع ويعتمل وليتصدق بصدقة واجبة عليه كل عام.

فالزكاة فريضة الله المحكمة التي تهدف إلى إنعاش الأمة وتنمية اقتصادياتها، فهي باب من أبواب التنمية، إذ تتجه في مصرفها إلى فئة الفقراء والمساكين لترفع عنهم ذل الاحتياج، فضلا عن ذلك فهي تعطيهم فرصة للكسب لذلك كانوا أول الفئات في آية المصارف الذين استحقوا الزكاة، فإن كفايتهم واغتناؤهم هو الهدف الأول للزكاة، ولقد جوز بعض الفقهاء إعطاء مبلغ الزكاة كله لصنف واحد وذلك يعود إلى اجتهاد الإمام [2]، والمتعطل كما سبق يعطى من سهم الفقراء لأنه محتاج وقد ينطبق عليه وصف الفقر أو المسكنة لذلك قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»[3].

من أجل ذلك كان الصرف في هذا السهم سببًا كبيرًا من أسباب علاج البطالة ودفعًا للتنمية الاقتصادية والرقى والازدهار، وهذا مقصد الزكاة منذ باكورة الإسلام، وهو غرض الدول والحكومات في العصور المتأخرة فلا غرو أن نعتبر هذا الفرض من الإعجاز التشريعي للإسلام من خلال شرعة الزكاة.

---

(١) دكتور محمد عبد الله مغازي ص ١٤٥، «الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول دكتور محمد شوقي الفنجري عدد ٤٦، ص ٧٠.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ٧/ ٥٠٠.

(٣) أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ١٩٧.

والزكاة لم تفرض على الآلات التي يستعين بها المكتسب في حرفته وأدوات الصناع «وقد اتفق الفقهاء على ذلك فدابة الحرث، وآلة الزرع لا زكاة فيها ولو بلغت النصاب إذ هذه الآلات مملوكة بنية الانتفاع لا بنية التجارة »[1]، وذلك يدل على تأكيد هذا المقصد الزكوى إذ لو كان الغرض هو جمع مال وحسب لكان كل مال بلغ النصاب تجب فيه الزكاة حتى ولو كان المال آلة الصانع، الأمر الذي يضعف العائد من الكسب، ولكن تجب الزكاة في العائد فقط لو بلغ النصاب وتوافرت فيه الشروط السابق ذكرها مما يقوى عجلة الاقتصاد ويدفعها إلى الدوران وينمى الاقتصاد الإسلامي.

والزكاة واجبة في جميع الأنشطة الاقتصادية سواءً كانت زكاة الزروع والثمار، أو الأموال، أو المعادن والركاز، أو الماشية حيث يتحقق من خلالها التوسع في جميع الثروات الاقتصادية في المجتمع، فمثلًا الثروة الحيوانية، نجد زكاة الماشية النامية التي بلغت النصاب حيث يبدأ نصاب الأغنام من بلوغ أربعين شاة فتجب فيها شاة واحدة حتى يصل إلى مائة وعشرين شاة، فإن زاد فيجب شاتين، وهكذا فنلاحظ أن الزكاة مبنية على أعداد الرؤوس مما يعين على زيادة التنامي والتناسل في عدد الرؤوس، وكلما زادت الرؤوس كلما قلت نسبة الزكاة في الماشية.

وباقي الثروات من زراعية، ونقدية، وتجارية كل تلك الثروات تنميها الزكاة مما يوسع دائرة التنمية لتشمل أوجه المكاسب المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة من خلال ترتيب المكاسب بعضها على بعض، ويدفع بعجلة التنمية الاقتصادية ويقضى على البطالة من خلال تشغيل المتعطلين في فرص العمل التي توفرت نتيجة التوسع في عملية التنمية التي تحققت من خلال فريضة الزكاة.

والاقتصاد يعتمد على الثروة التعدينية ومن كمال شريعة الزكاة أنها جعلت للفقراء حقًا في هذه الثروة المعدنية فقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم

---

(١) «أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة» دكتور محمد عثمان شبير وآخرون١/ ٣٨٧.

بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[البقرة:٢٦٧]. وفى الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال: «في الركاز الخمس» (١)، وهذا يدل على توسع الإسلام في هذا المورد ليصب في التنمية الاجتماعية و الاقتصادية للأفراد وخاصة المتعطلين .هذا المورد يخلق آلاف فرص العمل ويتطلب العمالة المدربة والماهرة بما يزيد عملية التنمية التي هي مقصد زكوى خالص.

ثالثا: الاكتفاء (حد الكفاية):

من مقاصد الزكاة ما يفيد في علاج البطالة بلوغ المتعطلين الفقراء حد الكفاية، حتى لا يسأل أحد بعد كفايته سواء أكانت كفاية العمر أو كفاية السنة، وأود فقط الإشارة هنا إلى أن الزكاة بهذا المقصد عالجت البطالة تمام المعالجة، إذ تستأصلها من أصولها عن طريق تشجيع أصحاب الحرف والصناعات على إقامة ما يحسنونه منها، لذلك ورد أن عمر رضي الله عنه قال: «إذا أعطيتم فأغنوا» (٢)، فكان عمر رضي الله عنه يعمل على إغناء الفقير بالزكاة، لا مجرد سد جوعته، أو إقالة عثرته، لذلك قال للعمال على الصدقات «لأرددنها عليهم حتى تروح على أحدهم مائة من الإبل» (٣)، لأن الغرض من العطاء ليس سد خلة المحتاج في يوم أو يومين إنما غرض العطاء كف الحاجة وكفاية العمر، ولقد استنبط العديد من علماء العصر من ذلك جواز أن تنشأ الدولة المسلمة المصانع والعقارات والمؤسسات التجارية ونحوها وتكون وقفًا للفقراء لتدر عليهم دخلًا يقوم بكفايتهم كاملة، ولا حق لأحد في بيعها أو نقل ملكيتها لتظل موقوفة على الفقراء (٤)، وقد ظهر من ذلك أن العبرة في العطاء ليس مجرد كفاية اليوم أو الأسبوع؛

---

(١) أخرجه الإمام البخاري كتاب الزكاة، باب في الركاز الخمس، ١/ ٢٦٢.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الزكاة، باب قسم المال، رقم ٧٢٨٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب قسم الصدقات، حديث رقم ١٣٤٨٢.

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص ٢٤٧، رقم ٥٧٠، وهو حديث ضعيف.

(٤) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي ٢/٦٠٧، «أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصر» دكتور محمد عثمان شبير ٢/ ٥٠١، بحث بعنوان «استثمار أموال الزكاة رؤية فقهية معاصرة»، وقد ذهب لذلك كبار الفقهاء المعاصرين، دكتور محمد شوقي الفنجري، الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، ص ٧٧.

وإنما الكفاية التي يصير بها الفقير غنيًّا عن مسألة الناس، بل ويصير مما يساعد الآخرين فيطالب بالزكاة لمعاونة الآخرين.

المطلب الرابع: (دور الدولة في فريضة الزكاة):

ويتكون من أربعة نقاط: النقطة الأولى: حكم تدخل الدولة – وأدلته، والثانية: ضرورة تولى الدولة شئون الزكاة، والثالثة: بعث العاملين على الزكاة، والرابعة: كيفية تنظيم الدولة شئون الزكاة.

النقطة الأولى: حكم تدخل الدولة – وأدلته:

بداية إن الزكاة ليست هذه الصدقة التي تعطى للفقير فتكفيه طعام يومه ثم تكل أمره لنفسه فيما بعد ذلك، ولكنها تكافل اجتماعي يهدف إلى بلوغ المحتاج إلى درجة كفاية العمر أو على أقل تقدير كفاية العام، ومن هنا ندرك أن تدخل الأفراد وحدهم لا يكفى وإنما على الدولة دخل كبير في جمع وتوزيع الزكاة لتحقيق هذه الكفاية. قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[التوبة:١٠٣]. في الآية خطاب للنبي ﷺ لفظًا بحكم ولايته، وكل من وقع موقع ولاية عامة من المسلمين فيخاطب بذلك الخطاب لأن هذه صدقة الفرض وقيل هي خاصة فيمن نزلت فيه، والراجح أن الآية من خطاب الخاص وإرادة العموم [(١)]، وهذا ما فهمه الصديق رضي الله عنه من الآية الكريمة لما امتنع البعض عن أداء الزكاة، قال الإمام الرازي في تأكيد وجوب الزكاة: «وعليه أكثر الفقهاء إذ استدلوا بهذه الآية في إيجاب الزكوات، وقالوا في الزكاة إنها طهرة» [(٢)]، وإن كان الإمام الفخر الرازي قد رجح تفسير الآية بسبب نزولها للإبقاء على سياق الآيات فقال «مع أنه يبقى نظم هذه الآيات سليمًا أولى».

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي٨ / ٥٦٣، المجلد الرابع، «التفسير الكبير» الإمام الفخر الرازي ٨/ ١٥٣، «فتح القدير» الشوكاني٢/ ٥٦٥، «الإتقان في علوم القرآن» الإمام السيوطي ٣/ ٩٦.

(٢) «التفسير الكبير» الفخر الرازي ٨/ ١٥٤.

واعتبر العلماء الزكاة إحدى الولايات الشرعية التي يجب أن تراعى، فهي من شعائر الدين كالصلاة والصيام والحج، يقول الإمام الماوردي: «والأموال المزكاة ضربان: ظاهرة وباطنة؛ فالظاهرة ما لا يمكن إخفاؤه كالزروع والمواشي، والباطنة ما أمكن إخفاءه من الذهب والفضة وعروض التجارة، وليس لوالى الصدقات نظر في زكاة المال الباطن، وأربابه أحق بإخراج زكاته منه إلا أن يبذلها أرباب الأموال طوعًا فيقبلها منهم»[1].

وأساس هذه الولاية سهم العاملين عليها في آية المصارف إذ يقول ذو الجلال: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾[التوبة:٦٠]. ويقصد من قوله: «والعاملين عليها» كل الذين يعملون في الجهاز الإداري لشئون الزكاة من جباة يحصلونها، وخزنة يحفظونها وكتبة يكتبونها ويضبطون موردها ومصرفها وموزعين: «واهتمام القرآن بهذا المصرف والنص عليه وكونه مرتبًا بعد سهم الفقراء والمساكين وهم أولى المصارف بالزكاة، لدليل على أن الزكاة في الإسلام ليست وظيفة موكولة إلى الفرد وحده، وإنما هي وظيفة من وظائف الدولة، وإن لها ميزانية خاصة يعطى منها رواتب الذين يعملون فيها »[2].

ولقد أرسل النبي ﷺ السعاة والعمال ليأخذوا الزكوات من الأغنياء ويضعونها في الفقراء، وسار على ذلك الخلفاء الراشدون، ففي الحديث النبوي الشريف،«أن ناسا من الأعراب أتوا النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله يأتينا ناس من مصدقيك يظلمون، قال «أرضوا مُصَدِّقِيكُم، قالوا: وإن ظلم؟ قال: «أرضوا مُصَدِّقِيكم»، ثم قالوا: وإن ظلم؟ قال:«أرضوا مُصَدِّقِيكُم» قال جرير: فما صدر عنى مُصَدِّق منذ سمعت من رسول الله ﷺ إلا وهو راض[3].

---

(١) «الأحكام السلطانية» الإمام الماوردي ص ١٣.

(٢) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي ٢/ ٦٢٠، «أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة» دكتور عمر سليمان شبير ٢/ ٦٩٧.

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي واللفظ له، كتاب الزكاة، باب إذا جاوز في الصدقة، ٥/ ٣١ وصححه السيوطي في الجامع الصغير ، ١/ ٣٨.

والمصدق هو العامل على الزكاة، ولقد علم النبي ﷺ أن عامليه لا يظلمون، ولكن أرباب الأموال يعدون الأخذ ظلمًا، وقد كان النبي يأمر عامله ألا يأخذ كرائم أموال الناس، فقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «إياك وكرائم أموالهم»[1].

وهذا يدل بوضوح على أن الزكاة كانت منذ عهد النبي ﷺ من شئون الدولة، واختصاصها، حيث بعث العمال لجمع الزكاة، وتوزيعها، وإعطاؤهم حقهم منها، ومحاسبتهم إذا ظلموا أو خانوا.

النقطة الثانية: ضرورة تولى الدولة شئون الزكاة:

إذا عقدت مقارنة بين جهد الأفراد وجهد الدولة لاتضح بجلاء مدى أهمية تولى الدولة شئون الزكاة، لأن الدولة أقدر على القيام بذلك، وخاصة إذا اختلفت آراء الأفراد في بعض المسائل الفرعية المتعلقة بإخراج الزكاة فتتحد الآراء خلف رأى الإمام في مصلحة المجتمع.

إن الزكاة تحتاج إلى من يحصى من بلغ ماله النصاب من الأغنياء، وكيفية إخراج النصاب من جملة المال مع معرفة وقت الوجوب وهذه أمور تحتاج إلى فقيه تتوافر فيه شروط معينة منها: «الإسلام، التكليف، الأمانة، العلم بأحكام الزكاة»، والدولة هي الجديرة بتنصيب من توافرت فيه هذه الشروط ليتولى جمع الزكاة ووضعها في مصارفها.

إن صعوبة الاعتماد على جهود الأفراد في جمع وتوزيع الزكاة – نظرًا لزيادة عدد السكان مما يلزم منه زيادة عدد المتعطلين الفقراء، وانتشارهم على رقعة واسعة في البلاد- يجعل العبء على الدولة ضروريا لإيصال الحق إلى الفقراء، وإغفال هذا الدور يمثل إهدارًا لأموال الزكاة، وغياب دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما يظهر ضرورة التزام الدولة بالقيام بأمر الزكاة من خلال اعتبارها في مواجهة البطالة وهذه هي مشكلة عامة، وأمر جامع تتضافر فيه جميع الجهود في الدولة لحلها من خلال ما سبق من وجوه استحقاق المتعطل سالفة الذكر، من

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما تلخيص الحبير، ٢/ ١٦٢ قال متفق عليه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

إعانة له، أو تمويل فرصة عمل من خلال القرض الزكوى، أو تأمين كفاية العمر، أو التأهيل الإنتاجي.

وقد بين دكتور يوسف القرضاوي: «أن الزكاة توزع حيث جمعت ولكن يجوز الخروج على هذا الأصل، إذا رأى الإمام العادل بمشورة أهل الحل والعقد في ذلك مصلحة للمسلمين، فلقد بعث معاذ بالصدقة من اليمن إلى المدينة على عهد رسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب ﷺ ولا يكون ذلك من خلال الأفراد بل عن طريق اجتهاد الإمام لعلاج حاجة شديدة، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا» [١].

ومما يؤكد ضرورة تولى الدولة أمر الزكاة ما تقرر في الشريعة الإسلامية من حكم الممتنع عن أدائها من عقوبة جزاء الامتناع، وأخذها منه قهرًا إن لم يدفعها طواعية، ولا شك في أن الأفراد ليس لهم عقوبة الممتنع ولا قهره على الأداء، وقد ورد في السنة النبوية أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطاها مؤتجرًا فله أجرها، ومن أبى فإنا آخذوها أي من وشطر إبله عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد ﷺ منها شيء» [٢].

والحديث يدل على أن للإمام ما ليس للأفراد حيث قال النبي ﷺ «فإنا آخذوها وشطر إبله» فالأخذ هنا قهري لأن صاحب الإبل قد أبى فالله سبحانه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، أما أخذ شطر ماله فقال العلماء في شرح الحديث «يجعل ماله شطرين ويتخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خير النصفين عقوبة لمنعة الزكاة، وقيل معناه: أن الحق مستوفى منه غير متروك وإن تلف شطر ماله» [٣]، ولقد ذهب الإمام الشافعي إلى الأخذ بظاهر الحديث

---

(١) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي ٢/ ص ٨٦٦، « البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهة البطالة» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ١٧١ وما بعدها.

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي واللفظ له كتاب الزكاة، باب عقوبة مانع الزكاة ٥/ ١٦.

(٣) «حاشية السيوطي» على سنن النسائي على هامش السنن، ٥/ ١٦.

من أخذ الإمام الزكاة قهرًا مع شطر مال الممتنع عقوبة له، وعلى أية حال فهذا يدل على ضرورة تولى الدولة بجهازها الإداري في شئون الزكاة لمصلحة المجتمع والفقراء والمتعطلين ولإقامة شعيرة الزكاة وهى أحدى شعائر الدين وفرائضه المحكمة، وولاية من ولايات الدولة في الإسلام.

ولقد ذكر أحد العلماء جملة من الأسباب للاهتمام بوظيفة الدولة الإسلامية في نظام الزكاة وَعَدَّ منها ما يلي:

أولاً: أن كثيرًا من الأفراد قد تموت ضمائرهم، أو يصيبها السقم فلا ضمان للفقير إلى ترك حقه لمثل هؤلاء.

ثانيًا: في أخذ الفقير حقه من الحكومة لا من الشخص الغنى، حفظ لكرامته وصيانة لماء وجهه أن يراق بالسؤال أو يجرحها المن والأذى من الغنى الذى يمن بعطاء الزكاة.

ثالثًا: إن ترك هذا الأمر للأفراد يجعل التوزيع فوضى، فقد ينتبه أكثر من غنى لإعطاء فقير واحد، على حين يغفل عن آخر، فلا يفطن له أحد.

رابعاً: إن صرف الزكاة ليس مقصورًا على الأفراد من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فمن الجهات التي تصرف فيها الزكاة مصالح عامة للمسلمين، لا يقدرها الأفراد، وإنما يقدرها أولوا الأمر وأهل الشورى في الجماعة المسلمة، كإعطاء المؤلفة قلوبهم، والانتقال بالزكاة إلى بلد آخر أشد فقرًا أو بطالة فذمة المسلمين واحدة.

خامسًا: إن الإسلام دين ودولة، وقرآن وسلطان، ولابد لهذا السلطان وتلك الدولة من مال تقيم به نظامها، وتنفذ بها مشروعاتها، ولابد لهذا المال من مورد، والزكاة مورد هام دائم لبيت المال في الإسلام [1]، وبعد فهذه دواعي ضرورية تدعوا كلها الدولة الإسلامية إلى

---

(١) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوى ٢/ ٨٠٤، مكتبة وهبة.

تدخل في إنشاء تنظيم زكوي يتم من خلاله علاج بطالة المتعطلين ليسعد المجتمع المسلم وينعم بالرخاء والازدهار لجميع أفراده.

النقطة الثالثة: بعث العاملين على الزكاة:

هذا المصرف الثالث من مصارف الزكاة، يدل على أن هذه الفريضة لها من يقوم على جمعها، وتوزيعها وكان ذلك قديمًا، ولكن الأمر يحتاج في هذه الأيام إلى مزيد من التدقيق في إحصاء للفقراء والأغنياء، وحساب العطاء الكافي لكل من المحتاجين المتعطلين، حيث إن مقياس الضرورات الأساسية قد تغير فلم يعد المطعم والمشرب، والمأوى، بل قد يعد من الضرورات، الكتب العلمية للعلماء والأئمة، والآلات المهنية لأصحاب الحرف المهنية، لذلك فالأمر يحتاج إلى مستشارين يعملون في هذا المجال ليقدروا مدى الضرورة لكل فرد في تخصصه.

وقد تنبه علماء الإسلام منذ أول عهده إلى أهمية هذا المصرف، واختصاصه بعمال الصدقات فقط: فنجد القاضي أبا يوسف يقول مخاطبًا هارون الرشيد: وكل رجل تصيره في عمل المسلمين فأجر عليه من بيت مالهم، ولا تجر على الولاة والقضاة من مال الصدقة شيئًا إلا والي الصدقة فإنه يجرى عليه منها [1]، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة:٦٠] ؛ فنجد أن اختصاص مال الصدقة في مصارفه التي عددها كتاب الله، ومنها العاملين على الزكاة جمعًا وتوزيعًا واستحقاقهم العطاء منها.

وفصل الإمام الماوردي رحمه الله هذا السهم بصورة أكثر وضوحًا من حيث عمل أصحاب هذا المصرف، فقال: «سهم العاملين عليها وهم صنفان: أحدهما: المقيمون بأخذها وجباتها، والثاني: المقيمون بقسمتها وتفريقها من أمين، ومباشر، ومتبوع، وتابع، جعل الله تعالى أجورهم في مال الزكاة لئلا يؤخذ من أرباب الأموال سواها، فيدفع إليهم من سهمهم قدر أجور أمثالهم» [2].

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص ١٨٦ فصل من أي وجه تجرى على القضاة والعمال الأرزاق ؟.

(٢) "الأحكام السلطانية" الإمام الماوردي ص ١٢٣، «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» ابن تيمية ص ٧١.

ومن الواضح أن العاملين على شئون الزكاة موردًا ومصرفًا يستفيدون منها فهل هذه الاستفادة مظهر من مظاهر علاج البطالة؟ لقد آثرت أن أوضح بهذا السؤال جزئية خطيرة هي علاقة الزكاة بالبطالة، هي أنها علاقة الدواء بالداء، واستئصال المشكلة من جذورها، إن العامل على الزكاة لا يشترط أن يكون فقيرًا بل قد يكون غنيًّا ففي حديث عطاء بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ولا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغنى» [1]؛ فالعامل الذي يرسله الإمام يجب عليه القيام بما كلف به من عمل «وقد أفتى الشيخ محمد رشيد رضا بأولوية استعمال الفقير على الزكاة» [2]، بيد أن هذه الأولوية ينبغي ألا تقدم على الشروط الواجب توافرها في العامل على الزكاة من الإسلام، البلوغ، العقل، الأمانة، العلم بأحكام الزكاة، فإن كان الفقير خائنًا فالغنى الأمين أولى منه، وإن كان الفقير متعطلًا غير عالم بأحكام الزكاة، فتولية الغنى المكتسب العالم بأحكام الزكاة أولى منه، لذلك كان النبي ﷺ يستعمل على الزكاة عمرًا ومعاذًا، وأبا موسى الأشعري، من خيار الصحابة ويجعل لهم العطاء من سهم العاملين عليها.

وقد ورد في حديث ابن الساعدي أنه قال: «استعملني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الصدقة فلما فرغت منها وأديتها إليه أمر لي بعمالة فقلت إنما عملت لله وأجري على الله، فقال: خذ ما أعطيت فإني عملت على عهد رسول الله ﷺ فعملني فقلت مثل قولك فقال لي رسول الله ﷺ: «إذا أعطيت شيئًا من غير أن تسأل فكل وتصدق» [3]، لذلك فإن مصرف العاملين على الزكاة يستعمل فيه المتعطل إذا توافرت فيه الشروط اللازمة لأداء عمله، لا لكونه يعالج البطالة فقط وإنما لكونه من شعائر الدين أولا ويعالج البطالة ثانيًا.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غنى، ٢/ ١٢٢، رقم (١٦٣٥).

(٢) نقل هذه الفتوى دكتور عمر سليمان شقير، في أبحاث فقهية، نقلا عن مختصر تفسير المنار، ٢/ ٧٣٩.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب جواز الأخذ بغير سؤال ولا تطلع، ٧/ ١٣٧.

النقطة الرابعة: كيفية تنظيم الدولة لشئون الزكاة:

إن تنظيم الدولة لشئون الزكاة يكون بإنشاء إدارة عامة، أو هيئة عليا، أو وزارة حكومية تتولى ذلك من جمع، وتوزيع لأموال الزكاة، يتفرع عن هذه الإدارة العامة إدارات مصغرة في كل إقليم أو ناحية، ويكون لكل إدارة مصغرة سعاتها وعمالها الأكفاء الذين يقومون بجباية أموال الزكاة الظاهرة وإذا قدم الأغنياء زكاة أموالهم الباطنية فخير، وإن انقلبت الأموال الباطنية ظاهرة أخذوا منها الزكاة، قال يوسف القرضاوي: وتظهر طبيعة عمل كل إدارة في أي إقليم في أمرين اثنين:

الأول: تحصيل وجمع الزكاة من حيث إحصاء من تجب عليه الزكاة، وفيم تجب، والمقدار الواجب، ومتى يجب، وإحصاء ما تم تحصيله وموازنته مع كفاية فقراء الإقليم، مع الاهتمام بأن هذه الإدارة تجمع أنواعا من الأموال مثل الحبوب والزروع والماشية والمعدن، ويمكن أخذ القيمة في هذا كله كما هو مذهب أبي حنيفة ومن وافقه [1]، ويمكن أن ينشأ لكل نوع من هذه الأموال قسم خاص به على هذا النحو:

أ- قسم للمعدن والركاز وهو ما يجب فيه الخمس ٢٠٪ [2].

ب- قسم للحبوب والثمار، وهو ما يجب فيه العشر أو نصف العشر ١٠٪ أو ٥٪.

جـ- قسم للماشية من إبل وبقر وغنم ولها حسابها الخاص الذى بينه الرسول بدقة فائقة والذي أوضحه الفقهاء.

د- قسم للنقود وأموال التجارة وهو ما يجب فيه ربع العشر ٢.٥٪ [3]، كما بين الأمر الثاني فقال:

---

(١) الأسمندي، طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف، تحقيق محمد ذكى عبد البر، دار التراث بدون تاريخ، ص ٢٦

(٢) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة مكتبة وهبة، ٢/ ٦٢١.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٦٢٢.

الثاني: توزيع وصرف أموال الزكاة في مستحقيها من حيث إحصاء من تجب له الزكاة من الفقراء والمساكين ومبلغ حاجتهم، وقدر كفايتهم، وموازنة لحاجات بين هؤلاء في الإقليم، ثم موازنة حاجة فقراء الإقليم بفقراء الإقليم المجاور فقد يكونوا أشد حاجة مع وضع الأسس السليمة لذلك، وفقًا للغدد والظروف الاجتماعية، ويمكن أن ينشأ عن ذلك عدة أقسام.

أ- قسم للفقراء بسبب البطالة الإجبارية من الشيوخ والضعفاء والمرضى وغير المكتسب مع قدرته وطلبه الكسب ويتحقق لهؤلاء الكفاية من أموال الزكاة.

ب- قسم للمساكين وهم من معهم مال لا يكفى.

جـ- قسم الغارمين من أصحاب الحوائج أو لازم لإصلاح ذات البين.

د- قسم لعون أبناء السبيل من المهاجرين وطلاب العلم [1]، ولاشك أن هذا أمر اجتهادي يعود إلى مشورة أولى الأمر من أهل الولاية والنظر.

ويكون عمل الإدارة العامة للزكاة التقدير لمدى الحاجة بين المصارف والموازنة بينها، وينبغي النظر إلى الإدارة العامة للزكاة أو الوزارة على أنها تنبع من مصلحة المجتمع الذي تعيش فيه فإن مشكلة كالبطالة إذا عانى منها المجتمع فإن توجيه مورد الزكاة لعلاج هذه المشكلة من المصلحة العامة التي يراها ولى الأمر، والتي هي من اختصاصاته التي تجيز له نقل مال الزكاة من إقليم لآخر - مع عدم المضرة بالإقليم الأول - بعد أن يكتفي أهله، كما أن المصارف إذ عدم بعضها فإن الزكاة يقسمها والى الزكاة على من يوجد ولو كان صنفًا واحدًا، وقد سبق أن المتعطل يأخذ حكم الفقير أو المسكين إذا كان قادرًا على الاكتساب ولم يجد ما يكتسب منه كفايته، وأرى أن توجيه مصرف الفقراء إلى تشغيل المتعطلين وكفايتهم من واجب الدولة في هذه الآونة الأخيرة، خاصة وقد غفل كثير من الاقتصاديين عن هذا المورد المالي الذي يعالج المشكلة معالجة حاسمة ولاسيما إذا استثمرت أموال الزكاة في مشروعات

---

(١) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي ٢/ ٦٢٣.

عملاقة تفتح آفاقًا عديدة ومجالات كثيرة تتيح آلاف فرص العمل للمتعطلين، فولى الأمر كولي مال اليتيم، حافظ وراعٍ، ورقيب، ولقد احترف الخلفاء الراشدون في أموال المسلمين فربحت تجارتهم وزاد الخير وعمل المتعطل، وكسي العريان، واغتنى الفقير.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن مورد الزكاة خاص بمصارفه لا يستحقه منه إلا الأفراد المعدودون في آية المصارف، وفى السنة أن أحد أصحاب النبي ﷺ قال: «أتيت رسول الله ﷺ فبايعته، فذكر حديثًا طويلًا قال: فأتاه رجل فقال: أعطني من الصدقة، فقال له رسول الله ﷺ «إن الله تعالى لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك»[1].

والدلالة من الحديث واضحة في أن الزكاة لا تصرف إلا في أهل الاستحقاق فلا توضع إلا في مصارفها الشرعية فلا تدخل في مالية الدولة بل يكون لها الإدارة المالية الخاصة بها فهي إحدى الولايات الشرعية التي عولجت بها البطالة قديمًا وكذلك يكون أمرها لأهل البطالة اليوم.

المطلب الخامس: (المفهوم الغربي للزكاة – بين الافتراء والرد عليه):

تبين فيما سبق مدى ما لفريضة الزكاة من دخل قوى في علاج ومواجهة مشكلة البطالة، كإحدى المشكلات التي تعانى منها الدول النامية والمتقدمة على حد سواء، حيث إن الزكاة قصدت إلى التكافل الاجتماعي، فيكفل الأغنياء الفقراء في البلد الواحد، كما ينمو الاقتصاد من فتح آفاق العمل من خلال استثمار مورد الزكاة، فالمسلم يفهم الزكاة على أنها هي طوق نجاة من كل الأزمات الاقتصادية من قلة العمل أو انعدامه، وقلة الضرورات المتاحة، والزكاة في نظر الإسلام ليست إلا صرف بعض أموال الأمة، ممثلة في أغنيائهم إلى الأمة نفسها ممثلة في فقرائها. وبعبارة أخرى: ليست إلا نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهى اليد المشرفة، التي استخلفها الله على حفظه وتنميته والتصرف فيه – وهى يد الأغنياء –

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة، ٢/ ١٢٠، رقم الحديث ١٦٣٠، وهذا الصحابي هو زياد بن الحرث الصدائي.

إلى اليد الأخرى، وهى اليد العاملة الكادحة، التي لا يفي عملها بحاجتها، أو التي عجزت عن العمل، وجعل رزقها فيه ومنه وهى يد الفقراء .

بقى أن نتعرف على المفهوم الغربي للزكاة، وبنظرة عامة فيما كتبه بعض علماء الغرب عن الزكاة يتبين أن هناك اتجاهين:

الاتجاه الأول: التوهين من شأن الزكاة، والافتراء على الإسلام.

الاتجاه الثاني: الموضوعية في الحكم، والصدق في البحث.

الاتجاه الأول: فمن ذهب إلى التوهين من شأن الزكاة ودورها في علاج المشكلة الاقتصادية وبطالة الشباب، وكفالة المحتاجين، عالم **الاجتماع دانيل جيرج والمستشرق شاخت.**

إن دانيل جيرج أثناء حديثه عن التكافل الاجتماعي، قائلًا: «إن أول مظهر رسمي للضمان الاجتماعي كان سنة ١٩٤١ حين اجتمعت كلمة إنجلترا والولايات المتحدة في ميثاق الأطلنطي على وجوب تحقيق الضمان الاجتماعي للأفراد وكان ذلك في محاضرة له عن تطور التكافل الاجتماعي وذكر فيها أن المحتاجين في القرون الغابرة لم يكن أمامهم وسيلة إلا الاستجداء أو تلقى الصدقات للتخلص من الموت جوعًا، وأن تاريخ التدابير الحكومية لإعانة الفقراء يرجع إلى القرن السابع عشر وقد اتخذت شكل تنظيم المعونة إلى الفقراء»[1].

تقييم رأى دانيل:

إن إغفال ذكر الزكاة الإسلامية عند الحديث عن أطوار التكافل الاجتماعي لا يعد إلا توهينًا من شأن الزكاة بغرض فصل المسلمين عن شريعتهم، فقد زعم أن الفضل يعود إلى الغرب منذ القرن السابع عشر، في حين أن الزكاة قد فرضت في العام الهجري الثاني وأخذ النبي ﷺ يباشر جمعها وتوزيعها من ذلك الحين أي من قبل هذا الموعد الذي ذكره دانيل بعشرة قرون كاملة أو يزيد، لذلك لم نسمع عن ثورة شعب مسلم على حاكمه طلبًا للطعام للتخلص من الموت جوعًا كما ادعى دانيل، بينما ظهرت الثورات والثارات على الإقطاع والظلم في فرنسا وروسيا لأنه لم يكن لديهم ما لدى المسلمين من نظام دقيق مثل الزكاة يجعل

---

(١) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي ٢/ ٩٣٧.

للفقير حقا مفروضا له في مال الغنى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾[المعارج: ٢٤، ٢٥].

ولما ظهر نظام التكافل الاجتماعي الغربي ما كان ليسمن أو يغنى من جوع، فأين تنظيم معونة للفقراء تكفى أولا تكفى، تدوم أو لا تدوم من حد الكفاية الذي سعى إلى تحقيقه العاملون على أموال الزكاة في كل فقير أو مسكين أو محتاج أيا كان لونه أو جنسه أو حتى دمه سواءً أكانت كفاية العمر كإعطاء آلة الحرفة للمحترف أو إعطاء كفاية سنة من العام إلى العام كبعض المرضى والعجائز والمعاقين؟، لذلك فإن الزكاة تعتبر أول مظهر حقيقي للتكافل الاجتماعي، وقد افترى دانيل فيما زعم، وعليه أن يغود إلى حقائق التاريخ ويقرأ ما عسى أن يجد فيها بغية الوصول إلى الحق لو أنصف، وقد سبق ما نادى به علماء الغرب من ضرورة البحث عن نظام اجتماعي عادل يحقق الخير للبشرية، بعد أن عمت مشكلة البطالة بلدان العالم[١].

وممن سار في هذا الاتجاه أيضا شاخت[٢]، فيما كتبه عن مادة «الزكاة» في دائرة المعارف المعارف الإسلامية حيث زعم أن طبيعة الزكاة في أيام النبي ﷺ كانت لا تزال غامضة، ولم تكن ضريبة من الضرائب التي يقتضيها الدين، ولذلك امتنع عن أدائها كثير من قبائل الأعراب بعد وفاة النبي لأنهم اعتبروا أن معاهدتهم قد بطلت بوفاة من عاهدوه على أدائها، كما زعم شاخت أن موقف أبى بكر رضي الله عنه من مانعي الزكاة، هو الذي أعطى هذه الفريضة ثباتها وخلودها لذلك زعم أن نظام الزكاة الذي جاء بعد النبي مخالف لما جاء به النبي[٣].

---

(١) «من المدينة إلى العولمة» ص ١٧٦، ص ٢٥ من البحث والقائل هو ديفيد هارفي.

(٢) هو ألماني اشتهر بتعصبه ضد الإسلام وعدم موضوعيته في أبحاثه عن الإسلام ويسمى جوزيف مستشرق معاصر وهو معروف بتحامله على الإسلام والسنة، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة ١٠/ ٣٥٥.

(٣) «فقه الزكاة» دكتور يوسف القرضاوي ١/ ١٠٥، نقلًا عن دائرة المعارف الإسلامية الجزء ١٠ ص ٣٥٨.

تقييم رأي شاخت:

شاخت أشد عداوة من سابقه حيث يزعم أن نظام الزكاة الحالي هو من صنع المسلمين في زمن متأخر عن عهد النبوة ولا دخل للوحي فيه، وهذا إنكار لما هو معلوم من دين الإسلام ضرورة، وكل من له مسحة من عقل يدرك ذلك فإذا لم تعترف بذلك يا شاخت، فأقل جهد في البحث أن تقر بأن المسلمين يقولون: «بأن الزكاة نظام فرضه الله عليهم في أموالهم». أما أن تتبرع للمسلمين بفهمك السقيم فنحن نرد عليك ما فهمت.

ولقد زعم شاخت أن طبيعة الزكاة كانت غامضة أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - فأين هذا الغموض مع وضوح حكم الزكاة؟! وبيان مصارفها تحديدًا وبيان مواردها كذلك، وكل ذلك واضح الدلالة في كتاب الله ﷻ الذي أنزل على قلب رسول الله ﷺ ولكنا لا نقول إلا كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦].

وأين هذا الغموض وقد حدد النبي ﷺ الأموال التي يجب فيها الزكاة، فإذا كان الغموض على الأمة له وجه فلا وجه مطلقًا لأي غموض على الرسول الموحى إليه، وأمارة وضوح الزكاة على النبي ﷺ أنها قد تمت بالفعل جمعًا وتوزيعًا في عهد النبوة المبارك، فلقد أرسل النبي العمال ليجمعونها من الأغنياء ويضعونها في الفقراء.

ولقد قرنت الزكاة بالصلاة في عشرات الآيات والأحاديث، وكان الصحابة يسألون النبي ﷺ عما غمض عليهم في دينهم، وخاصة إذا كان ذا صلة بأركان الإسلام وعباداته الأساسية، فلم يسألوا عن الزكاة مما دل على أن أمرها واضح عليهم.

واستدلال شاخت على غموض الزكاة في عهد النبي، بامتناع بعض قبائل العرب عن أدائها بعد وفاة النبي ﷺ؛ لأنهم اعتبروا معاهدتهم قد بطلت بوفاة من عاهدوه، فهذا استدلال بعيد عن الصواب، لأن واقع هذه القبائل كان ارتدادًا عن الإسلام بالكلية واتبعوا مسيلمة الكذاب وغيره ممن ادعى النبوة، وقد ورد في تاريخ الخلفاء أنه: «لما اشتهرت وفاة النبي ﷺ بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فنهض

أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتالهم»[1]؛ فهل كان الغموض في أمر الإسلام الذي ارتدوا عنه أيضا؟!

وبعض هؤلاء القبائل لم ينكر وجود الزكاة رأسًا، بل كان يسمح بها ولم يمنعها، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك، وقبضوا على أيديهم، مثل بني يربوع فإنهم كانوا قد جمعوا صدقاتهم، وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك ووزعها فيهم، وفى أمر هؤلاء عرض الخلاف، ووقعت الشبهة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فراجع أبا بكر وناظره واحتج عليه بقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله.. الحديث» تعلقًا بظاهر الحديث، فكانت حجة أبى بكر أنه قاس أمر الزكاة على الصلاة[2]، ولقد كان في موقفه ممن منع الزكاة متبعًا لرسول الله ﷺ فقد قال: «والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»[3]، وإذا كان الصديق رضي الله عنه في موقفه هذا متبعًا للنبي فلا وجه لادعاء شاخت بأن موقف أبى بكر منهم هو الذى أعطى هذه الفريضة ثباتها وخلودها، لأنها كانت ثابتة قبل وفاة النبي ﷺ، وثبت الصديق على ذلك في خلافته.

هذا هو الاتجاه الأول لبعض علماء الغرب من المستشرقين، وهذا رأيهم في الكيد للإسلام وتلك سنة الله ﷻ أن يتدافع الحق والباطل والله غالب على أمره فلا نعجب إذا قال نظمى لوقا: «الزكاة فريضة من الله، فريضة لا يراد بها الكسالى، بل من أقعدتهم عن العمل العوائق، على طلبهم له ورأيهم في ذلك، فالكسب من العمل هو الأساس، ثم من لم يجد عملًا فعلى الجماعة واجب إعالته من مال الزكاة»[4]، الكلام يصدر من منصف أنصف الحق لذاته

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الفجر للتراث. الثانية، سنة ٢٠٠٤، ص ٦٠.

دكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ١/ ١٠٧.

(٢) الشوكاني، نيل الأوطار، دار التراث، القاهرة، ٤/ ١١٩.

(٣) الحديث قد سبق تخريجه في أول الفصل، وهو متفق عليه.

(٤) «محمد الرسالة والرسول» دكتور نظمى لوقا ص ١٣٠.

وهذا هو ما ينبغي أن نقوله حتى ولو كان على لسان غير مسلم إلا أنه احترم قلمه وعقله والتاريخ والحقيقة فما كان إلا أن أنصف الحقيقة التاريخية والحق.

ولكن ليس كل الغرب ينحو هذا النحو الشاذ عن الحق، بل إن من المستشرقين من كانت له نظرة موضوعية في الحكم على الإسلام من خلال اقتصاده وزكاته وصدقوا في بحثهم العلمي، ويطيب لي أن أذكر طرفًا من أقوال هؤلاء حتى يظهر المفهوم الغربي للزكاة في صورة واضحة تبعًا للموضوعية والحياد.

الاتجاه الثاني: إن بعض علماء الغرب قد درسوا الإسلام وخلصوا من بحثهم بحقيقة مؤداها أن الإسلام له نظام اقتصادي مالي منضبط يرسم طريقًا متميزًا للتقدم فهو في مجال الإنتاج يمجد العمل، وفى مجال التوزيع يقدر لكل شخص حد الكفاءة، كما يوازن بين الملكية الفردية وحق المجتمع، فيقرر الاقتصادي الفرنسي جاك أوستري «أن طريق الإنماء الاقتصادي ليس محظورًا في الاقتصاديين «الرأسمالي والاشتراكي» بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الإسلامي الذي يبدو أنه سيسود عالم المستقبل لأنه أسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوئ »[1].

كما يقول توماس أرنولد: «إننا نجد إيتاء الزكاة فرضا آخر يذكر المسلم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[الحجرات:١٠]. وهى نظرية دينية تتحقق على صورة رائعة، تبعث على الدهش في المجتمع الإسلامي، وتتجلى في أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد، ومهما يكن جنسه ولونه وأسلافه، فإنه يقبل في زمرة المؤمنين ويتبوأ مكانة على قدم المساواة مع أقرانه المسلمين»[2].

---

(١) «ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية» دكتور محمد شوقي الفنجري ص ١١٢.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولدتوينبى، ترجمة حسن إبراهيم، وانظر دكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ٢/ ١١٨٥.

وهذا نقل يدل على الموضوعية في الحكم على نظام الزكاة في الإسلام نابع من قراءة متعمقة في الشريعة الإسلامية وروح هذا المدين الخاتم ولكن السيد أرنولد أفهم قوله (إعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد) أمرين، الأول : أن الزكاة شفقة ورحمة وهذا أمر حقيقي، ولكنها شفقة تدفع الفقير إلى بذل الجهود والعمل لترتفع عنه صفة الفقر وقد سبق أن للزكاة دوراً في التأهيل للعمل، والثاني : أن الزكاة تخص المسلم الجديد وليس بصحيح فإن المسلم الجديد يأخذ من الزكاة من سهم (المؤلفة قلوبهم) لو خيف عليه الردة عن الإسلام، وقبل هذا فإن سهم الفقراء والمساكين يقدم عليه، وفى الجملة فإن أرنولد من الشخصيات الغربية التي أنصفت الحق لذاته وفى هذه النصفة ما يدل على موضوعيته عند دراسته للإسلام ودعوته، وبذلك ندرك اعتراف بعض علماء الغرب بدور الزكاة في علاج البطالة ومواجهتها كمشكلة تحدق بالأفراد فتجعلهم من أهل الاحتياج، ففي الإسلام موازنة بين تكليفات الدين ومطالب الدنيا فعلى كل مسلم أن يقوم بواجبه نحو دينه ودنياه ويكون ذلك من خلال الزكاة التي توفر الكسب الذي يكفى مطالب الدنيا، ويحقق تكليفات الدين.

****

المبحث الثاني

الوقف في الإسلام

إذا كانت الزكاة تمثل فريضة الله تعالى في مال الأغنياء، فإن في شريعة الإسلام ما يتحقق به البذل المالي لمعونة أصحاب البطالة والحاجة والإعسار، فمن أحكام الإسلام ما يطلق عليه الوقف[1]، «الصدقة الجارية»، يقول الله ﷻ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾

[البقرة:١٧٧].

بين الإمام القرطبي أن الذي استدل بقوله تعالى: «وآتى المال على حبه» هو من قال: إن في المال حقا سوى الزكاة، وفيها كمال البر، وقيل المراد الزكاة المفروضة، والأول أصح لما روى في الحديث أن رسول الله قال: «إن في المال حقا سوى الزكاة[2]، ثم تلا ﷺ هذه الآية: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ليس الزكاة المفروضة لأن الله ذكر في نفس الآية الزكاة مع الصلاة فلو كانت هي الزكاة المفروضة فإنه يكون تكرارًا، كما اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها [3]، وقال سبحانه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران:٩٢].

---

(١) الوقف: هو الحبس، تقول وقفت الدار وقفاً، في سبيل الله، وشيء موقوف ووقف تسمية بالمصدر واصطلاحًا تحبيس الأصل والتصرف في المنفعة، الموسوعة الإسلامية العامة ص ١٤٥٥.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي ٢/ ٦٣٢، المجلد الأول.

(٣) أخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بذاك، وأخرجه ابن ماجه والدارمي ١/ ٤٧١ رقم ١٦٣٧، قال ابن حجر :وروي في معناه أحاديث منها ما رواه أبو داود في المراسيل عن الحسن: (من أدى زكاة ماله فقد أدى الحق الذي عليه، ومن زاد فهو أفضل)تلخيص الجبير ٢/ ١٦٩، وهناك صيغة تروى بلفظ (ليس في المال حق سوى الزكاة)، وقد حكم العلماء بضعفها وتحريفها، قال البيهقي : أصحابنا يذكرونه في تعاليقهم ولست أحفظ له إسنادًا، التلخيص ٢/ ١٦٩، وضعفه ابن حجر.

وقد ورد في السنة النبوية ما يدل على مشروعية الوقف وعمل به النبي ﷺ وأصحابه ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

والوقف له آثار اقتصادية هامة تتمثل في محاربة الاكتناز، وتوفير الموارد المالية اللازمة لتحقيق التنمية الاقتصادية، وحماية رؤوس أموال المجتمع الإسلامي حيث يتميز الوقف الإسلامي بوجوب البقاء والاستثمار ودوام النفع للجيل الحالي بل والأجيال القادمة.

مظاهر الوقف العملية لعلاج البطالة:

ورد في الموسوعة الإسلامية العامة أن الوقف: «يسهم في توفير حد الكفاية لأصحاب الحاجة والضرورة من الفقراء والمساكين مما يؤدى إلى تحقيق التكافل الاجتماعي وحماية المجتمع من الاضطرابات الاجتماعية، ومن تدنى مستوى المعيشة ويقدم الوقف دعمًا تكافليًا للفئات التي قد تصيبها بعض النكبات والأزمات»[2].

ويظهر دور الوقف الإسلامي الخيري في علاج مشكلة البطالة بكل أنواعها؛ فالوقف حبس الأصل وصرف المنافع على الوجه الذي يحدده الواقف في شروطه وتتضح المظاهر العملية للوقف التي تعالج البطالة كما بينها علماء الإسلام الحنيف في مظاهر عديدة فبين الدكتور محمد عبد الله مغازي ذلك فيما يلي:

أولًا: استخدام الوقف في تمويل العنصر البشرى حيث يجوز إنشاء وقف، الغرض منه إعانة المتعطلين، أو تقديم مساعدات مباشرة لهم حتى تتوفر لهم فرص العمل، وهذا خاصة إذا كانت الإعانة تصرف لهم في وقت يبحث المتعطل عن العمل، أو في فترة تدريبه على المهنة

---

(١) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم واللفظ لمسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق من الثواب بعد وفاته، ١١/ ٨٥.

(٢) الموسوعة الإسلامية العامة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ص ١٤٥٥.

(٣) «البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها» دكتور محمد عبد الله مغازي ص ٨٣.

والحرفة التي يمارسها، ليكتسب منها قوته وقوت عياله، وبذلك يتحقق للمتعطل الأمن النفسي، والطمأنينة على أهله أثناء بحثه عن العمل أو تدريبه، وهذا الجانب التكافلي في الوقف لا يمكن إغفاله لعظيم أثره في علاج بطالة المتعطل، «ولما كان الوقف في الإسلام يتسم بعمومية المصرف، حيث يجوز الوقف على أي جهة أو شخص حسبما يختار الواقف ما لم يكن في معصية، فيمكن أن يقبل الواقفون على اشتراط الوقف على المتعطلين وفقًا للضوابط التي يحددها الواقف وهذا يحقق عدة مزايا منها: واقعية المصرف، فالواقف إنسان هو أدرى بأهل بلده وحاجتهم»(١).

ثانيًا: إن تنوع البطالة يمكن أن يتنوع الوقف معها، فمثلا ينشأ وقف لأصحاب البطالة الاضطرارية من خلال وقف العقارات والأراضي والشركات لخلق فرص عمل للمتعطلين وتشغيلهم فيها، وهذا الوقف الخيري يخص أصحاب البطالة الاضطرارية دون غيرهم حيث إن الوقف استثمار لأصول تعود فائدتها على مستحقيه، ومن ثم فهو مصدر دائم يتم استثماره فيما هو معد له، بحيث يكون عائد هذا الاستثمار متجددًا على الدوام(٢).

ثم ينشأ وقف لأصحاب البطالة الاختيارية أو المستترة كمن يعملون بعض أشهر العام ويتعطلون بقية العام يقف عليهم الوقف الخيري حتى يضمن العمل الدائم لجميع العاملين في المجتمع، ولما كان الوقف قربة لله ﷻ، فإن من أعظم القربات تشغيل ذوى البطالة من أبناء المسلمين قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[الحجرات:١٠].

ثالثًا: إنشاء وقف لتحقيق التنمية يسهم في خلق فرص عمل ومن هذه التنمية التعليم والصحة، فيمكن أن يمول الوقف المدارس والجامعات والمستشفيات، بل ومراكز تدريب

---

(١) البطالة ودور الوقف في مراجعتها، الدكتور عبد الله مغازي ص٥٨.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩، ٩٠.

للمتعطلين، وفى كل ذلك توفير فرص عمل للمتعطلين ويمكن أن يحقق الوقف تعمير الصحراء، وشق الترع وهذه مجرد أمثلة لما يمكن أن يقوم به الوقف في التمويل الاقتصادي والاجتماعي[1].

وقف الفاروق عمر بن الخطاب:

إن الفاروق عمر رضي الله عنه أصاب أرضا بخيبر، فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضا لم أصب مالًا قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبَّست أصلها وتصدقت بها»، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء والقربى، والرقاب، وفى سبيل الله والضعيف، وابن السبيل، لا جناح على أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه»[2].

الحديث دليل على صحة الوقف والحبس على جهات القربات وهو مشهور متداول وأن هذا الوقف كان لأرض في خيبر وكانت جيدة نفيسة لدي عمر، وهذا يدل على أنه تصدق وأنفق مما تحب نفسه تصديقا لقول الله : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[آل عمران:٩٢]. وأنه حبس أصل الأرض صدقة جارية، لا تباع فلا يجرى عليها البيع ولا الهبة ولا الميراث، وان ينتفع بها أصناف عديدة من أهل الحاجة والإعسار وعدّدهم، وأباح لمن ولى أمر هذه الأرض الأكل بالمعروف «وهو القدر الذي جرت به العادة والعرف، وقيل: قدر عمله»[3].

---

(١) البطالة ودور الوقف في مراجعتها، دكتور محمد عبد الله مغازي، ص ٩٤.

(٢) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم واللفظ للبخاري كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب ٢/ ١٣٢، وفى لفظ مسلم (غير متأثل مالاً) ومعناه غير جامع، وكل شيء له أصل قديم أو جمع فهو مؤثل، وغير متمول أي غير متخذ منها مالاً أي ملكا لا يمتلك شيئا من رقابها ولا يبدلها بغيرها صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الوصية، باب الوقف ١١/ ٨٦.

(٣) «سبل السلام شرح بلوغ المرام » الإمام الصنعاني، ٣/ ١٢٨.

وهذا ما شرطه عمر ﵁ في الوقف «ولا يجوز عند الفقهاء إخراج العين الموقوفة على جهة وقفها فقد اعتبروا الشرط المعقول للواقف كنص الشارع »[1]، والمصارف التي ذكرها عمر مصارف خيرات؛ فلا غرو فإن علاج البطالة بالوقف من أقرب القربات إلى الله ﷻ خاصة بعد أن تفاقمت مشكلة البطالة، وتعددت آثارها وكثرت أسبابها.

وعلى الأغنياء واجب مساعدة أصحاب البطالة بمعونتهم وتشغيلهم، بموجب مشورة النبي ﷺ على عمر بقوله: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»؛ فهذا يدل على ضرورة توجه إرادة الأغنياء نحو هذا الباب الفقهي الذي ساعد به الإسلام أهل الحاجة، ومن أشد حاجات المجتمعات اليوم عون أهل البطالة، والسعي في توفير أعمال لهم.

والوقف باب واسع في الفقه الإسلامي يحتاج إلى بحث مستقل قائم بذاته لعلاج العديد من مشكلات الأمة الإسلامية وليست البطالة فحسب، حيث إن الفقهاء لهم تكييفات فقهية اليوم لعلاقة الوقف بعلاج البطالة وغيرها من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، وفيما قيل كفاية للإشارة إلى هذا الباب الشرعي الذي شرعه الرحمن الرحيم لعباده، خاصة في مسألة العون المالي حيث قال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[البقرة:٢١٩].

وهذه الآية الكريمة اتخذها بعض العلماء أصلاً في أن المسلم لا حق له في الفضل الزائد من ماله فالعفو واجب الإنفاق، وحملوا عليه إنفاق أبي بكر ﵁ بماله كله، وهذا باب واسع من الأبوب العملية في علاج كل المشكلات التي لها سمة اقتصادية في الأمة الإسلامية [2]؛ فالعفو من المال مبذول بسخاوة نفس من المؤمنين للمؤمنين.

وبعد فهذه من الأوجه العملية في الإسلام لعلاج الإسلام للبطالة، تدرك بها الإنسانية كلها أن الإسلام لم يشهد الله ﷻ له بالكمال على سبيل نافلة من القول، بل لأنه قد هيأ فيه

---

(١) «الموسوعة الإسلامية العامة»، ص ١٤٥٦.

(٢) دكتور يوسف إبراهيم، إنفاق العفو في الإسلام ص ٦١ وبعدها، سلسلة كتاب الأمة عدد محرم ١٤١٤هـ فقد أصّل لهذا المعنى وأفاض فأجاد وأفاد.

الفصل الخامس

خصائص المنهج الإسلامي

- الخصائص العامة للمنهج الإسلامي.
- خصائص منهج الإسلام في علاج البطالة.
- المسئولية



المبحث الأول

الخصائص العامة للمنهج الإسلامي

المطلب الأول: الربانية:

إن المنهج الإسلامي له خصائص يتميز به عن غيره، حيث جاء الإسلام بعقيدة وشريعة وأخلاق، عقيدة دينية كاملة تنظر في الإنسان والكون والحياة، وشريعة جامعة يسعد بها الفرد والجماعة، تلبى حاجات الناس ومصالحهم، وأخلاق تترجم الكمال الإنساني في سلوك واقعي.

ومن خصائص المنهج الإسلامي، الربانية لأن مصدره القرآن الكريم، الذي يهدى للتي هى أقوم، وهو تنزيل من حكيم حميد، ومصدره أيضا السنة النبوية المشرفة، وهى البيان والتوضيح والتفصيل للقرآن الكريم، وهى وحى يوحى، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[النجم:٣-٥].

وقد أمر الله المسلمين أن يكونوا ربانيين من خلال تعليم الكتاب ودراسته حيث إنه المنهج المحفوظ المعصوم، فقال الله ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩].

ومن ثمرات هذه الربانية: سلامة النفس البشرية من التمزق والصراع الداخلي والانقسام بين مختلف الغايات، وشتى الاتجاهات «فقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة هي: إرضاء الله، وركز همومه في هم واحد هو: العمل على ما يرضيه، ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها في الحياة ووجهتها فيها»[1]، قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف:١١٠].

---

(١) «أضواء على النظم الإسلامية» دكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف ص ٥٠. «أصول الدعوة» دكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٦.

وربانية المنهج توفر له الكمال الذاتي لأنه من عند الله - تعالى - الأمر الذي يحقق للمنهج، الهيبة والاحترام من قبل المؤمنين به، فلا يتحايلون على مخالفته، ولا يبدلون معانيه، ويقفون عند حدوده فلا يعتدونها.

المطلب الثاني: الشمول والعموم:

لقد شمل المنهج الإسلامي جميع شئون الحياة، وكل تصرفات الإنسان، وذلك من خلال أحكام العقيدة، والشريعة، والأخلاق جملة وتفصيلا، كيف يتعامل الناس مع بعضهم بعضًا من خلال نظام المعاملات الإسلامية، في كتاب البيوع، وشرع الله ﷻ في كتابه للأمة ذلك تفصيلا، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩]. فمن خلال العقيدة الإسلامية بين الله للإنسان مكانته في الكون، وعلاقته بربه في الدنيا، ومصيره ومآله في الآخرة. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

ومن خلال الشريعة، نظم الإسلام علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وزوجه، وولده وأهله والناس أجمعين، بنظرة شملت جميع علاقات الإنسان في هذه الحياة منذ علاقته بأمه، إذا كان طفلًا رضيعًا، وحتى اشتد وقوى على مواجهة الصعاب، ثم إلى أن صار شيخًا هرمًا، فبين الإسلام ما يجب له أو عليه من حقوق وواجبات من خلال آي الذكر الحكيم، وبيان النبى الخاتم ﷺ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام:٣٨]. وقال ربنا بيانًا عن منزلة السنة من القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤].

كما شمل الإسلام منهجًا أخلاقيًا يقوم على مجاهدة المرء نفسه من كافة ألوان الرذائل، وضرورة تحليتها بكافة الفضائل والأخلاق، قال الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٧-١٠].

والإسلام دين الله الذى أرسل الرسول الخاتم، ليبلغه للناس أجمعين برسالة عامة عالمية، فشمل العربى والعجمى، والأبيض والأسود والأحمر، قال الله سبحانه ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] مع اختلاف أجناسهم؛ فناسب جميع الأجناس البشرية لأنه اشتمل كل ما يحتاج إليه البشر من أنظمة وتشريعات تشبع العقل والعاطفة.

المطلب الثالث : الجمع بين الرقابة الإلهية والبشرية:

الإسلام دين الله ﷻ الذى أرسل نبيه محمدًا ﷺ من أجل بلاغه للعالمين؛ إذ فيه صلاح شأنهم في الدنيا؛ فالمسلم يشعر بالرقابة الإلهية والبشرية عليه، أما الرقابة الإلهية، فالله سبحانه قد أحاط بكل شي علمًا، يعلم السر والجهر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١]. فعقيدة المسلم أن الله مطلع علية يعلم سره وجهره، فتورثه عقيدته انضباطًا في سلوكه وهذا ما يمتاز به المنهج الإسلامي دون غيره من المناهج الأخرى وقال أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[المجادلة:٧].

وأما الرقابة البشرية فتتمثل في رقابة المرء على نفسه بضميره اليقظ الذي أيقظه الدين ورباه، وبعقله الذي هداه الدين، كما تتمثل في رقابة المسلم على أخيه المسلم، ورقابة ولى الأمر أو من ينوبه على ما استرعاه الله من أمر المسلمين من خلال ولاية الحسبة من الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران:١٠٤].

والرقابة البشرية من المميزات التي تميز بها هذا المنهج ومن سلكه، ولقد أكد الرسول ذلك حينما (استعمل رجلًا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم

وهذا أهدى لي، قال فهلا جلس في بيت أبيه فينظر يهدى له أو لا،والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه، اللهم هل بلغت ثلاثًا)[1].

إن رقابة الله على العباد دافع لإصلاح العمل ومعاونة أئمة المسلمين فيما فيه الخير والصلاح، وتوجيه وإرشاد وتربية عامة المسلمين على ما ينفعهم ويهديهم، وقد نصح الرسول المسلمين من خلال إعانته لكل أفراد أمته، وتغيير الفكر السيئ بكل إيمان وفطنة ويقظة في هذه الحياة .

المطلب الرابع: الدوام والاستمرار:

إن الإسلام بمنهجه له صفة الدوام والاستمرار، فالمنهج قائم على كتاب الله ﷻ وسنة الرسول ﷺوقد تكفل الله بحفظ كتابه ومادام الوحي محفوظ بحفظ الله له - بلفظه ومعناه - فإنه دائم بدوام هذه الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩].

والإسلام بمنهجه قائم ما بقيت للإنسان حياة على ظهر هذه الأرض، فقد أرسل الله رسوله الخاتم، وأقام به الحجة على الناس، وأنه لا نبي بعده، وأن دينه لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل ولا يحرف، فهو مستمر الوجود باستمرار الوجود كله، قال الله سبحانه: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء:١٦٥]. وقد أكمل الله ﷻ هذه الرسالة الخاتمة، وأتم نعمته فيها، حتى يدوم لهذه الأمة الخاتمة الخير، ويستمر لها النصر، ويعلم المسلمون أن دينهم كامل[2]، قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب الهبة ، باب من لم يقبل الهدية لعلة ، ٢ / ٩٢. والرغاء صوت البعير، والخوار صوت البقرة وعفرة إبطيه وزان غرفة وهى بياض ليس بالخالص المصباح المنيرص ١٤١،٢٨٤

(٢) مع النظم والثقافة الإسلامية، الدكتور محمد طلعت أبو صير، ص ١٠.

بين الدكتور محمد طلعت أبو صير هذا حيث قال: «إلى جانب بقاء الإسلام ومنهجه، فإنه قابل لاستيعاب كل ما يستجد من أمور الحياة، وصالح لصيانة تطور الحياة وتقدم الإنسان، ونصوص القرآن والسنة النبوية ذات صبغة كلية عامة، وأحوال الأفراد مختلفة باختلاف الزمان والمكان، ولهذا كان الاجتهاد في استنباط الأحكام أمر مستقر في الشريعة الإسلامية، وفى هذا مجاوبة لتطور الحياة، ومواجهة لما يحدث من مشكلات ووضع الحلول الصحيحة لها مهما تغيرت الأيام وتعددت البيئات»[1]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[النساء:٨٣].

إن الخصائص العامة للمنهج الإسلامي آثرت فيها الإيجاز على الإطناب وما هو إلا جهد المقل، ويكفى أن نذكر لخصائص المنهج الإسلامي قول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزمر:٢٧،٢٨]. فالقرآن هو دستور الإسلام وما كان وصفًا للقرآن فهو من أوصاف الإسلام.

وبعد فهذا غيض من فيض من سمات وخصائص المنهج الإسلامي، وليس الغرض إحصاء خصائص المنهج، بل الإشارة إلى كمال هذا الدين وبيان أن الله هيأ فيه العلاج لكل أزمة تقع فيها البشرية؛ لأنه رسالة من الله للبشرية كلها؛ فربانية المنهج، والشمول والعموم، والجمع بين الرقابة الإلهية والبشرية، والدوام والاستمرار، والقابلية لما يستجد من أمور دالة على كمال هذا المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء، وسرعان ما بينه للأمة بأسلوب عملي يدفع كل ظن عنه.

---

(١) مع النظم والثقافة الإسلامية، الدكتور محمد طلعت أبو صير ص١٠.

وإن كان للإسلام خصائصه العامة التي يمتاز بها، ويميز منهجه ونظمه المتعددة -الاقتصادية والاجتماعية والسياسية – فإن من نظر بعين التأمل والتدبر سيجد أن للإسلام خصائص تميز منهجه الذي ينتهجه لحل مشكلة من المشكلات لا تخرج عن إطار الخصائص العامة، ومن تلك الخصائص التي يمتاز بها الإسلام هي علاج مشكلة البطالة، فما هي هذه الخصائص التي تميز بها علاج الإسلام للبطالة؟

****

المبحث الثاني

خصائص منهج الإسلام في علاج البطالة

إن كان للإسلام خصائصه العامة التي يميز بها، ويمتاز بها منهجه ونظمه المتعددة - من نظام اقتصادي، واجتماعي، وسياسي- فإن من نظر بعين التأمل والتدبر سيجد أن للإسلام خصائص خاصة تميز منهجه الذي ينتهجه لحل مشكلة من المشكلات لا تخرج عن إطار الخصائص العامة، ومن تلك الخصائص التي يمتاز بها الإسلام في علاج مشكلة البطالة:

المطلب الأول: تشخيص الداء ووصف الدواء:

لقد شخص القرآن الكريم نفسية المتعطل من خلال تعدد الأوصاف التي ضرب المثل بها للفرد الذي لم يجد الكسب المناسب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾[النحل:٧٦]. وهذا الوصف الدقيق لحال الفرد – وقد سبقت الإشارة إليه – وقد جاء الدواء المستأصل له من جذوره من بين يديه ومن خلفه في ثنايا تلك السورة المباركة نفسها التي شخصت الداء ووصفت الدواء.

فالمنهج الإسلامي في علاج البطالة، تشخيص الداء ووصف الدواء قد وضعهما في موضع واحد حتى يصيب الدواء الداء فيبرأ الأفراد من تلك الحال، ويكسب المسلم رزقه من فضل الله تعالى، ومما عدده من ألوان النعم مثلا من الزراعة والصناعة والتجارة التي وردت قبل تشخيص الداء قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[النحل:١٠، ١١].

و قد بين الله ﷻ أن أصل الداء هو جهل الفرد بتلك النعم الربانية، وتغافله عنها، وأن أصل الدواء هو من جنس ما سخره الله للإنسان في أرضه من أنعام وزرع وغرس وحرف ومهن أخرى كصناعة الأثاث المنزلي، والغزل والنسيج وغيرها، فسورة النحل شخصت الداء ووضعت الدواء في صورة المكاسب الأصلية التي يعالج بها المتعطل حالة بطالته.

المطلب الثاني: الإيجابية:

إن المنهج الإسلامي في علاج البطالة له خاصية الإيجابية، حيث يجعل الفرد إيجابيًا مع الكون لمن حوله، ومع جميع الناس، وذلك من خلال استخلافه في الأرض.

أما الإيجابية مع كون الله تعالى فتحقق من خلال تسخير الكون له، فإذا به يعمره بما تيسر لديه من إمكانات وقدرات ومهارات، مع السعي في تحقيق الخير والرخاء، وخير شاهد على ذلك ما قدمه الرسول ﷺ لأمته من سيرة مباركة نلتمس فيها القدوة في الإيجابية مع كون الله تعالى من حث على المكاسب، واتخاذ الوسائل التي يحقق المسلم من خلالها الإيجابية مع هذا الكون من كف عن المسألة، وسمو بأهدافه وأخلاقه وجدية البحث عن الكسب.

أما الإيجابية مع جميع الناس، فقد جعل الإسلام الحنيف كل معاملة مشروعة بين المسلم وبين كل من هو أهل للمعاملة حتى ولو كان غير مسلم، وقد أوضح النبي ذلك عمليًا «حينما رهن درعه عند اليهودي» [1]، فسار على هذا المنهج الإيجابي أصحابه من بعده، «فقد واعد الإمام علي صائغًا يهوديًا ليرحل معه» [2]، وتجارب مع الناس كلهم لذلك لم يشترط الفقهاء الإسلام في أحد المتبايعين في شروط صحة البيع، وليس من أركان عقد البيع، قال دكتور محمد بكر إسماعيل: «ولا يشترط فيهما «البائع والمشترى» الإسلام، بل يجوز أن يبيع المسلم للكافر كل شيء يحتاج إليه إلا المصحف والسلاح الذي يغلب على الظن أن يستعمله غير المسلم في حرب المسلمين» [3].

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري كتاب البيوع، باب ما قيل في الصواغ٣/ ٩، وقد سبق في الفصل الثاني.

(٣) دكتور محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، دار المنار، ٣/ ٨.

إن الإسلام حينما عالج بطالة الأفراد لم يقيد معاملة الفرد المسلم إلا بشرطين اثنين: الأول: أن يعمل العمل الصالح، والثاني: أن يكون فيها أحل الله لا ما حرم، وكلما قلت القيود اتسع المجال فهذه من إيجابية المنهج الإسلامي في علاج البطالة، ولذا قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾[البقرة:١٦٨]. فكل بيع وقع التراضي فيه بين البائع والمشتري- وكان مما يصح تملكه والانتفاع به، وكان مقدورًا على التسليم، ومعلوم القدر والصفة والثمن بلا غدر أو غش أو غبن - فهو بيع جائز شرعًا.

المطلب الثالث: التوازن:

لقد وازن المنهج الإسلامي في علاج البطالة بين مطالب الدين من توثيق الصلة بالله تعالى بأداء ما افترضه على المرء المسلم، وإتباع هدى رسول الله ﷺوبين مطالب الدنيا من ابتغاء المسلم من فضل الله- سبحانه- كسبًا وعملًا لأداء ما فرضه الله عليه أيضا من نفقة على الأهل والولد.

فهيأ الوقت للكسب، لا كبعض الأديان التي تجعل أتباعها في حالة انعزال عن العالم وانقطاع للعبادة [1] فقال الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة:١٠]. ووفر المنهج الإسلامي جهد الفرد فلم يثقل عليه بالعبادة حتى لا يقوى على الكسب، بل ناسب بين الجهد التعبدي والجهد في الحياة من خلال عبادة الصوم-التي لا تجهده ولا تهلكه - وحفزه بالصدقة على الكسب، ليتصدق وهذا اندماج العمل الدنيوي في الدين من خلال سمو بالغاية.

كما وازن المنهج الإسلامي في علاجه للبطالة بين مطالب الإنسان الروحية والمادية بعقيدته التي جمعت بين ابتغاء الأرزاق فيما يسر الله للإنسان، وبين الرضا بما قسمه الله من حظوظ له في هذه الدنيا كثيرة أو قليلة، فالمرء المسلم- دائمًا- في حالة من الرضا والقناعة

---

(١) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ص٤٥٢. فقد أورد المؤلف أن الاستجداء عند الهندوس إحدى العبادات في بعض مراحل عمر البرهمي.

النفسية بأن الله رازقه، ولذا قال الرسول ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾[المؤمنون:٥١]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[البقرة:١٧٢][1]. فالمسلم يجد في الإسلام ما يحثه على طاعة الله في أمر دينه ودنياه وفى ذلك ملائمة لفطرته في الكسب مع تمام الرضا عما قدره الله تعالى له.

المطلب الرابع: التوسع:

لقد توسع المنهج الإسلامي في المجالات التي يعمل فيها الفرد، حتى يزاول أهل كل إقليم ما يناسبهم من كسب يلائم بيئتهم، فهناك المجتمع الزراعي والمجتمع الحرفي، والمجتمع التجاري، وهذا إن صح التعبير توسع أفقي[2]، ومن ناحية أخرى نظر الإسلام نظرة توسع في دائرة العمران ليحدث الموازنة بين قوة العمل «عدد الأفراد الراغبين في العمل»، وبين الأعمال، فكان التشريع النبوي الرائد من إحياء الموات للتوسع في العمران حتى يضمن لكل إنسان عملًا وبذلك تزدهر الحضارة، وتتفوق الأمم، وهذا توسع رأسي[3]، كما توسع في نوعية المزروع بين ضروري وحاجي وتحسيني حينما قال ربنا ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾﴾

[الرحمن:١٠- ١٢].

وتوسع كذلك في المجال الصناعي حينما ربط بينها، وبين الحاجة الإنسانية وهى متعددة من ضروريات، تحسينات، وكماليات، ولقد أشار القرآن إلى ذلك، حين قال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا

(١) أخرجه مسلم، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ٧/ ١٠٠.

(٢) التوسع الأفقي أي في الأعمال المتعددة التي شرعها الإسلام الحنيف من الحرف والصناعات الأصيلة أو التابعة مثل ما يتولد من أعمال كثيرة في الزراعة مثلا.

(٣) التوسع الرأسي، أي التوسع في المجال الواحد، فلم يقف على حد معين.

تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[طه:١١٨،١١٩]. فهذا الربط بين الصناعة والحاجة الإنسانية يضمن التوسع في الأعمال، مما يحقق العلاج للمشكلة مع الإقبال عليه برغبة صادقة في العمل، لقيامه على إشباع حاجة إنسانية ، إن التوسع في مجال العلاج أحد خصائص المنهج الإسلامي في علاج البطالة، مما يشهد لكمال هذا الدين عقيدة وشريعة وأخلاق ذلك لأن التوسع كان أفقيًا في جميع المجالات، ورأسيًّا في كل مجال من المجالات، وقد تحقق ذلك في عهد الرسول ﷺوكلما تقدمت البشرية كلما توسعت وتعددت مجالات العمل مما يسهم في علاج البطالة.

المطلب الخامس :التدرج:

لقد تدرج العلاج بدءا من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع، أما الفرد فعالجه الإسلام من خلال تربيته التربية الصحيحة، وتهذيب سلوكه وأخلاقه، ولقد كانت تربية رسول الله لأصحابه وتهذيبه لأخلاقهم وسلوكهم مما يشهد على صدق هذا التدرج، فيربى الفرد على حب العمل والكسب حتى لا يكسل ولا يتواكل، ويربى الفرد على عقيدة قوية لا ينهزم صاحبها عند أول مصيبة، بل يصبر ويتصابر حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولًا، مع سعيه الحثيث على الخروج من حالة التعطل التي يعيشها.

أما دور الأسرة فيأتي متمثلًا في تعليم الوالد ولده حرفة تنفعه، فكان عوف يأخذ ولده عبد الرحمن في رحلاته التجارية، وهذا عفان يأخذ ولده عثمان مما أنشأ تاجرين ماهرين مدربين على شئون المال والتجارة، فدور الأسرة قد رسمه الدين الحنيف في إطار من التربية والتدريب لحرفة أو مهنة من المهن.

أما دور المجتمع فيأتي من خلال إنشاء مراكز تدريب على المهن التقليدية مثل النجارة، والحدادة، والحياكة، والصياغة وغيرها، ومن خلال تشغيل الفرد في العمل الذي يناسبه سواءً كان العمل فكريا أو يدويا، وأن من حق المجتمع متمثلًا في ولى الأمر أن يجبر الفرد على الكسب، فقد عالج الرسول بطالة هذا الشاب الذي جاء يسأله فوفر النبي له العمل وآلته

ودبر له أمره في بيته ثم تابع خبره حتى تأكد من اندماجه في العمل وقد سبق ذلك في موقف الرسول من البطالة[1].

إن هناك نظرة نبوية لعلاج مشكلة البطالة ظهرت في هذا التدرج سنة الله في خلقه فلم يأخذ الناس بالدفعة الواحدة وإنما تدرج لهم في التكاليف، وكذلك عالج بطالة الفرد بالتدريج بداية بالفرد ثم الأسرة ثم المجتمع.

المطلب السادس: الجمع بين الترغيب والترهيب:

لقد عالج الإسلام الحنيف البطالة بهذا الأسلوب التربوي الرائد فرغّب في الكسب وبين منزلة العمل، وأنه من الإيمان، وأنه ضرورة حياة وجعل الأجر غير ضائع لهذا العامل الماهر فقال الله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾[العنكبوت:٥٨]. وقال ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[آل عمران:١٩٥]. وأن الضرب في الأرض قرين الجهاد في سبيل الله.

وبيّن الرسول ﷺ ثواب من زرع زرعًا أو غرس غرسًا فأكل منه إنسان أو حيوان أو طير، وأنه ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام قدوة في العمل اليدوي فقد كان يأكل من عمل يده، وأن التاجر الصدوق له منزلة عظيمة عند الله.

إن هذا الترغيب الذي سبق بيانه لدليل على أن العلاج قد لمس فطرة الإنسان، فرغَّبه، ورهَّبه من خلال التنفير من صفات الفرد المتعطل، وبيان عاقبة القاعدين، وعدم مساواة القاعد غير المتضرر مع المجاهد في سبيل الله تعالى. وكل ذلك يصب في قناة واحدة هي دفع الإنسان المتعطل إلى الكسب والعمل ؛ ففي تخويفه من سوء عاقبة القاعدين باختيارهم، وقبح صفاتهم دافعٌ إلى السعي في ترك حالة البطالة.

---

(١) راجع «موقف الرسول من البطالة» ص ٩٨.

المطلب السابع: الجمع بين الخلق والسلوك:

لقد جمع الإسلام في علاج البطالة بين الأخلاق والسلوك فخلق الكسل، والتواكل، واليأس من رحمة الله، والجزع عند الشدائد، تترجم سلوكيات لكل من الكسول، والمتواكل واليائس من رحمة الله والجازع عند الشدائد، وما دام السلوك أمارة الخلق فلابد من تهذيب أخلاق الفرد ثم توجيه الفرد إلى سلوك قويم، وهذا ما فعله عمر مع الشاب الذي دخل المسجد وهو يقول: «من يعينني في سبيل الله؟» لقد هذب عمر رضي الله عنه خلق التواكل فيه، ووجهه إلى سلوك قويم، ثم تركه بعد ما لقنه درسًا في التوكل على الله، وابتغاء الرزق من لدنه سبحانه قائلا له: «الآن إن شئت اغز، وإن شئت فاجلس». [1] فتبين من هذا النص الكاشف ما ينتفع به المسلمون بل والبشرية كلها على مختلف المنازل والأحوال وعلى قدر المسئولية.

إن الأخلاق لا ثمرة لها إلا في سلوك تظهر فيه، لذلك جمع الإسلام بين الأخلاق والسلوك في معالجته لبطالة الأفراد، فما فائدة أن نظل نردد أن العمل واجب دون أن نقدم أو نؤخر شيئًا؟! ومن هنا ظهر السلوك النبوي الكريم في سعيه وعمله، فكان قدوة للسالكين في السعي والكسب ابتغاءً من فضل الله.

****

---

(١) محمد يوسف الكاندهلوى، حياة الصحابة، ٢/ ٦٠.

المبحث الثالث

المسئولية

لقد جعل الإسلام للكائن البشرى حقوقًا مدنية حق التعليم،وحق العمل، وغير ذلك من حقوق تحققت بها الكرامة للإنسان، ولا نعجب إذا صدر عن منظمة الأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨، وفيه «اعتبر لكل أحد حق العمل، ولكل أحد أن يختار عمله بحرية، وأن يطلب الحماية مقابل البطالة» (١) ومن هنا نجد أن الإسلام قد سبق إلى إقرار هذه الحقوق تفعيلًا لخلافة الإنسان في الأرض.

وقد عمل الشرع الإسلامي على تفعيل حق الكسب للأفراد، وجعله مسئولية الفرد والمجتمع، بداية بالراعى الأول لشئون المسلمين من ولاة الأمور وانتهاء بالفرد نفسه، وعلى المجتمع أيضا مسئولية تحقيق هذا البرنامج الإسلامي المتكامل بكل ما فيه من علماء، وآباء، ومصلحين، ومربين يترجمون هذه الحقائق الإسلامية في سلوك عملي يتم به وقاية المجتمع من شر البطالة، ومواجهتها مواجهة حاسمة إذا ظهرت في المجتمع.

ويمكن تقسيم المسئولية إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: مسئولية ولاة الأمر:

لقد أظهر النبي ﷺهذه المسئولية من ناحتين: التشريع المعالج للبطالة والتنفيذ له، أما التشريع فقال عنه ﷺ: «كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم »(٢)، وقد اقتدى بالرسول ﷺ الخلفاء الراشدون من بعده، فحافظ كل منهم

---

(١) (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) أسامة الألفي حقوق الإنسان ووجباته في الإسلام، ص ١٠٨ المادة (٢٣)، أ، ب، جـ د، والمادة (٢٥)، والمادة (٢٦). دكتور على عبد الواحد وافى، حقوق الإنسان في الإسلام، نهضة مصر، ص ١٥.

(٢)الحديث أخرجه البخاري ومسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، حديث رقم ١١٩٩، ص ٣٩٥. الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٢١.

على من تحته من رعية فعدلوا ونصحوا وأدوا الحقوق التي تقلدوا مسئوليتها، وقد سبق جانبًا من ذلك في الفصل الثاني [1] وقد هيأ من الخلفاء الراشدين - من خلال التشريعات - ما يصلح شئون المسلمين ويعالج البطالة.

أما الناحية الثانية التي أظهر النبي من خلالها مسئولية ولاة الأمور تجاه المسلمين، فهو التنفيذ العملي لهذا التشريع من تشغيل المتعطلين، وتتحقق هذه المسئولية من خلال المراحل الآتية:

١-التخطيط:

إن التخطيط يكون كما بين أهل الاختصاص «عن طريق وضع خطة لما يستقبل من شئون الحياة العامة في الاقتصاد والتصنيع والتعليم وأنواع الإنتاج كافة»[2]، وقد كان النبي يخطط الشئون العامة للمسلمين فيما ييسر لهم مصالحهم وفى الحديث «فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها» [3] والحديث يشير لخطة رسول الله يوم الحديبية.

الله مدبر الأمر:

والله ﷻ بيده تدبير الأمور، وتصريف كل شيء، قال سبحانه: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾[السجدة:٥-٧]. وهو على الحقيقة مدبر كل شيء في هذا الكون، ومن تدبير الله سبحانه لعباده أن أمرهم بأن يأخذوا حذرهم فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟

---

(١) المبحث الثالث من الفصل الثاني، موقف الخلفاء الراشدين من البطالة.

(٢) المعجم الوجيز، ٢٠١.

(٣) بعض حديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ٢/ ١٢٠، وهذا كلام الصحابي عروة بن مسعود يصف به خطة النبي في يوم الحديبية لما كان سفيراً لقريش إلى النبي. وكان ساعتها في صف المشركين الإصابة ٤/ ٣٩٨

حِذْرَكُمْ﴾[النساء:٧١]. وأمر بالإعداد والاستعداد، فقال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠]. وقد سبق أن الله – سبحانه – قد حثنا على عمارة كونه وأن نأخذ بأسبابها.

والرسول ﷺ قام بهذا الدور في تشغيل المتعطل من خلال تهيئة الأسواق بالضوابط الشرعية التي توفر الكسب لصغار التجار قبل كبارهم، فيحرم الاحتكار، والغش، والظلم، وتطفيف الميزان، والغبن، وأن يبيع الرجل على بيع أخيه، فعمل النبي ﷺبهذا يدل على قيامه بدور المخطط من خلال تشغيله الفعلي للمتعطل، وقد نهج الخلفاء الراشدون نهج النبي ﷺ فخططوا للأمة أمرها وقد سبق الحديث عما اتخذه عمر رضي الله عنه مع المتعطل من وسائل دفعته إلى الكسب الحلال الذي أذهب عنه بطالته،ولكل خليفة راشد أسلوبه الحكيم الذي واجه به البطالة من خلال تخطيط تشريعي أصاب به علاج هذه المشكلة.

التخطيط للأعمال الشرعية:

كما ظهر تخطيط النبي للأفراد من خلال المكاسب العديدة التي حث عليها الرسول ﷺ من زرع وغرس، وتحبيب للعمل اليدوي، والمهن القائمة على المهارات الفردية من تجارة، وخياطة وغيرها من مئات الحرف التي كانت في عهده المبارك [1]، وظلت قائمة إلى يومنا هذا ثم تطورت-تلك المهن اليدوية- وصارت تقام لها المصانع والورش الإنتاجية، كل هذا من التخطيط الذي يسعى ولاة أمور المسلمين إلى تحقيقه فتلك مسئوليتهم.

علاقة التخطيط بالتنفيذ:

غالبا ما يتسم التخطيط بالتنفيذ، فقد كان ذو القرنين على رأس هؤلاء العمال المنفذين لبناء السد، فهو كالمهندس الذي يمثل الخبرة العلمية في عملية بناء السد من تدبير موارد البناء ومواده، ولم ينس دور القوى البشرية في العملية التخطيطية والإنتاجية فقد استطاع ذو القرنين أن يحول شعبه من مجتمع شعاره كما بين القرآن في قوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف:٩٤].

---

(١) «تخريج الدلالات السمعية» التلمساني، فقد اشتمل على الصنائع والحرف والمعاملات التي كانت في زمن النبي ﷺ ومن عمل بها من الصحابة رضي الله عنهم.

إلى مجتمع شعاره ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[الكهف:٩٥]. وما يقتضيه ذلك من تدريب على عمل شاق ومتواصل هذه القوى البشرية تعد عناصر فعالة في عملية تنفيذ الخطة المرسومة[١].

التخطيط والاستثمار لفتح آفاق العمل:

إن موارد الدولة المالية كان ينظر إليها على أنها أمانة في أعناق الولاة،يرى فيها الخليفة ما يصلح شئون العباد في جميع البلاد، وقد ظهر ذلك في سياسة الصديق والفاروق وعثمان وذلك لأن المال هو الوسيط النقدي الذي به ينال الإنسان حاجاته، فقد احترف أبو بكر في موال المسلمين وحافظ عليها من الضياع لذلك قال: «سيأكل آل أبي بكر من هذا المال، وأحترف للمسلمين فيه »[٢].

قوله: «وأحترف للمسلمين فيه» يدل على أن الصديق كان تاجرًا ماهرًا فكان يتجر لهم في أموالهم حتى يعود عليهم ربحه، ويسعى في مصالحهم وينظر في أموالهم حتى يبارك لهم فيها بالعمل الصالح والمتاجرة الرابحة، كما حافظ الصديق على موارد الدولة فحارب مانعي الزكاة – وهي مورد مالي للدولة المسلمة – فأعاد الناس إلى أدائه له وأنفقه في مصارفه الثمانية.

كذلك شجع الفاروق عمر على ممارسة العمل التجاري لأفراد الأمة مما يدل على أن للدولة أن تستثمر مواردها في فتح النشاط التجاري والحرف اليدوية الصغيرة عن طريق القراض ففي ذلك استثمار لأموال المسلمين من خلال تشغيل المتعطلين الأمر الذي يوسع أنشطة العمل ويعالج البطالة الإجبارية، كما يفيد أن للدولة أن تستثمر مواردها في فتح مشاريع عمل للمتعطلين من مصانع في العديد من الحرف الرئيسية مثل مصانع الملابس ومصانع الأغذية وورش للمهن التقليدية مثل الطباعة، الدباغة، الخياطة، والصباغة، والنجارة، والحدادة، وتصليح الآلات والمعدات المختلفة.

---

(١) «الإسلام والاقتصاد» دكتور عبد الهادي على النجار ص ٢٣، «مناهج الدعوة وأساليبها» دكتور على جريشة ص ١٠، «عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي» حمزة الجميعى ص ٢٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع.

وقد سبق ما للزكاة من دور حيوي في مجال تشغيل العاطلين وتدريبهم وتنمية مهاراتهم بما فيه كفاية، مما يدل على دور السياسة المالية في علاج البطالة الإجبارية وقد تنبه الخلفاء الراشدون إلى ذلك في وقت مبكر، يقول الفاروق رضي الله عنه «فما يكون لمن جاء من المسلمين »[1] وذلك في مجال الحفاظ على الأرض لأهلها مع ضرب الجزية على أهلها والخراج على الأرض.

٢-التعليم:

لقد حث الإسلام الحنيف على طلب العلم النافع، وخاصة إذا كان العلم مما يحتاج إليه المجتمع ؛ «فقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب للنبي ﷺ كتبه إليهم، وقرأ كتبهم للنبي إذا كتبوا إليه »[2].

ارتباط التعليم بحاجة المجتمع:

إن أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود- السريانية- فيتعلمه في خمس عشرة ليلة- إن دل على شيء فإنما يدل على علاقة التعليم بالعمل، كما يدل على نظرة السلطان لأهم العلوم التي تفيد المجال العملي وسعيه في تعليم وتحقيق تلك العلوم في المجتمع، ويحمل على ذلك علوم الطب، والهندسة، وطبقات الأرض، والكيمياء وغير ذلك من العلوم التي تساعد على تحقيق مصالح ضرورية للمجتمع مع الصبر على عناء تحصيل تلك العلوم، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:١١]. فقد اعتبر علماء الإسلام أن تعلم وتعليم تلك العلوم من فروض الكفايات كما أن تعليم أصول الحرف والصناعات من فروض الكفايات يقول الإمام الغزالي: «لو خلا البلد منها لتسارع الهلاك إلى أهلها وتحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك»[3]، الأمر الذي يدل على أهمية التعليم في علاج مشكلة البطالة؛ فالمتعلم تتنوع لديه وسائل العمل بين العمل

---

(١) أبو يوسف، الخراج، وقد سبق في المبحث الثالث في الفصل الثاني.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، ٤/ ٢٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/ ٣٠١ المجلد الثالث.

(٣) «إحياء علوم الدين» الإمام الغزالي ١/ ٣٢.

البدني والذهني فيقوم بالاختيار من بين هذه الاختيارات وتتسع مجالات كسبه وليس كذلك غير المتعلم .

ارتباط التدريب بمجال التعليم:

إن ارتباط المجال العملي بالعلم قد تنبه له علماؤنا قديمًا حيث أيقنوا أن ثمرة العلم العمل، «فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر»، ولذلك فإن من مسئولية ولاة الأمر إنشاء دور العلم التي تدرس بها هذه العلوم العملية، مع توفير مراكز التدريب حتى يضمن المجتمع عاملًا متدربًا، وهذا من التخطيط الدقيق، وقد سبق ما للعلم وإعداد الكوادر العلمية، من صلة قوية بالصناعة في الإسلام، ولذلك فإن جميع فروع العلم الطبيعي تساعد على تحقيق التوسع في العمل وقد سبق به الإسلام علماء الغرب الذين ينادون بضرورة الجمع بين العلم والتدريب في التعليم الفني والصناعي، فيقول غستاف لوبون «في بلد زراعي كفرنسا يجب أن تعنى مدارس الزراعة بالزراعة العملية لا بالكتب والنظريات، ولكن الكتب والنظريات هي كل شيء في هذه المدارس»[1].

لذلك أمر الفاروق عمر رضي الله عنه كل من يدخل السوق أن يتعلم فقه المعاملات، كما أجبر السائل على أن يتعلم فلاحة الأرض، وهذا بوصفه وليا لأمر المسلمين مما يدل على المسئولية الكبرى التي تقع على عاتق ولاة الأمور في علاج مشكلة البطالة من تخطيط وتعليم وقد تنبه الفاروق عمر لما توصل إليه علماء التربية والاجتماع الغربيون اليوم، قبل ألف عام من الزمان بل يزيد، ويعد هذا من عبقرية الفاروق، ومن كمال هذا الدين الخاتم.

ارتباط التعليم مع الواقع البيئي:

يعتبر التعليم ضمن هذا الإعداد الذي أمرنا الله به في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠]. فلابد من ارتباط التعليم بالواقع فالمجتمع الزراعي لا يتعلم أهله الصيد، والمجتمع التجاري لا يتعلم أهله تربية الأنعام، ولكن الواقع البيئي

---

(١) «روح التربية» غستاف لوبون ص ٨٤.

الذي يعيش فيه الناس، هو الذي يظهر أي الأعمال أولى بالفرد أن يتعلمها ويتقنها، ويتدرب عليها كي يمارسها لخروجه من حالة البطالة ويكتسب منها قوته.

ومما يدل على ارتباط التعليم ببيئة الفرد وواقعه ما ورد في السنة النبوية من أن (رجلًا جاء إلى الرسول ﷺيسأله عن الصيد بالمعراض، فقال: «ما أصاب بحده فكله وما أصاب بعرضه فهو وقيذ»، وسأله عن صيد الكلاب، فقال له : «ما أمسك عليك ولم يأكل منه فكله فإن ذكاته أخذه، فإن وجدت عنده كلبا آخر فخشيت أن يكون أخذه معه، وقد قتله فلا تأكل إنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على غيره»[1]، فقد علّم النبي ﷺ السائل عن الصيد بالمعراض وصيد الكلب لأن حاجة السائل قوية لمعرفة ذلك، إذ بالصيد تقام معايشهم وينالوا أرزاقهم، وتعارفوا على ذلك في بيئتهم، والصيد بالكلب، هو الكلب المعلم المدرب، قال تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾[المائدة:٤].

دور المسجد في التعليم:

كانت الحياة على عهد رسول الله ﷺ سهلة يسيرة فكان الرسول يقوم بأداء هذه المسئولية في مسجده الذي أسسه لما هاجر إلى المدينة المنورة، قال الشيخ جاد الحق على جاد الحق: «كان المسجد أول مدرسة في الإسلام، تبنى الأجيال وتصنع الأبطال، وتعدهم خير إعداد وعن طريقه يقوم كيان الأمة الروحي، كما أنه أساس لدعم وجودها المادي»[2]، فدور

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح باب الصيد بالكلاب المعلمة، ١٣/ ٧٦ والمعراض : سهم لا ريش له. المصباح المنير، ص ٢٤٠، والذكاة بالذال المعجمة قطع الحلقوم والمريء مع الودجين، قال تعالى : (إلا ما ذكيتم)، المصباح المنير، ص ١٢٨، والوقيذ : هو المضروب حتى أشرف على الموت،انظر المصباح المنير ص١٢٨ ،٢٤٠، ٣٩٧.

(٢) «المسجد إنشاءً ورسالة وتاريخًا» الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص ١٢، «المسجد ومكانته والإمام ورسالته» منصور الرفاعي عبيد ص ١٠٥ .

المسجد في التعليم يذكر على مدى تاريخ التحضر الإسلامي ولا ينكر ذلك إلا جاحد أو معاند.

ولما كثرت فروع التعليم وتعددت العلوم التي يحتاجها واقع الناس صارت الحاجة قوية لإنشاء دورًا للتعليم، من مدارس وجامعات وهذا واجب أولى الأمر أن ينشئوا المدارس التي تدرس بها العلوم التي تخدم الحياة العملية، والواقع المعيشي.

٢-فتح مجالات العمل (التوظيف):

لقد أمّر النبي ﷺ بعض أصحابه على بعض الأعمال، مثل القضاء، والتعليم، وجباية الزكاة، ولقد سأل بعض الصحابة النبي العمل ففي الحديث «أن أبا موسى الأشعري قال: أقبلت على النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ يستاك، فقال: «ما تقول يا أبا موسى - أو يا أبا عبد الله ابن قيس - » قال: فقلت والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت، فقال: «إنا لن – أو لا – نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى - أو يا عبد الله بن قيس - فبعثه على اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل»[1].

وقد أقام النبي الوظائف[2] والعمالات لبعض أصحابه ولكن كان يستعمل على العمل من لم يستشرف له ويطلبه، ولكن من توافرت فيه شرائط هذا العمل من العلم والأمانة والاجتهاد، ولذلك استعمل النبي أبا موسى الأشعري، وأتبعه بعد ذلك معاذ بن جبل وقد

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها، ١٢/ ٢٠٨ وقلصت شفته، انزوت وارتفعت، المصباح المنير، ص ٣٠٥ ويستاك أى يطهر أسنانه بالسواك وهو عود من شجر الأراك.

(٢) الوظيفة : هي ما يقدر من عمل أو رزق أو طعام أو غير ذلك في زمن معين والوظيفة والمنصب والخدمة المعينة المصباح المنير ص٣٩٥ المعجم الوجيز.

أصابت نظرة رسول الله فيمن أرسله على الأعمال وقد سبق ما للصحابي الجليل «معاذ» من دور في تأهيل أهل اليمن على الكسب والعمل الذي برعوا فيه من خلال صدقة الفطر[1].

محاسبة العمال:

كان النبي ﷺ يحاسب عماله على ما فرطوا، ويقطع لهم ما يكفيهم من المال جزاء ما شغلوا عن مزاولة كسب أنفسهم وينفع أهلهم،وقد روي أن رسول الله ﷺقام فخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، أستعمل رجالًا منكم على أمور مما ولاني الله فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم، وهذه هدية أهديت لي، فهلا جلس في بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، فو الله لا يأخذ أحدكم منها شيئًا – قال هشام[2]، بغير حقه - إلا جاء الله يحمله يوم القيامة»[3]، فإن محاسبة العمال مسئولية ولى الأمر أو من ينوب عنه[4] ولها دور فعال في علاج البطالة المسترة خاصة.

دور العمال في تسهيل شئون المكاسب:

إن النبي ﷺ بحكم مسئوليته فقد ولى العمال في الأعمال، وهذا واجب الولاة، هؤلاء العمال يعملون على توفير مكاسب الخلق، وتسهيل ذلك من شئون الزراعة والصناعة، والتجارة، وتأمين طرق الضاربين في الأرض، ولقد تقلد نبي الله يوسف عليه السلام خزائن الأرض فكان كما قال الله على لسانه: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف:٥٥]. فقد تحققت شرائط العمل في يوسف – عليه السلام – قبل أن يطلبه وفى ذلك ما يفيد من ضرورة توافر شروط العمل في العمال فإن العمل في الأحوال يحتاج إلى الحفظ

---

(١) راجع دور التصدق في التأهيل النفسي والسمو بهدف المتعطل، الفصل الثالث، المبحث الثاني المطلب الخامس.

(٢) وهو أحد رواة الحديث.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري، كتاب الأحكام، باب محاسبة الإمام عماله، ٤/ ٢٤٤.

(٤) ابن تيمية، الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، ص ٢٩.

والأمانة والحرص على الأموال العامة، ويحتاج أيضا إلى: العلم بطرق التخزين والحساب - خاصة - في عمل كعمل نبي الله يوسف عليه السلام.

يقول الإمام الماوردي: «إن تقليد العمال معتبر بنفوذ الأمر، وجواز النظر، فكل من جاز نظره في عمل نفذت فيه أوامره، وصح منه تقليد العمال عليه وهذا يكون من السلطان. ومن يصح أن يتقلد العمالة، هو من استقل بكفايته، ووثق بأمانته »[1]، فمن يتقلد العمل العام عليه واجب ومسئولية يجب أن يؤديها حتى يكون سببًا في تسهيل الكسب لمن تحته وذلك بتوظيف الأفراد، وتقليد كل فرد ما يناسبه من عمل يتفق مع قدراته وتخصصه، هذا إذا كان الفرد قادرًا على الكسب،، أما إذا كان غير قادر على الكسب فشأنه كشأن المرضى والعجائز وذوى الإعاقات البدنية فكفاية هؤلاء تقع على عاتق الدولة ممثلة في ولاة الأمر في الأمة الإسلامية من خلال تدبير الموارد المالية من بيت مال المسلمين «وزارة المالية».

الإجبار على الكسب الضروري للمجتمع مسئولية ولاة الأمر:

ومما تتجلى فيه مسئولية الولاة في علاج مشكلة البطالة إذا توافرت الأعمال والأشغال، وتعطل الفرد باختياره فإنه يؤمر بالعمل ويجبر على مزاولته، وإلا يعزر، حيث الرضا بالبطالة ذنب يحاسب عليه العبد، إذا فرط في الواجب عليه من قوت نفسه ومن يعول، لذلك فإن الرسول ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغنى، ولا لذي مرة سوى »[2]، فالمتعطل برضاه المتوفر لديه فرصة العمل المناسبة، لا يستحق المعونة ولا العطاء من الزكاة، إذ إن القدرة على العمل كالقدرة على المال، قال عمر رضي الله عنه: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة »[3]، ومن هنا ندرك مسئولية الولاة في إجبار المتعطل باختياره على ممارسة العمل النافع لنفسه ومجتمعه.

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٠٩.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود، (٢ / ١٢١).

(٣) اللبودى، فضل الاكتساب، ص ١٤٢.

إن المحزن أن في مجتمعاتنا المسلمة آلاف العاطلين باختيارهم، فقدوا قيمة العمل والاكتساب ولا علاج لأمثال هؤلاء سوى إجبارهم على العمل خاصة إذا كان العمل في مجال يفرضه واقع المجتمع كالحاجة إلى الأقوات فيجبروا على الزراعة، أو الحاجة إلى التجارة فيجبروا على المتاجرة ويكون لهم ما يكفيهم مقابل ما يقدمون من عمل وجهد، قال ربنا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ ﴾ [الكهف:٣٠]. يقول ابن تيمية: «إذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو نساجتهم، أو بنائهم صار هذا العمل واجبًا يجبرهم ولي الأمر عليه، إذا امتنعوا عنه بعوض المثل، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل »[1].

إن من أحكام الإسلام فريضة بعض المكاسب، فلو ترك الفرد أداء هذه المكاسب وامتنع ألزمه ولي الأمر أو من ينوبه بممارسة هذا العمل الواجب لصالح المجتمع الإسلامي، ولقد دلنا القرآن المجيد على العمل المتقن الذي يزيد الإنتاج ويستثمر الطاقات، يقول: دكتور: معاذ عبد الله أبو غزالة: «إن مجتمع الإسلام هو الذي يرتكز فيه البناء على قاعدة من الإيمان والعمل الصالح، فالعمل الذي يدعو الإسلام إليه هو العمل المنتج القائم على الأمانة والإخلاص، وإن بلاد الإسلام بها من الموارد والخيرات لو استثمرها المسلمون بالأساليب الحديثة لخرجوا من مشكلاتهم، وإن من أمثل الطرق للخروج من الضوائق الاقتصادية هو بذل المجهود، واستغلال الطاقات المعطلة، والقضاء على مظاهر الكسل والخمول »[2]، إن قيام المجتمعات على الإيمان بالله والعمل الصالح، علاج لكل مشكلة يعانيها البشر، فالإيمان يهدى النفس الإنسانية، والعمل الصالح يصلح المعوج، ويبنى الحياة بناءً صالحًا مستقيًا وقد ذكر الله - تعالى - هذين الركنين فقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

(١) «الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية» ابن تيمية ص ٣٠.

(٢) «الحسبة في الإسلام» دكتور معاذ عبد الله أبو غزالة ص ٤٦٣.

ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور:٥٥]، فتبين من النص أن الاستخلاف الإنساني وأن التمكين في الأرض مبنيان على ركنين هما:

الركن الأول: الإيمان وبه يتحقق الفوز في الآخرة والأولى.

الركن الثاني: العمل الصالح وبذل الجهد.

ومما يحكى في جبر المتعطل باختياره على العمل ما أخبر الماوردى: «أنه قد مر إبراهيم بن بطحاء «والى الحسبة بجانبي بغداد» بدار أبى عمر بن حماد وهو يومئذ قاضي القضاة فرأى الخصوم جلوسًا على بابه ينتظرون جلوسه للنظر بينهم وقد تعالى النهار وهجرت الشمس، فوقف واستدعى حاجبه، وقال له: «قل لقاضي القضاة: الخصوم جلوس على الباب وقد بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فإما جلست لهم أو عرفتهم عذرك فينصرفوا ويعودوا» [(١)]، فهذا يدل على أن والى الحسبة كان يجبر من تأخر عن وظيفته على أن يأتي لأداء عمله فما الحال لو ترك العمل بالمرة وتعطل وتعطلت فرائض العمل والمكاسب ومصالح الخلق.

إن إجبار المتعطل على العمل من أمثل طرق علاج البطالة الاختيارية التي قد تظهر في صورة بطالة مقنعة حيث يعمل المتعطل عملًا لا يرغبه فلا ينجز فيه، فعلى أجهزة الرقابة إجباره على أداء عمله فإن تأبى يعزر حتى يعمل أو يتولاه غيره ثم يحرم العاطل من المعونة وعطاء الزكاة تأديبًا له حتى يظهر حسن الاستقامة، يقول الماوردى في الأحكام السلطانية: «وإذا تعرض للمسألة ذو جلد وقوة على العمل زجره وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله، فإن أقام على المسألة عزره حتى يقلع عنها» [(٢)]، إنه من المستحيل قطع دابر التعطل الاختياري

---

(١) الماوردى الأحكام السلطانية، دار الفكر، ص ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٨،محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، نهضة مصر الأولى سنة ١٩٩٦، ص ٤٩، دكتورة سعاد إبراهيم صالح، مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي وبعض تطبيقاته، ١٧٠.

بالنصائح والتذكير فقط لأن الضوائق الاقتصادية تخلق التعطل خلقًا فلا مخرج من التعطل إذن إلا أن يصبح العمل فرضًا ملزمًا يلتزم به كل فرد قد اختار البطالة.

٤- عدالة التوزيع:

إن الله سبحانه أمر الناس بالعدل فيما بينهم حتى لو كانوا مختلفين في الديانة فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة:٨]. وقد نظر الخلفاء الراشدون إلى توزيع المال نظرة عدل وإنصاف.

عدالة التوزيع بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما:

لقد أورد القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج ما يدل على عدالة التوزيع في عهد أبي بكر الصديق، وعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال: «لما ولي أبو بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ قدم على أبي بكر رضي الله عنه مال، فقال: من كان له عند النبي ﷺ عدة فليأت، فجاءه جابر بن عبد الله، فقال: قال لي رسول الله ﷺ: «لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا يشير بكفيه»، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: خذ فأخذ بكفيه ثم عده فوجده خمسمائة فقال: خذ إليهما ألفًا، فأخذ ألفًا ثم أعطى كل إنسان كان رسول الله ﷺ وعده شيئًا، وبقيت بقية من المال فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير، والحر والمملوك، والذكر والأنثى فخرج على سبعة دراهم وثلث لكل إنسان فلما كان العام المقبل جاء مال كثير هو أكثر من ذلك فقسمه بين الناس، فأصاب كل إنسان عشرين درهمًا، فجاء ناس من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم، فقال: «أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك؟! وإنما ذلك شيء ثوابه على الله - جل ثناؤه - وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة»، فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجاءت الفتوح فضّل وقال: «لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه»، ففرض

لأهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة آلاف، ولمن لم يشهد بدرًا أربعة آلاف، وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر دون ذلك، أنزلهم على قدر منازلهم من السوابق»[1]، يتضح مما سبق على أن ولاة الأمر بين صورة من صورتين لعدالة التوزيع:

الأولى: التسوية في العطاء، حيث إنه معاش والأسوة فيه خير من الأثرة فهذا مسلك الصديق.

الثانية: التفضيل لأهل السوابق والفضل فهذا مسلك الفاروق عمر ،وفى كلا المسلكين خير إذا ما اتقى كل مسئول الله فيما استرعاه على شريطة أن يكون التفضيل بين الناس على أساس يقبله العقل والدين من العمل الصالح أو علم نافع أو سبق لخير يقدمه الفرد لخدمة مجتمعه أو غير ذلك مما يتفاضل به الناس.

علاقة عدالة التوزيع بعلاج البطالة:

وتظهر علاقة العدالة في التوزيع بالبطالة بجلاء في صورة زيادة أجور بعض العاملين بشكل مبالغ فيه، في حين لا يجد المتعطل ما يقيم به صلبه، لذلك قال عمر - رضى الله عنه: «والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه» [2]. فتوزيع الأجور على الأفراد يجب أن يكون بالعدل حتى تتحقق العدالة الاجتماعية، وقد سبق ما في مورد الزكاة من وجوه عدة لعلاج البطالة وما على ولاة الأمر إلا أن ينظروا في ولاية الزكاة ويفعّلوا أحكامها لعلاج مشكلة البطالة من خلال:

١-إعانة المتعطلين بسد حاجتهم الضرورية

٢-أو تمويل فرص عمل لهم

---

(١) أبو يوسف، الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، فصل كيف كان فرض عمر لأصحاب رسول الله، ص ٤٢.

(٢) «الخراج» أبو يوسف ص ٤٦.

٣- أو تأهيلهم للعمل بفتح مشروعات تعلمهم وتؤهلهم لاحتراف مهنة من المهن .

وكذلك يجب على ولاة الأمر أن يخصصوا جانبا من الموارد المالية في إقامة المشروعات التي تتسم بكثافة الأيدي العاملة، حتى يتحقق التشغيل الدائم للأفراد في أعمال إنتاجية إعمالا لقوله ﷻ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر:٧].

إذا أنفق ولاة الأمر المال بغية التوسع في المكاسب الأصلية «زراعة وصناعة وتجارة «كما وكيفا» [(١)] فلا شك أن فرص العمل سوف تتاح لكثير من المتعطلين وهذا ما فعله الصديق أبو بكر حينما قال «وأحترف للمسلمين فيه» وما من متعطل إلا وله حق في المال وقال عمر «ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال».

ويظهر أثر عدالة التوزيع في تحقيق المساواة، واختفاء الطبقية من المجتمع «طبقة العاملين، وطبقة المتعطلين »، و يتساوى الجميع في حق العمل.

المطلب الثاني: مسئولية العلماء:

إن مسئولية العلماء في تفعيل حق الفرد في الكسب والعمل تظهر في تعليم وتوجيه الأفراد إلى أصول المكاسب، والتذكير بخطورة أخلاق معينة إذا تخلق بها المرء يصير معدمًا وكَلًّا على الناس.

العلماء وبيان أضرار البطالة:

والواجب على العلماء إرشاد الأمة إلى أمور العقيدة التي يتأكد بها المسلم من أن البطالة معصية تخالف أمر استخلاف الإنسان في الأرض، وأن القرآن قد قرن الإيمان بالعمل الصالح، وأن زيادة الإيمان ونقصانه يكون وفق ما قدم الإنسان من عمل صالح، وأن

---

(١) التوسع الكمي: يكون في ذات المكاسب، بالتوسع في رقعة الأرض المنزرعة، والتوسع في أصل مكسب الزراعة توسعًا في زراعة الأرض بإحياء مواتها، والتوسع الكيفي: بزراعة ما تقوم عليه إشباع الضروريات والحاجيات والتحسينات، وكذا الصناعة والتجارة.

الله سبحانه جعل لكل عامل أجره، وأن الحياة لا تؤخذ بالأماني الحالمة بل بالجد والعمل، قال الله ﷻ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾

[النساء: ١٢٤، ١٢٣]

ومن الواجب على العلماء بيان عدم المعارضة بين الكسب في الإسلام والعبادة ؛ فالعلاقة بينهما علاقة توافق وانسجام، مادام قد أدى المسلم ما فرضه الله تعالى عليه منهما.

العلماء وتصحيح المفاهيم الخاطئة:

إن العلماء هم أدرى الناس بالشبهات، التي قد تعلق في عقول وقلوب الجمهور، فمسئوليتهم تظهر من خلال إزالة تلك الشبهات، ودفع هذه الإشكالات التي تعترض الأفراد، كما يجب على العلماء المصلحين إرشاد المتعطل المصاب بآثار نفسية سيئة جراء البطالة بالموعظة الحسنة كما فعل النبي ﷺ مع الشاب بعدما دله على العمل فقال له : «هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسالة لا تصلح إلا لثلاثة :لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع»[1]، فعلى العلماء الاقتداء بالنبي ﷺفي تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المتعطلين تربية لنفسياتهم ليجابهوا حالة البطالة .

دور العلماء في بيان منزلة العمل:

إن على العلماء واجبًا متمثلًا في بيان منزلة العمل في الإسلام، ومدى ما للكسب الحلال من أثر على تنشئة مجتمع صالح، وأن الأعمال لا تتفاضل بالأجور العالية لكنها تتميز بما يقدم المرء من خير وصلاح في الدنيا.

إن الأعمال لا تتفاضل بالوجاهة الاجتماعية، وإنما تتميز الأعمال بإتقانها وجودتها، فقد باشر أصحاب النبي ﷺ حفر الخندق بأنفسهم ولم يتنزهوا عنه، وفى الحديث الشريف أن «رسول الله ﷺخرج إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن.

لهم عبيد يعملون ذلك لهم»[1]، وأن الرسول باشر معهم العمل في ذلك بنفسه ولم يستنكف عنه ففي الحديث أن البراء رضي الله عنه قال: «لما كان يوم الأحزاب وخَندَق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر»[2]، فالعلماء الربانيون يوضحون ذلك للأمة، ويشرحون أحوال النبي مع أصحابه، فلم يتميز بالعمل السهل دونهم، وهو قدوة للناس أجمعين في العمل .

ويوضح العلماء قيمة العمل وذلك بأنه لا يوصف العمل بكونه رفيعا أو وضيعا لذاته، وإنما يتفاضل العمال بالتقوى والصلاح ثم إن التفاضل بين الأعمال تفاضل ظاهري، ولا يضر المرء أن يتدرب على العمل حتى يتقنه، فيعلو قدره بين الناس لإتقانه وإحسانه وتجويده العمل، لذا قال سبحانه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الأحقاف:١٩]. هذه من مظاهرالمسئولية الملقاة على عاتق العلماء في علاج أزمات الأمة .

دور العلماء في تربية الغنى والفقير:

ومن مسئولية العلماء كذلك تجاه هذه المشكلة الاجتماعية مسئولية تربوية للفرد الغني والفقير على حد سواء تربية تجعل كل واحد منهم عنصرًا صالحًا نافعًا لنفسه وأهله، في مجتمع يحوطه التعاون والتكافل بين الناس.

إن الفقير يحتاج إلى عون الغنى، ولكنه لا يتكل على ذلك، بل يسعى في رفع حالة بطالته، وقدر ربى النبي ﷺ وأصحابه على التعاون فيما بينهم، من هاجروا معه وكانوا فقراء ومن ناصروه وكانوا أغنياء، فقد روي أن عبد الرحمن بن عوف قدم «المدينة فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى – فقال لعبد الرحمن أقاسمك مالي نصفين وأزوجك، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فما رجع حتى

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣١، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري باب غزوة الخندق ٣/ ٣٢، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. «فقه السيرة النبوية» محمد سعيد البوطي ص ٢١٣.

استفضل أقطًا وسمنًا فأتى به أهل منزله، فمكث يسيرًا - أو ما شاء الله - فجاء وعليه وضر من صفرة، فقاله له النبي ﷺمهيم »[1].

إن الأغنياء عليهم دور كبير في علاج البطالة، فلابد أن يرشدهم العلماء إليه، ويتمثل هذا الدور في التكافل والتعاون مع المتعطلين، من خلال عقد الهبة، والقرض الحسن، والصدقات، والوقف الخيري، وعارية آلة العمل، وغير ذلك الكثير من التدابير الشرعية المستقرة في ذاكرة فقه الأمة الإسلامية التي هجرها كثير من مجتمعات المسلمين فعانوا البطالة والفقر، لكن واجب العلماء ومسئوليتهم تذكير المؤمنين بتلك العقود والمعاملات ويظهروا للناس مدى سعة رحمة الله بمشروعية تلك المعاملات للأمة تيسيرًا عليها.

وأوجه التعاون كثيرة وعلى العلماء مسئولية حث الأغنياء في المجتمع على الالتزام الخلقي بهذه الشريعة السمحة التي حثت على الجود بهذا المال، وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال «العُمْرى لمن وهبت له »[2]، والعمرى لفظ مشتق من العمر وهى تمليك المنافع وإباحتها مدة العمر وهى على وجوه أوردها الفقهاء في كتب الفقه الإسلامي[3] وقد عمل بها الصحابة - رضوان الله عليهم - فقال جابر رضي الله عنه: «إنما العُمْرَى التي أجاز رسول الله ﷺ أن يقول: هي لك ولعقبك فأما إذا قال هي لك ما عشت فإنها ترجع إلى صاحبها »[4] وهذا من شأنه أن يساعد على علاج مشكلة البطالة.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ٢/ ٣، ومهيم كلمة يقولها الشخص ومعناها ما أمرك ؟ ميهم: كلمة يقولها الشخص ويعني بها: ما أمرك؟ قال أبو عبيد: وكأنها كلمة يمانية. والأقط: يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يُمْصل (اللبن الرايب)، والوضر هو أثر الحناء، انظر المصباح المنير للفيومي، ومختار الصحاح للرازي.

(٢) الحديث متفق عليه،انظر: "اللؤلؤ والمرجان".ص ٣٣٠، واللفظ لمسلم، وفي رواية أخرى لمسلم بلفظ (العمرى جائزة) ١١/ ٧٠.

(٣) أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣/ ٢٢١.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١١/ ٧١.

ويعد هذا الالتزام علاجًا حاسمًا للبطالة بتوجيه من العلماء فهم من يعلم هذه الأحكام السمحة والأخلاق النبيلة فيلتزم بها الأغنياء في المجتمع.

المطلب الثالث: مسئولية الأسرة:

إن مسئولية الأسرة في الإسلام تنبع من حق الولد على والده في إحسان تربيته، وقد ورد في القرآن موعظة والد لولده، عرفنا منها أصول تربية الأولاد في الإسلام هذه الموعظة هي موعظة لقمان - عليه السلام - لابنه في قصة بناء البيت الحرام، كما ورد في القرآن ممارسة والد مع ولده العمل المجهد الشاق من تشييد وعمران إذا بلغ معه السعي.

ويتلخص دور الأسرة في الإسلام من خلال ما يلي:

١-غرس قيمة العمل لدى الأولاد، و القرآن الكريم يشير إلي ذلك في قصة بناء البيت الحرام،عندما قال نبي الله إبراهيم ﷺلابنه: «يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبنى هنا بيتًا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبنى »[1]، إن هذا التفاعل والتجاوب بين الوالد وولده لدليل على أن التربية والتوجيه بقيمة العمل مما ربى إبراهيم عليه ولده إسماعيل، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾[الصافات:١٠٢]. فالمعنى كما بين أهل التفسير: «فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه و «معه » متعلق بمحذوف دل عليه السعي [2]، زيادة في البيان فكأنه لما قال: «فلما بلغ معه السعي، قيل مع من؟ فقال: مع أبيه، والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به، والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل أوانه» [3].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ٢/ ٢٣٧ والأكمة، المكان المرتفع.

(٢) لماذا لم تتعلق (معه) بالفعل بلغ أو بالسعي ؟ في تفسير الكشاف ٣/ ٣٤٧،و البيضاوي ٢/ ٢٩٨.

(٣) الزمخشرى، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ٣/ ٣٤٧، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٩٨، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٨٦، المجلد الثامن.

إن هذا التعلق في «معه» يدل على أن نبي الله إبراهيم كان يربى ولده إسماعيل تربية حسنة على السعي والعمل، وكيف لا ؟! وإسماعيل يجهِّز ليرفع القواعد من البيت مع أبيه، إن في هذا التعليق لدليل على مسئولية الوالد في غرس قيمة السعي والعمل في خلد ولده حتى ينشأ على حب العمل، وبذل الجهد.

٢- تدريب الأولاد على الأعمال:

وعلى الوالد أن يدرب ولده على كسبه الذي يمارسه، وقد سبق ما لذلك من أثر فاعل في بناء شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه على الاحتراف التجاري، والذكاء الاقتصادي، فقد أخرجه أبوه معه في رحلة تجارية إلى اليمن، كما أخرج عوف بن عبد مناف ولده عبد الرحمن[1]، في تلك الرحلة وذلك تدريبا على شق دروب الحياة في الكسب، فلا يكتفي الوالد بالعظة النظرية، بل يدرب ولده على احتراف العمل، ومزاولته.

المطلب الرابع: مسئولية الفرد:

وتتضح مسئولية الإنسان في علاج البطالة فيما يلي :

بذل الجهد في طلب المكاسب: إن خلافة الإنسان في الأرض، وتسخير الكون كله له، وأمر الله – عز وجل –الفرد بأن يمشي في مناكب الأرض وأن يأكل من رزقه تعالى لأمور تحتم على كل إنسان أن يبذل جهده ليكتسب قوته، وهذا ما قام به كل أنبياء الله تعالى خاصة، نبي الله موسى عليه السلام لما كان في أرض مدين فقد توكل على ربه، وبذل جهده، وأخذ بما يستلزم العمل والاكتساب، قال الله – تعالى – في بيان ذلك: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ

---

(١) قد سبق ذلك، في موقف عثمان عن البطالة، من الفصل الثاني ،المبحث الثالث.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق أحمد حجازى السقا، دار التراث العربى، ٤/ ٣٢٧.

مِن خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[القصص:٢٢-٢٨]. في هذه الآيات البينات بيان لما فعله كليم الله موسى عليه السلام من الاشتغال والاكتساب لقوته وتجلى ذلك في الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: التوكل على الله تعالى:

التوكل على الله والاعتماد عليه واللجوء إليه – سبحانه – في تيسير ما يصبو إليه، حيث أخذ موسى يدعو ربه قائلًا: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهذا التوجه إلى مدين كان في الأصل هربًا من الطلب وصار موسى في وحدة واحتياج لضروريات الحياة[1]، وهذا حال يختبر فيه صبر الرجال، وقوة إيمانهم[2]. أشبه حال بالبطالة الاضطرارية وآثارها.

الخطوة الثانية: إظهار الرغبة في العمل:

قدم موسى عليه السلام العمل الذي ساعد به امرأتين ولما انتهى منه قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، فبعد ما سقى موسى ماشيتهما رحمة بهما، «وكانت الرعاة- آنذاك- يضعون حجرًا على رأس البئر لا يقله[3] إلا سبعة رجال أو أكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع، وقيل: كانت بئرًا أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم

(١) إذا كان موسى يعاني الطلب والهرب، فكان فرعون وقومه يطلبون موسى لقتله الرجل القبطي.

(٢) «تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للقاضي البيضاوي٢ / ١٩٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٢٤٤ «حاشية الصاوي» على الجلالين (٣/ ١٧٧).

(٣) ويقل أي يحمل القلة، والقلة تسع ملء مزادة، سميت قلة لأن الرجل القوى يحملها، وكل شيء حملته فقد قللته،انظر المصباح المنير للفيومي، ص ٣٠٦.

تولى إلى الظل»[1]. وسأل موسى ربه الطعام وابتغى الأجر منه على ما قدم، وهذه دعوة دالة على أن عمل موسى الذي قدمه للمرأتين كان لوجه الله - تعالى - بدليل أنه سأل الأجر من الله فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وهذا إظهار للرغبة الصادقة في العمل مع تمام اللجوء إلى الله - تعالى - الذي بيده تدبير الأمور ومقاليدها، ولقد بذل موسى عليه السلام جهدًا كبيرًا في سقى ماشية المرأتين ليظهر رغبته في العمل الحلال الذي يكتسب به قوته ورزقه، حيث إنه هو القوى الأمين.

الخطوة الثالثة : قبول العمل المتاح:

لقد جاءت إحدى المرأتين بأدب وحياء إلى موسى عليه السلام ودعته إلى لقاء أبيها ليجزيه أجر ما سقى لهما، وقص موسى قصته للرجل الصالح فخفف عنه قائلًا: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثم طلبت المرأة من أبيها أن يستأجره ليرعى أغنامهم فهو أهل لذلك لأنه قوى على العمل، أمين على المال والعرض، فقالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾

فلابد أن ينظر المتعطل في هذين الوصفين نظرة عملية ليقوم باختيار العمل المناسب ويتأكد من قدرته عليه، وأن يتصف بالأمانة فيه أمانة سواء أمانة على أسراره أو على أمواله حسب طبيعة العمل.

الخطوة الرابعة :القبول والموافقة والممارسة:

القبول والممارسة هنا أمر مزدوج بين المجتمع – أصحاب الأعمال – وبين المتعطلين أنفسهم، فالرجل الصالح هنا يمثل المجتمع[2] وذلك أن الرجل الصالح لما علم اتصاف موسى عليه السلام بوصفين ضروريين في العامل، علم أنه أولى به، فعرض العمل لديه في رعي

(١) «أسرار التنزيل» القاضي البيضاوي (٢/ ١٩٠).«الجامع لأحكام القرآن» القرطبي ١٣/ ٢٤٤.

(٢) يمثل الرجل الصالح هنا المجتمع الصناعي أو الزراعي أو التجاري الذي تتوفر فيه الأشغال والأعمال، من ناحية أن لديه عمل مجهد شاق وجد من الناس من توفرت فيه شروط ضرورية للعمل وهما القوة والأمانة

الأغنام، وسقيه والخدمة في ذلك المجال، فقال: ﴿تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾[القصص: ٢٧]، فقبل موسى ﷺ العرض بالعمل، فعقد موسى ﷺ عقد عمل بينه وبين الرجل الصالح طويل الأجل (ثماني سنين أو عشرا)، فبورك له في العمل باستكماله بزواجه من إحدى ابنتي الرجل الصالح بعد ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [القصص: ٢٨].

تعد موافقة موسى ﷺ وقبوله لهذا العمل المجهد الشاق دعوة لكل متعطل أن يرضى بالعمل المعروض عليه حتى يتيسر له غيره أفضل منه؛ ليدل على أن المتعطل المضطر لابد أن يبذل الجهد حتى يخرج من حالة البطالة، فهذا كليم الله قد بذل جهده في رعي الغنم، وأجر نفسه على قوته، ونكاحه من إحدى المرأتين يدل على ضرورة بذل المتعطل الجهد والمشقة حتى يخرج من حالة البطالة.

هذه هي المسئولية الملقاة على ولاة الأمر والعلماء والأسرة والفرد المتعطل نفسه التي تشارك في نصيب كبير في علاج البطالة، مما يجب الالتزام بها وتفعيلها لإخراج الناس من ظلمات البطالة إلى نور العمل، وتقديم كل ما ينفع المجتمع الإسلامي، فذلك مما يدعو إليه الإسلام، وتعتبر المسئولية من خصائص المنهج الإسلامي في علاج مشكلة البطالة؛ لأن العمل حق من حقوق الإنسان، وقد يمثل الضرورة الواجب إشباعها، وبذلك يتحقق علاج البطالة كلما ظهر في المجتمع متعطل لا يجد العمل من خلال هذه المنهجية الإسلامية المعصومة.

وبعد فهذه التدابير الواقية للأمة من أزمة البطالة لا أدعي أني جمعت كل تدابير الشرع، وحكمة الدين في تلك غاية عزيزة لايقدرها إلا ذو تأييد من الله بالعصمة، لكني أدعي بذل الجهد والاجتهاد في كل ما تيسر لي من التدابير الواقية من البطالة، فضلا عن البحث عن وسائل علاجها، حسب المراجع والمصادر، كما أدعي الاجتهاد في استخراج الدلالات من الأدلة النقلية والعقلية بغية وضعها بين يدي أهل الذكر في المجتمع العربي والإسلامي لينظروا بجد واجتهاد في علاج بطالة شباب الأمة، والله تعالى من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

****

الخاتمة

أهم النتائج:

١- البطالة إحدى المشكلات التي يعانيها العالم اليوم، وهى عدم توافر فرص العمل للأفراد القادرين على العمل، والراغبين فيه، والباحثين عنه، فجمعت هذه القيود الوصف الذي به يستحق الفرد المتعطل عون مجتمعه، وكفالته لتحقيق كفايته، وأصبح البحث عن وسائل علاج البطالة أمرًا ضروريًّا.

٢- اتصال مشكلة البطالة بالراهن الحضاري، أو ما يسمى بـ"العولمة"، وما لها من دخل قوى في استفحال المشكلة على الصعيدين العالمي والإقليمي، وذلك بشهادة متخصصي الاقتصاد في العالم، واعتراف بعض المحللين الاقتصاديين بضرورة البحث عن نظام جديد، لا هو رأسمالي ولا هو اشتراكي؛ يضمن تحقيق العدل والمساواة بين الأفراد، ولا شك في أن الإسلام هو دين العدل والمساواة.

٣- أسباب البطالة متعددة، ولكنها لم تكن لتعود في يوم من الأيام لقلة أو انعدام الموارد الطبيعية التي خلقها الله ـ تعالى ـ للإنسان؛ فالله قد استخلف الكائن البشرى في الأرض ليعمرها، ومن عدله ـ سبحانه ـ أن هيأ له سبل المعيشة في الحياة قبل وجوده فيها.

٤- ترجع أسباب البطالة إلى أسباب اقتصادية وأخلاقية، وهى ترجع في جملتها إلى العنصر البشرى من حيث سوء التخطيط، وسوء استخدام الموارد الطبيعية، أو قعوده عن العمل تكاسلًا وغير ذلك من الأسباب.

٥- للبطالة أنواع ثلاث، قد تم تقسيمها بناءً على توصيف أهل الاختصاص، وهى:

- البطالة الاضطرارية وهي أخطرها وأشدها تأثيرًا على الفرد والمجتمع والاقتصاد وهى التي تتبادر إلى الذهن إذا أطلقت كلمة «البطالة» بدون تقييد بالوصف.

- البطالة المستترة وهى أن يعمل الشخص عملًا ظاهريًا، ولكن لا ينتج شيئًا حقيقيًا في واقع الأمر، وعلاج هذه البطالة المستترة يتحقق بتفعيل الدور الرقابي في الدولة الإسلامية من خلال ولاية الحسبة، كما يتحقق بالتزام العامل بواجباته وأخلاق مهنته.

- البطالة الاختيارية وهى أن يختار الشخص البطالة حالا له بدلا من العمل والاكتساب وهذه مشكلة اجتماعية وأخلاقية خطيرة، ومثل هذا الشخص يجبر على العمل الذي يوجبه واقع مجتمعه، سواءً أكان في زراعة أو صناعة أو تجارة.

٦- تعددت آثار البطالة السلبية على كل من الفرد والمجتمع والاقتصاد.

٧- موقف الإسلام الحنيف من البطالة يظهر من خلال تقرير حقائق أكد عليها القرآن الكريم من الاستخلاف البشرى، وضرورة العمل لحياة الإنسان، ومن خلال محو السلبيات فهدد المعوقين والقاعدين عن العمل، وضرب المثل للمتعطل تنفيرًا من البطالة وتحفيزًا على العمل، فتقرير الحقائق اللازمة، ومحو السلبيات المثبطة من وسائل مواجهة القرآن للبطالة.

٨- تعددت الوسائل النبوية في علاج البطالة، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوة في السعي قبل البعثة وبعدها، وأعان الكلّ والمعدوم، وسما بأخلاق أصحابه، وسما بأهدافهم؛ فكان له من الوسائل التربوية التي أخرجت الناس من إصر البطالة إلى كرامة الكسب، كما قام الرسول بمسؤولية تشغيل المتعطل، فتوسع في الأعمال وحببها لأصحابه، وحثهم عليها، ووضع التشريعات اللازمة للتشغيل في مجالات العمل الأصلية.

٩- إن الخلافة الراشدة بعد رسول الله ﷺ سارت على منهجه في علاج البطالة، واتخذت موقفا حازما منها، فلم تعطل أصحاب الأعمال عن أعمالهم في البلاد التي فتحها الإسلام، بل هيأت لهم المكاسب والأعمال، وقد اتخذ كل خليفة راشد من الخلفاء الأربعة من السياسات المالية والاقتصادية الراشدة التي تعد وسائل علاج للبطالة، خاصة ما كان في عهد الفاروق عمر من وسائل لتهيئة الفرد المتعطل للكسب والعمل.

١٠- إن الدراسة قد تبين من خلالها أن أول عالم ناقش مشكلة البطالة هو العالم المسلم «محمد بن الحسن الشيباني» فقد عالجها بأسلوب عبقري يدعو إلى وقفة تأمل في

العبقرية الإسلاميــة، وأن العلمــاء المسلمين جــاءوا من بعــده فنسجوا على منواله، فمنهم من أزال شبهة ومنهم من توسـع في الأعمال ومنهـــم من حافظ على مورد، ومنهم من تدرج في مصالح العباد التي تؤسس عليها الأعمال، وهذه الجهود كلها قد اقتدى فيها العلمــاء برسول الله ﷺوالذي حث على العـمل مما يجب أن يذاع وينشـر، كوسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية وكفاءتها في حل المشكلات، وأيضا كمثال على كمال الدين الإسلامي، ووفائه بحاجة الإنسانية مدى الدهر.

١١- يمتاز علاج الإسلام للبطالة بالشمولية التامة لجميع جوانب الإنسان، فالإنسان يحـيا بعقيدته الإيمانية التي تنتظم عليها علاقته بربه خالقه، ويحيا بشريعته الدينية التي تنتظم بها علاقته بالناس من حوله، من أهل وولد وجيران، ويحيا بأخلاقه التي تنتظم بها علاقته بإخوانه ؛ فاشتملت معالجة البطالة في الإسلام هذه الجوانب كلها فالعقيدة لترسيخ معانـي الرضا بقضاء الله وقدره، والشريعة لتنظيم مجالات الكسب ما يحل منها وما يحرم، وما يجب وما يجوز، وأما الأخلاق، فقد أكدت ورسخت ما يبنى الكيان النفسي للكائن البشرى، وما يؤسس شخصيته؛ وهذا من خصائص الإسلام التي تشمل الإنسان جسمًا وروحًا وقلبًا متعقلًا في إطار من التيسير ورفع الحرج.

١٢- لا مصادمة في الإسلام بين العبادة والاكتساب ـ كما هو موجود في معظـم الأديان التي تنتشر في شرق الأرض وغربها ـ فالعبادات في دين الإسلام لها من الأثر الإيجابي العظيم في تربية الفرد المسلم على بذل الجهد والكسب والعمل.وازن الإسلام بين وقت العمل والعبادة.

١٣- أن الإسلام يقدم الحلول العملية لعلاج البطالة من خلال تفعيل دور الزكـاة والوقـف وغيرهما من الأحكام الإسلامية؛ فهذه نماذج عملية في توفير فرص العمل للمتعطلين، فالصّديق فعَّل دور الزكاة، والفاروق فعَّل دور الوقف وهيَّأ للمتعطلين فرص العمل.

١٤- وأن الإسلام دين الله ـ تعالى ـ الذي هيأ له من الكفاءة اللازمة في وضع الحلول الحاسمة لأصل المشكلة، من خلال منهجه الموضوعي والواقعي، في تشخيص الداء لوضع أنسب دواء.

١٥- مسؤولية علاج البطالة تقوم في الإسلام على كل إنسان بموجب التكافل الاجتماعي، كل على قدر مسؤوليته، وهى تتوزع على ولاة الأمر، والعلماء والمفكرين، والمصلحين،والوالدين في الأسرة المسلمة، وعلى الفرد المتعطل نفسه.

التوصيات

-أن تنشئ كل دولة من الدول التي تعانى من البطالة جهازًا يكلف بحصر مجالات العمل التي تناسب كل مجتمع وفق بيئته الطبيعية، مع العمل على التوسع في الأعمال بين الضروريات و الحاجيات و التكميلات.

- أن تخصص الكليات التي تعنى بالدراسات الاقتصادية والاجتماعية هذه المشكلة مزيد من الدراسة لها، مع وضع الحلول التي تناسب شريعة الإسلام.

- أن تقوم جامعة الأزهر الشريف بتبليغ الأمة الإسلامية جمعاء موقف الإسلام من البطالة،ودوره في علاجها، وأن تعمل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة على توصيل ذلك إلى العالم بأسره؛ حتى تقدم لكل من يحيا على أرض الله دليلًا من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺوهو يخبر عن نقصان العمل، ويقوم بتعليم أمته سبل الخروج من أزمة البطالة.

- أن تجتمع أهداف وغايات أهل الحل والعقد في كل مجتمع حول العمل على الخروج من أزمة البطالة، وذلك باعتبارها أمرًا جامعًا يتحقق بصلاحه صلاح المجتمع كله.

****